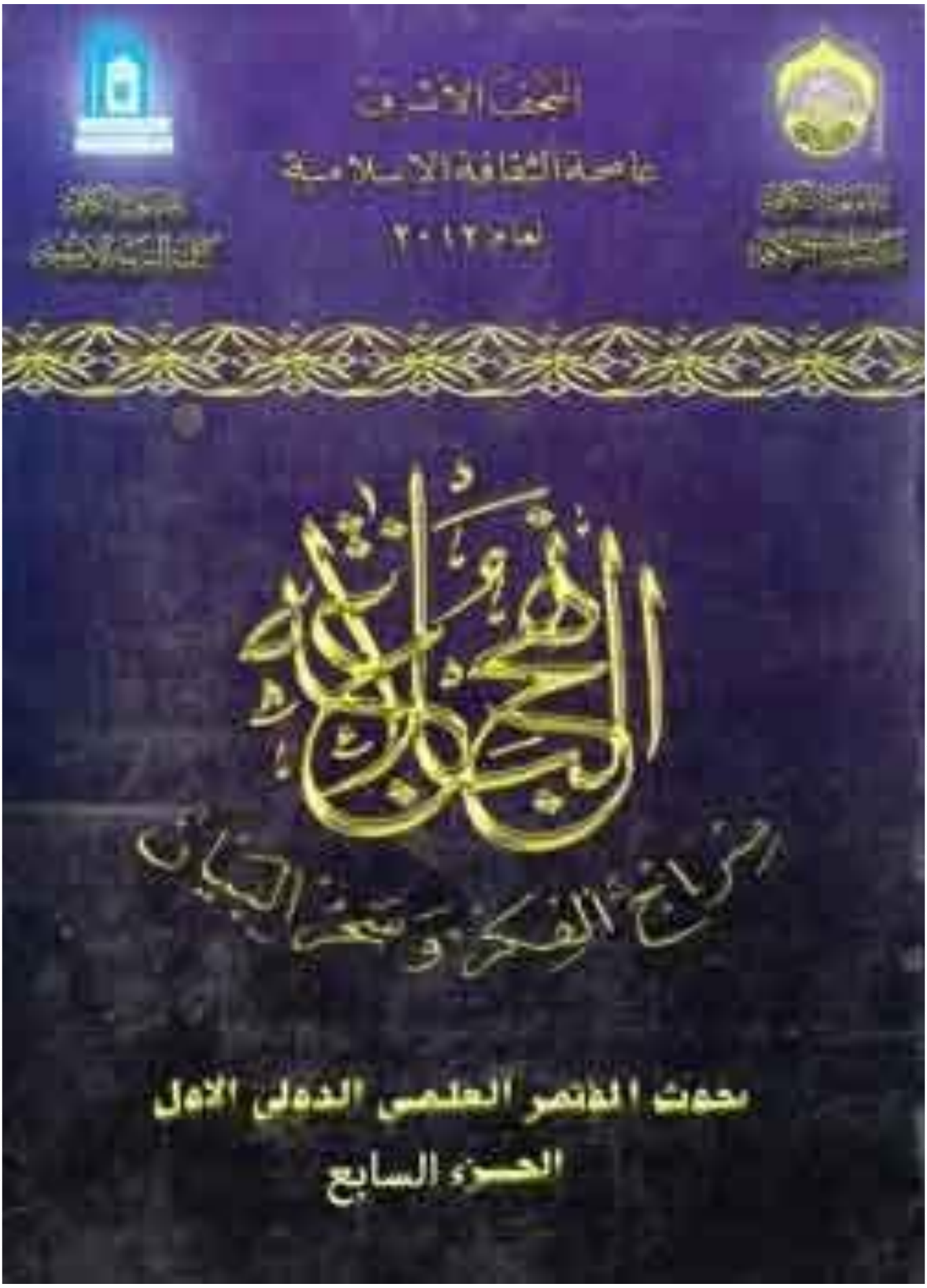
الجزء الثالث
عاصمة الثقافة الإسلامية
لعام ٢٠١٢
الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
سراج الفكر وسحر البيان
بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول
الجزء السابع

# بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة في خطبة أمير المؤمنين (القاصعة)

الباحث: الشيخ منير صادق نجم الكاظمي (مكتبة الجوادين العامة - الصحن الكاظمي الشريف)

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي انعم فخلق، ووالهم العباد ووفق، والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق والهادي لمن لحق، وعلى اله الهداة بالحق، دوائر العلوم وأصول المعارف الميامين من آل طه وياسين وبعد

مما لا ريب فيه إن نهج البلاغة منظومة في مملكة الأدب الاممي، لم تقتصر الفائدة به فقط لمن ينشد مثلا أعلى في البلاغة والأدب، فقراءة عابرة لمقدمة الشريف الرضي جامع النهج الشريف وهو يعبر عن شمولية النهج المبارك يقول فيها (فيه حاجة العالم والمتعلم، وبغية البليغ والزاهد ويمضي في أثنائه الكلام في التوحيد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شبه الخلق ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة).

ثم يقول بموضع آخر (يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية مما لا يوجد مجتمعا بكلام ولا مجموع ألإطراف من كتاب) نعم وهو لذا بعد هذا الوصف من أعظم الكتب الإسلامية بعد القران شأنا وارفعها قدرا واجمعها محاسناً، له في معظم المواضيع كلام و توضيح وفي اغلب المسائل تفصيل وتصريح، ولا يخفى على أولي العلم والنهى إن قائله هو الناطق بالصواب،وباب مدينة العلم،الإمام الوصي، إمام الكل بالكل، اعني علي بن أبي طالب، ولعمري إن كلامه لمنهج البلاغة ومسلك الفصاحة، عجز لسان الخطباء أن يأتي بمثل خطبه، وحارت عقول الحكماء في بيداء مواعظه وحكمه، وأعيى أهل المحابر والأقلام أن تعبر بمثل رسائله وكتبه

ونحن بعد التوفيق من الله والشروع بكتابة هذا البحث في النهج الشريف،اخترنا أن نقف على بعض الظواهر الاجتماعية متناولين منها (الشخصية الاجتماعية، والتعصب والحمية، الإرادة وحرية الرأي) كسلوكيات في حياة الفرد والمجتمعات والشعوب، كيف تعامل معها الأغنياء والملوك من مترفة الأمم بمنطق تعسفي، وكيف تعامل الأنبياء معها بخطاب ديني حر، وقد كانت(الخطبة القاصعة) أنموذجا، هذه الخطبة من نهج البلاغة التي ذم فيها أمير المؤمنين علي الكبر متعرضا فيها لإبليس اللعين وهو يرفض السجود لآدم، فكان عنوان البحث موسوما (بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة في خطبة أمير المؤمنين ((القاصعة))

وأما اختياري للخطاب الديني أمام المنطق التعسفي القسري، فالسبب لما يحتوي الأول على مضامين الحرية بمؤشرات ايجابية ومنها الحرية الفكرية وعدم مصادرة الآراء من خلال دعوة الأنبياء التي أرادت للإنسان أن يكون مجردا من كل الميولات النفسية والخارجية حرا في تفكيره، قال الله تعالى:«**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**»[1].

وقوله تعالى:«**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**»[2].

وقوله تعالى:«**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**»[3].

فلا بالجبر والقسر تتقوم الشعوب والأفراد ولكن بمراعاة الحقوق والواجبات وتحقيق العدل الذي يقول فيه علي العدل قوام الرعية وجمال الولاة[4]، وقد خرج البحث موشحا بالآيات والروايات

---

١ . النحل :الآية ٧٨.
٢ . الإنسان : الآية ٣.
٣ . البقرة :الآية ٢٦٥.
٤ . محمد الريشهري،ميزان الحكمة ،ط الاولى١٤٠٤هـ، ج٦ـ ص٧٩،رقم الحديث ١١٦٥٩.

وما ورد من شواهد ومشاهد مما يختص به وردت عن السلف وأهل الشرف من آل محمد معتمدا التفاسير والمصادر الحديثة فكان بعد المقدمة تمهيد وثلاثة محاور وخاتمة.

## التمهيد

الخطبة القاصعة رواها الماوردي في أعلام النبوة[1] يقول ابن أبي الحديد[2] ومن الناس من يسمي هذه الخطبة بالقاصعة وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم وانه أول من اظهر العصبية وتبع الحمية وتحذير الناس من سلوك طريقه.

والقاصعة لغة من قصع فلان فلانا أي حقره لان الإمام حقر فيها حال المتكبرين أو من قصع الماء عطشه إذا أزاله لان سامعها لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش[3]،

يقول صاحب شرح النهج ابن أبي الحديد المعتزلي ويجوز أن تسمى بالقاصعة لأنها كالقاتلة لإبليس وأتباعه من أهل العصبية، من قولهم قصعت القملة[4] علما إن الخطبة من أولها إلى آخرها

جاءت تذم الكبر والعصبية والحمية جاء في مقدمتها قوله (الحمد لله الذي لبس العز والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه وجعلهما حمى وحرما على غيره واصطفاهما لجلاله وجعل اللعنة علة من نازعه فيهما من عباده.....).

إلى أن يصف عليه السلام مشهد امتناع إبليس عليه اللعنة من أمر الله له بالسجود لأدم كما أمر غيره من الملائكة فأطاعوا، فيقول (اعترضته الحمية فافتخر على ادم بخلقه وتعصب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصبين، وسلف المستكبرين، الذي وضع أساس العصبية).

ثم أخذ ع يحذر الناس من سلوك طريق إبليس بقوله (ألا ترون كيف صغره الله بتكبره، ووضعه بترفعه، فجعله في الدنيا مدحورا واعد له في الآخرة سعيرا).

إن مشهد إبليس عندما تمرد على أمر الله منحرفا عن الملائكة يصور لنا عن أول معركة على وجه هذه البسيطة مابين ادم وبين إبليس كانت مادتها الأساس هي العصبية والتكبر واللجاجة وهكذا قدر لهذه المعركة في الاستمرارية مابين معسكر الأنبياء ومعسكر الجبابرة فعندما نراجع سيرة الأنبياء العظام وأسباب انحراف الأقوام السالفة عن سلوك طريق الحق والدعوة الإلهية، يتضح لنا جيدا إن هذه الأمور الثلاثة (العصبية، والعناد،والتقليد الأعمى) كان لها الدور أساس في عملية الانحراف هذه بصور طالما احتفظ بها القران قوله تعالى على لسان نوح:«**وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا**».

وفي موضع آخر يوضح عنادهم:«**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**»[5] أسماء ألهتهم، وإما على لسان نبيه إبراهيم في قصته مع أبيه آزر كيف كان منطق الأب منطق التقليد الأعمى الذي دفع بع أن يقف معارضا وكافرا بما جاء به هذا النبي من إصلاحات للناس:«**إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ**»[6] وهذا عين ما استخدمه أهل مكة مع الرسول الخاتم من هذه السلوكيات:«**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**».[7]

---

١ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م،ص٣٩٤.
٢ . ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ،مط الأميرة ،ط الأولى ١٤٢٨هـ ،ص٨٤.
٣ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م،ص٣٩٤.
٤ . ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ،مط الأميرة ،ط الأولى ١٤٢٨هـ ،ص٨٤.
٥ . سورة نوح :الآية ٧، ٢٣.
٦ . الأنبياء : ٥٢، ٥٣.
٧ . البقرة : ١٧٠.

من هذه الآيات التي يؤرخ لنا القران من خلالها لظاهرة التعصب والعناد التي تثمر وتؤسس للتقليد الأعمى وكأنها منهجا عاما في سلوكيات الأقوام وهم يتحركون في خط الانحراف ومؤشرا سلبيا واضحا في حركاتهم وسكناتهم وهم يقفون بوجه دعوات الأنبياء على مر التاريخ وكأنها حالة ميراث من ذلك المشهد الأول الذي يصوره لنا القران بقوله(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين) وأعجب ما في التعصب انه باب يأخذ بصاحبه نحو الانغلاق والجمود،لذا مقتته الأنبياء بخطاباتها وأكثر من ذلك انه تعلق غير منطقي من الإنسان يفقده صفة التحرر ويأخذ به نحو الميولات لذا وفي هذا المضمار يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «اعدل الناس من رضي ما يرضى لنفسه وكره لهم ما يكره لها»، فكلما تحرك الإنسان على مستوى إزالة هذه التعصبات من ساحة الحياة البشرية والمجتمع الإنساني وتعامل الناس فيما بينهم من موقع العقل والمنطق والحوار الهادف والهادئ عندها تزول الخلافات وأسباب النزاع، فيعيش الإنسان في حركته الاجتماعية بكل أشكال المحبة والطمأنينة، وصورة وأي صورة بل وأبهى صورة يرسمها أمير المؤمنين للمجتمع العادل يقول في إحدى روائعه في نهج البلاغة (إذا أدت الرعية إلى الوالي إليها حقها، عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين،واعتدلت معالم العدل... فصلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة وإذا غلبت الرعية واليها أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور)[1].

## المحور الأول : معالم العظمة والرقي في الشخصية الاجتماعية بين نظريتين:

وقد اخترنا لبيان هذا المحور نصين في الخطبة (القاصعة).
الأول قوله وهو يصف دخول نبيين من أنبياء الله (عليهم السلام) وهما موسى وهارون،على فرعون فيقول:(ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون (عليهما السلام)على فرعون وعليهما مدارع الصوف وبأيديهما العصي.
فشرطا له إن أسلم بقاء ملكه ودوام عزه. فقال :ألا تعجبون من هذين يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك, وهما بما ترون من حال الفقر والذل، فهلا القي عليهما اساورة من ذهب إعظاما للذهب وجمعه واحتقارا للصوف ولبسه

## شرح المفردات

مدارع الصوف: جمع مدرعة بكسر الميم وهي كالكساء.
وتدرع الرجل وتمدرع إذ لبسها والعصي - جمع عصى وتقول سوار المرأة والجمع أسورة وجمع الجمع أساوره[2].

## قراءة على النص

أولاً: أن أول تأمل في هذا النص يوضح محاولة فرعون وهو يضع العراقيل بسفسطة وتكابر مزعوم،وقد لجأ إلى القيم الفارغة والمعاييرالكاذبة كي يبدد ما قام به نبي الله موسى وأخوه هارون وهما يزعزعان باطل دعواه للناس بقوله أنا ربكم الأعلى، مستخدما إفتخارين،هما ملك مصر ونهر النيل حيث بين الله عز اسمه ذلك في القران قوله تعالى على لسان فرعون: **«وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ»**[3] جاعلا مقام الإنسان الوجيه بالمجتمع من خلال اقترانه بالذهب والمال والفضة معاييراً وحدودا للشخصية الاجتماعية ومشيرا بالوقت نفسه إلى أن الفقر وانعدام الحال الاقتصادية، مؤشرا لتحقير الإنسان ونزول قدره حيث صنف موسى وأخاه هارون بالطبقة

---

١ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م،ص٤٥٠.
٢ . ابن أبي الحديد ،شرح نهج البلاغة (تحقيق محمد إبراهيم) ،مط الأميرة ،ط الأولى ١٤٢٨هـ ،ص١٠١.
٣ . . الزخرف: ٥١.

المسحوقة حيث اخبر القران على لسانه (أم هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين)[1] وان عبارته(مهين)إشارة إلى الطبقة المسحوقة مستحقرا لبس الصوف، والعمل برعي الغنم معيبا عليهم هذا الحال، وهذا المنطق طبيعة يكشف لنا عن طبيعة الخطاب الفاسد للمجتمعات المتردية. وبهذا قول الشاعر[2]

**عيناك من أثوابه في جنة وإذا حدثته تكشف عن صبي**
**أنا لا تغرني الطيالس والحلي كم في الطيالس من سقيم أجرب**

ثانياً :أن منطقا مثل هذا الذي يتبجح به فرعون، إن ساد فأصبح ثقافة معتمدة في المجتمعات،لاشك ولا ريب سوف يترك أثرا سلبيا في سلوكياتهم وانحرافا في عقيدتهم، يكون هم الفرد فيه جمع المال والذهب والوثوب على مراكز التسلط حتى يرتقي موقع المتنفذين من الجبابرة والمترفين، يقول عروة ابن الورد[3].

## مخاطبا زوجته

**دعيني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير**
**وأبعدهم وأهونهم عليهم وان أمسى له حسب وخير**
**ويقصيه الندي وتزدريه خليلته وينهره الصغير**
**ويلقى ذو الغنى وله جلالً يكاد فؤاد ملقيه يطير**
**قليل ذنبه وذنب جم ولكن للغني رب غفور**

ثالثاً ـ ولعل من المهم أن نقرأ الفقر والقلة الاقتصادية قراءة إسلامية فمنها ماورد في الكتاب المجيد: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**»[4].

وما ورد عن الخاتم الأعظم وأهل بيته منها قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (الفقر فخري وبه أفتخر)[5] وقوله(أغنى الغنى القناعة)[6] وقوله ص (يا علي إن الله جعل الفقر أمانة عند خلقه فمن ستره أعطاه الله مثل اجر الصائم)[7].

وعن أبي عبد الله الصادق قال: (في مناجاة موسى يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين، وإذا رأيت الغنى اقبل فقل ذنب عجلت عقوبته)[8].

وعندما سألوا الرسول عن الفقر قال : خزانة من خزائن الله تعالى وقيل له ثانيا ما الفقر يا رسول الله فقال كرامة من الله وقيل له ثالثا ما الفقر يا رسول الله فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): شيء لا يعطيه الله إلا نبيا مرسلا أو مؤمنا كريما على الله تعالى[9]، بعد هذه الأحاديث

ينبغي أن نتعامل معها على إن الإسلام لا يعتمد الفقر مظهرا في حياتنا ولكن في الوقت نفسه يعلمنا أن نتعامل معه تعاملا واعيا نفهم من خلاله أن القيمة الحقيقية للإنسان لم تقف عند حدود ما يملك من الأموال ولكن بقدر ما يحسن من المعنويات والقيم العلمية والعملية التي تضعه في مصاف أهل العلم والمعرفة ومواطن الشرف وان لا يكون الفقر عاملا للتخلي عن مبادئنا، وهنا اختم بكلمة لأمير المؤمنين ع يصف بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)في بعض أحواله

---

١ . عبارة (مهين ) أشارة إلى الطبقات المسحوقة : راجع تفسير الأمثل.
٢ . ديوان إيليا أبو ماضي.
٣ . ديوان عروة ابن الورد.
٤ . فاطر :الآية ١٥.
٥ . عباس إسماعيل اليزدي، ينابيع الحكمة،باب الفقر ،ج٤ط الأولى ١٣٧٩هـ.
٦ . المصدر السابق.
٧ . المصدر السابق.
٨ . المصدر السابق.
٩ . المصدر السابق.

(ولقد كان في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)ما يدلك على مساوئ الدنيا وعيوبها، إذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنه زخارفها مع عظيم زلفته، فلينظر ناظر بعقله أكرم الله محمدا بذلك أم أهانه ؟ فإن قال أهانه، فقد كذب والله العظيم بالافك العظيم، وان قال أكرمه فليعلم إنما أهان غيره عندما بسط الدنيا له وزواها عن اقرب الناي إليه)[1].

رابعاً- وفي النص ما يشير إلى بعض المحاولات التي تبجحت بها قريش فوضعتها بوجه النبي الخاتم، حين قاد دعوته وحركته النبوية ليتحدى انحدار المجتمع آنذاك، واعني بذلك قولهم الذي يذكره القران: «**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**»[2].

وسؤال هنا على حجم التاريخ من هو العظيم المعني بقولهم هذا يختاره الله لرسالته، أبو سفيان مثلا أو الوليد بن المغيرة أم أبو جهل أم..أم فرعون المتجبر كل هؤلاء ممن تسلطوا على العباد والبلاد، فهل يا ترى هؤلاء من يقود المجتمعات نحو رسالة السماء وينهضوا بواقع الشعوب المحرومة وهم السبب في اضطهادهم، أم يا ترى هؤلاء الذين يشعرون في معاناة الفقير وأسباب تردي الشعوب،فإن لم يكن المحرر من وسط الناس: «**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**»[3].

هذا الرسول قدوة وأسوة، نأمل به من المعالي الشمم والقمم معطاء مضحيا لان العطاء والتضحية أمر أراد الأنبياء أن يكون من صميم خطابها للناس حتى ولت ظاهرة العطاء تمتلك في أدبيات القرآن ما يقدمها على التقوى يقول سبحانه: «**وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى**»[4].

وبهذا يقول علي واصفا رسول الله (خرج من الدنيا خميصا وورد الآخرة سليما لم يضع حجرا على حجر حتى مضى لسبيله، وأجاب داعي ربه فما أعظم منة الله عندنا حين أنعم علينا سلفا نتبعه، وقائدا نطأ عقبه)[5].

## النص الثاني من هذا المحور

يأتي كلام أمير المؤمنين ليبدأ بالرد على مثل السفسطات البالية والمعايير الفارغة في تقييم شخصية الإنسان في المجتمع التي يتبجح بها فرعون وغيره فيقول :(ولو أراد الله سبحانه لأوليائه حيث بعثهم، أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طيور السماء ووحوش الأرض لفعل، ولو فعل لسقط البلاء وبطل الجزاء ولما وجب للقابلين أجور المبتلين..... ولكن الله سبحانه جعل رسله أولي قوة في عزائمهم، وضعفه في ما ترى الأعين من حالاتهم، مع قناعة تملا الأبصار والأسماع أذى).
نعم ما أراد الله عز اسمه أن تكون هيبة الأنبياء بهذه الأمور الخارجة عن ذاتهم التي كانوا يتمتعون بها من السمات والصفات التي اصطفاهم الله بسببها والتي يبينها أمير المؤمنين ع في إحدى روائعه في نهج البلاغة وهو يصف الأنبياء فيقول : فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم كرائم الأصلاب إلى مطهرات الأرحام كلما مضى منهم سلف قام بدين الله منهم خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحان إلى محمد ص، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، وأعز الاروامات مغرسا، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتجب منها أمناءه، عترته خير العتر وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر..... فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى[6] انتهى .

---

١ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج٢،ص٣٢٢،ص٣٢٣ الخطبة : ١٥٨.
٢ . الزخرف :الاية٣١.
٣ . البقرة: الاية١٢٩.
٤ . الليل :الآية ٦.
٥ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م،ج٢، ص٣٢٣.
٦ . نفس المصدر ، ج١، ص٢١٢، ص٢١٣.

من مظاهر هذه العظمة كان الأنبياء وهكذا أراد الله العز والكمالات لمن تبعهم لا يبالي به سواء كان من الزنج أو غيرهم وإنما المهم سماته وأخلاقه بهذه الكيفية هي الشخصية الناجحة في المجتمع، تصنع التاريخ لنفسها من نفسه لا بالاعتماد على ذهب أو فضة وكم ممن ملاؤا التاريخ بعلومهم ونتاجاتهم بجهود فردية فعرفهم العالم وقرأتهم الأجيال من هذه الإشكال، وان قوله تعالى على لسان أخوة يوسف (قالوا إنك لأنت يوسف) فهم بذلك عرفوا يوسف من يوسف نفسه وبمثل هذه الصفات التي امتلكها أتباع الرسل فحققوا من الانتصارات التي مازال الزمان يلقيها نشيدا خالدا للأجيال ولاسيما أتباع الخاتم الأعظم رسول الله وهم في ركب مسيرة قدر لها أن تغير وجه التاريخ والعالم، وهم على ما نقراهم من بساطة في العيش

## المحور الثاني :الدين والاعتقاد قيد الإرادة والاختيار

في هذا المحور بعد نقطع شوطا فنقف عند قوله الذي يوضح كيف ينبغي لنا التعامل والانقياد نحو الرسل والإيمان برسالاتهم عن طريق القناعات وحرية الإرادة رادا على التخرصات والتحججات التي يطلقها أصحاب الأفكار الرجعية من أهل الجاهليات بما يشترطوه في الهادي أو المصلح فيقول:(ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام، وعزة لا تضام، وملك تمتد نحوه أعناق الرجال، وتشد إليه عقد الرحال، لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار وأبعد لهم في الاستكبار، ولآمنوا عن رهبة قاهرة لهم، أو رغبة مائلة بهم، فكانت النيات مشتركة والحسنات مقتسمة، ولكن الله سبحانه أراد أن يكون الإتباع لرسله، والتصديق بكتبه، والخشوع لوجهه، والاستكانة لأمره، والاستسلام لطاعته، أمورا خاصة، لا تشوبها من غيرها شائبة،وكلما كانت البلوى والاختيار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل).

## تأملات حول النص

أولها ـ أن أدنى تأمل في النص يأخذنا إلى مجموعة من المفاهيم. الدين أولها : ينبغي أن يصاحب المرء وهو ينساق إلى الدين أو المعتقد عامل الإرادة والقناعات،حتى يعلم من أين وفي أين وإلى أين،فلا بالقوة والرهبة ولا بالمال والرغبة يكون الانتماء والانقياد للأديان، ولقد حفظ لنا التاريخ نماذج رائعة ممن وقفوا للدفاع عن هذا الين من الرساليين في واقعة بدر الكبرى، كيف أنهم خرجوا على جبابرة قريش وما كانوا يملكون من السلاح سوى الجريد والعصي فحققوا الانتصارات تلو الانتصارات فقد روي عن عبدا لله بن رواحه قوله : والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ولا كثرة سلاح وكثرة خيل، إلا بهذ الدين الذي أكرمنا الله به[1].

فإذا كانت الإرادة والعزيمة هما الرفيق لأهل الأديان والمعتقد كان أهل الدين أقوياء وأهل مبادئ وإلا لأخير في المعسكرات الدينية إن لم يكن أهلها من أهل المبدأ، مؤمنين بقضيتهم، يقول أمير المؤمنين علي لعامله على المدينة سهل بن حنيف في خصوص من لحق من معسكره بمعسكر معاوية يقول : (أما بعد فقد بلغني أن رجالا ممن قبلك يتسللون إلى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيا ن ولك منهم شافيا، فرارهم من الهدى، والحق، وإيضاعهم إلى العمى، والجهل، وإنما هم أهل دنيا، مقبلون عليها ومهطعون أليها، قد عرفوا العدل، ورأوه، وسمعوه، ووعوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة، فهربوا إلى الأثرة، فبعدا لهم وسحقا[2].

ثانيها ـ إنما يستخدم القوة لفرض أفكاره ومشاريعه، من أعوزه المنطق والحجة،والأنبياء في خطابهم الديني ومعتقدهم السماوي، المنطق المتين والحجة البالغة بالاستدلالات غنية

---

١ . المجلسي ، بحار الأنوار ، سنة الطبع ١٤٢٧هـ ، ج٢١، ص٦١.
٢ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج٣، ص٦١٧.

بالمعجزات، خطابهم يقارع الحجة بالحجة والدليل فلم يخشى الإسلام أي لسان وأي جدال وحوار فعلمنا إن لغة الدليل لغة أهل العلم قوله تعالى: «**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**»[1].

والأخبار التي ترد من استخدام الإسلام للقوة فلأسباب منها محاربة الشرك وعبادة الأوثان فإن الشرك فإنهما ليسا من الدين وكذلك لدفع المؤامرات التي تحيط به، وكذلك لأجل الحصول على حرية الدعوة والتبليغ[2].

ثالثها- إن عدم مصادرة الإرادات وحرية التعبير لأهل الأديان وهم يتحركون ضمن المنظومة الدينية والاعتقادية، هذا ما حرصت عليه الأنبياء ن يقول مؤلف كتاب حضارة الإسلام والعرب : كان تعامل المسلمين مع الجماعات الأخرى من التساهل بحيث إن رؤساء تلك الجماعات كان مسموحا لهم بإنشاء مجالسهم الدينية الخاصة[3] حتى قيل[4] إن جمعا من المسيحيين الذين كانوا قد زاروا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) للتحقيق والاستفسار أقاموا قداسا في مسجد النبي في المدينة بكل حرية[5]، وإذا أردنا أن نتكلم عن أدبيات الدين في حفظ الحقوق للأقليات من أهل الملل الأخرى، فدونك رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين السجاد حيث يضع حقا من الحقوق اسماه حق أهل الذمة وفيه يقول) وأما حق أهل الذمة فالحكم أن تقبل منهم ما قبل الله، وتفي بما جعل الله لهم من ذمته وعهده)، فمنطق القسر والتعسف يخالف الذوق والفطرة، والصواب احترام الناس في تفكيرهم وعقولهم مازال ذالك التفكير بحدود المعقول لا التهريج وفي نفس الوقت احترام الغير مادام في سلوكه الحفاظ على المواطنة ومن هنا ترى عليا ذالك الحاكم الإسلامي وقف يخاطب احد الخوارج وقد قطع الأخير على أمير المؤمنين الكلام عندما كان يخطب يوما في مسجد الكوفة ويعارضه فقال له: إن لكم علينا أن لا نبدأ كم بقتال، وأن لا نقطع عليكم الفيء وان لا نمنعكم مساجد الله[6]، وهنا يبين على ع طبيعة التعامل مع المعارض له في الحكم فيهبه حق إبداء الرأي وحق التمتع بخيرات البلد مادام محافظا عليه، وحق التردد على المساجد وهي دوائر القرار الكبر في ذلك الزمان.

## المحور الثالث: العصبية كموروث اجتماعي بين مترفي الأمم وبين أهل المبادئ والقيم

عالج الإمام موضوع العصبية لو افترض لها أن تكون مظهرا سلوكيا عند الناس، كيف انه جعل منها عاملا داعما في حركة الحضارات والمجتمعات نحو الإيجاب لا السلب فيقول: وأما الأغنياء من مترفة الأمم فتعصبوا لآثار مواقع النعم، فقالوا (نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال، ومحامد الأفعال، ومحاسن الأمور التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء من بيوتات العرب، ويعاسيب القبائل، بالأخلاق الرغيبة، والأحلام العظيمة). انتهى

## شروح الألفاظ

المترفة:على صيغة اسم مفعول ـ الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات[7]

وآثار مواقع النعم :ما ينشا منه من التعالي والتكبر[8].

التعصب : من العصبية وهي المحاماة والمدافعة عمن يلزمك أمره.

---

١ . البقرة:١١١.
٢ . ناصر مكارم شيرازي ، تفسير الأمثل ، مط سليمان زادة ج٢، ص٩١.
٣ . نفس المصدر: ص٩٤.
٤ . نفس المصدر: ص٩٤.
٥ . نفس المصدر: ص٩٤.
٦ . هادي المدرسي ، أخلاقيات أمير المؤمنين ، ط الأولى ، ١٤١١هـ ، ص٢٩٨.
٧ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ص٤٠٥.
٨ . نفس المصدر.

وعصبة الرجل : بالتحريك جمع عاصب ككفرة جمع كافر وهم بنوه[1].

والتعصب اصطلاحا : الارتباط غير المنطقي بشيء معين إلى درجة إن الإنسان يضحي بالحق من اجل ذلك[2].

يعاسيب: جمع يعسوب وهو أمير النحل،ويستعمل مجازا في رئيس القوم كما هنا[3].

الأخلاق الرغيبة :المرضية المرغوبة، والأحلام: العقول[4].

## تأملات في النص :

أولا: لم تكن الأديان وخطابات الأنبياء يوما تدعوا الإنسان إلى ترك أهله وعشيرته وأولاده، ولكن بالوقت نفسه حرصت على تفعيل الهدف المقدس في نفس الإنسان وتفعيل جانب الأخلاق فيه نظريا وعمليا وإلا فالدين بطبعه يحث على الارتباط بالعشيرة فقول رسول الله: خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم[5].

ولم تكن الأديان السماوية يوما تأمر بقطع العلائق والمحبة بالأرحام أو إهمال رؤس الأموال وتجاوز العواطف الإنسانية وإلغائها، ولكن هناك مفاصل تمر على الإنسان في حياته ومفترق طرق، منها إذا أصبح بين أمرين الأول عواطفه نحو أهله وأمواله وأولاده، والثاني دينه ومعتقده فينبغي تحقيق الرعاية بينهما ولكن في بعض الأحيان ينبغي أن يكون حاكم الترجيح عنده هدفه المقدس هو الأول ولقد وردت من الأخبار ما يؤيد كيف أن الأوائل من الصحابة طالما أظهروا ولاء للإسلام وللنبي يقول علي[6]: ولقد كنا مع رسول الله،نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيمانا، وتسليما، ومضيا على اللقم (معظم الطريق وجادته)، وصبرا على مضض الألم ن وجدا في جهاد العدو. ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا، يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما،أيهما يسقي صاحبه كأس المكنون، فمرة لنا من عدونا ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر حتى استقر الإسلام ملقيا جرانه (أي البعير بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره)، ومتبوئا أوطانه، انتهى، وبهذه الكلمات من أمير المؤمنين يتوضح لنا كيف كان الأوائل من البدريين ممن شهدوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)المخاضات الأولى للإسلام كيف قام الإسلام بهمة هؤلاء المضحين بكل شيء.

ثانيا ـ مما لاشك فيه إن وجود حالة العصبية والحمية بشكلها السلبي باعث على تخلف ذلك المجتمع، وهي في الوقت نفسه تكبيل للعقل والفكر الإنساني ومنعه من التحليق في عوالم الإدراك الصحيح والتشخيص السليم، وأساسا فإن انتقال السنن الخاطئة من جيل إلى آخر ومن قوم لآخرين ما كان إلا تحت وطأة هذه الظواهر من التعصب والعناد واللجاجة المشئومة يقول علي بن الحسين السجاد:حين سأل عن العصبية فقال العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين،وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه،ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم[7].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أمر مهم وهو أن العصبية تنقسم إلى نوعين، فمثلما توجد هنا ك عصبية ذات سلوك سلبي والتي من نتائجها أن تجعل الإنسان ضعيف الشخصية مرة وتؤدي إلى

---

١ . الطريحي ، مجمع البحرين ، ( تحقيق السيد احمد الحسيني ) ، مط الحيدري ، ص١٢٢.
٢ . ناصر مكارم شيرازي ، الأخلاق في القرآن ، ط الثانية ١٤٢٦هـ ، مط سليمان زادة، ج٢، ص١٨١.
٣ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، هامش ص٤٠٥.
٤ . نفس المصدر.
٥ . محمد الريشهري ، ميزان الحكمة.
٦ . محمد عبده ، شرح نهج البلاغة سنة ٢٠٠٥م، ج١، ص١٢٩.
٧ . ناصر مكارم شيرازي ، الأخلاق في القرآن ، ط الثانية ١٤٢٦هـ ، مط سليمان زادة، ج٢، ص٢٠٠.

الانزواء الاجتماعي والفكري مرة أخرى وهذه التي ذمها الإسلام، والتي صنف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) صاحبها مع أعراب الجاهلية حيث يقول : من كان في قلبه حبة من خردل عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية[1]، فان هناك من العصبية ما تصب في مؤشر الإيجاب وهذا ما أراد أن يقوله أمير المؤمنين يوم أن وظف جانب العصبية نحو الشمم والقمم من الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي من صميم حضارتنا والتمسك بالتراث الأصيل من حفظ ذمام الجار ومكارم الأفعال والتي هي مكارم الأخلاق في حضارتنا العربية ومنها ما يقوله الشاعر العربي :

**ناري ونار الجاري واحدة وإليه قبلي ينزل القدر**
**أعمى إذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر**[2]

ولأجل هذا ورد في الخبر(لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة ابن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضبا للنبي في حديث (السّلا) الذي ألقي على النبي[3]، فإن انتصار حمزة رضوان الله عليه لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما هو انتصار للفضيلة والكلمة الطيبة.

ثالثا- إن حالة التحرر في سلوكيات الإنسان وابتعاده عن الميولات القبلية والتسليم إلى الحق، فضيلة أخلاقية وسبب في التقدم العلمي للشعوب والتطور الحضاري، لان التعلقات القومية بشكل فارغ بتقديم ذوي الأرحام في كل شيء وتناسي غيرهم ولو كان الأجدر، عامل في تردي الشعوب و من نتائجه ابتعاد الإنسان عن الحق والعدل وهو بالتالي مضرة في حركة المجتمع نحو الخير والازدهار.

## الخاتمة

أن ما تناولناه من محاور في ما تقدم من البحث يجمعها عنوان التعصب واللجاجة والتقليد الأعمى، وهذه السلوكيات السلبية ينبغي علاجها واستئصالها من المجتمع وهذا لا يكون إلا عن طريق الالتفات مرة إلى الدوافع والجذور لهذه الرذائل والسعي بجد لأزالتها من واقع الإنسان وباطنه، وقلع جذور الأنانية، والإفراط في حب الذات والتعامل مع المواضيع بشكل مجرد، ومراعاة جانب انخفاض المستوى الثقافي كونه احد الأسباب الداعية إلى ذلك، وضعف الشخصية والعزلة الاجتماعية وأمثال ذلك، ولابد لإزالة هذه الصفة الرذيلة (التعصب)، تطهير النفس منها والارتقاء والارتفاع بالمستوى العلمي والثقافي للأفراد للتعرف على الأقوام والشعوب والاطلاع على أفكارهم وعقائدهم، وتعديل حب الذات في شخصية الإنسان، وقلع الميول والاتجاهات المضرة في نفسه وكل الأمور التي تورث هذه الرذائل الأخلاقية، وهذا ما أظهره بعض أصحاب النبي ص، فقد ورد أن أبو عزيز أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في اسري بدر من المشركين، قال: مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني، فقال: شد يدك به فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، فقال أبو عزيز يا أخي هذه وصاتك بي، فقال مصعب انه أخي دونك (أي يقصد الأنصاري الذي أسره).[4]

## قائمة المصادر والمراجع


١. القرآن الكريم
٢. بحار الأنوار، للمجلسي
٣. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي


---

١ . المصدر السابق ، ص١٩٣.
٢ . القائل حاتم الطائي.
٣ . ناصر مكارم شيرازي ، الأخلاق في القرآن ، ط الثانية ١٤٢٦هـ ، مط سليمان زادة، ج٢، ص٢٠١.
٤ . الشيخ محمد قوام الوشنوي، حياة النبي وسيرته، مط : أسوة ، ط الثانية ١٤٢٤هـ ،ج٢ ، ص٦٥.

٤. نهج البلاغة، محمد عبده
٥. ينابيع الحكمة، عباس إسماعيل اليزدي
٦. أخلاقيات أمير المؤمنين، السيد هادي المدرسي
٧. مجمع البحرين، فخرا لدين الطر يحي
٨. ميزان الحكمة، محمد الريشهري
٩. الأخلاق في القرآن، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
١٠. تفسير الأمثل،الشيخ ناصر مكارم شيرازي

# تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة (خطبة الجهاد نموذجاً)

المدرس المساعد: امير فرهنك نيا (جامعة تربيت مدرس – جمهورية ايران الاسلامية)

**الملخص**

إنّ الخطابة إحدى الفنون الراقية التي يحتاجها الانسان خاصة العلماء والمفكرين ومُبلغي الرسالة الإلهية و خَدَمَة أهل الوحي والسائرين على درب الإصلاح والتحرير والسالكين طريق القيادة والتدبير؛ وهي فنّ مخاطبة الآخرين بطريقة.

إنّ في الخطاب الأدبي قدرة على التأثير في أذواق المخاطبين والرقي بها نحوالأهداف المرغوبة؛ وهو أقرب أنواع الخطاب للتربية وتعديل السلوك وتعليم الناس؛ حيث إنّه يرقى بالتفكير والقلب والسلوك من خلال أسإلىبه المختلفة، منها البيانية كالتشبيه والمجاز والرمز، أوالأساليب التي تخصّ علم المعاني كالدعاء و الاستفهام وهي أسإلىب تنبّه الحس الجمإلى والمتعة في النفوس وتحمل الفائدة المرجوّة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محبّبة، بعيداً عن أساليب الجدل الجافّ الذي لا تصبر له النفوس ولا ترغب فيه.

إنّ هذا المقال يسعى إلى دراسة الخطاب الأدبي في خطبة الجهاد وهي خطبةٌ يمتاز الخطاب الأدبي فيها بقدرته على إيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها؛ حيث يكثر فيها اقتران اللفظ والمعنى أو الشعور والتعبير؛ كذلك تهدف إلى دراسة الواقع الجمالي الذي يحدثه هذا العمل الأدبي في المتلقي وردود فعله إزاءه، حين يتأمله ويتفكر فيه؛ ويتّبع المقال التحوّلات والتطوّرات التي يتداولها المتلقي أو المستمع.

**المقدمة**

كان الخطاب في البلاغة القديمة مجرّد وسيلة يعبّر بها عن الفكرة، ولكن كان ينظر إليه باعتباره كياناً مستقلاً، يحمل خصائصه الذاتية، و يظهر ذلك في الرسالة ( النص) الصادرة من الكاتب إلى المتلقي؛

يستمد مفهوم الخطاب قيمته النظرية، وفعاليته الإجرائية من كونه يقف راهنا في مجال النقد الأدبي الحديث في نقطة تقاطع/تلاقي بين تحليل النصوص والإجراءات التطبيقية التي تتطلبها عمليات التحليل، والأعمال الأدبية الإبداعية بصفة عامة باعتبارها نظاما مغلقا لا يحيل إلاّ على نفسه.

بل إنّ مفهوم الخطاب (قد) يعود بنا أدراجا إلى ما هو أعمّ، من اعتباره مجرد مفهوم إجرائي في تفكيك سنن النصوص ومرجعياتها، وذلك من خلال إعادة النظر في أنساق المعرفة النقدية التي اتخذت من النصوص التراثية سندا لها.

إن نهج البلاغة وهو من كلام الإمام على (عليه السلام) من أعظم الكتب الإسلامية شأناً، وإنّه نورٌ ونجاة و برهانٌ ولبٌّ لمن استضاءَ وتمسّك به واعتمده وتدبّره؛ فإنّه من روافد البلاغة التطبيقية، فهو إمام الفصحاء و البلغاء بعد رسول الله، وقد سخّر له الخطاب في إلقاء المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة وتؤثّر على أذواق المخاطبين، وتنحو نحو التربية وتعديل السلوك، فهذا الكتاب خير دليل على ما ندّعيه؛ أو هو اسم على المسمّى ؛ وبما أنّه كتاب يليق بالدراسة والتحقيق، اخترتُ عنوان « تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة، خطبة الجهاد نموذجاً».

**١ ـ الخطاب**

جاء في لسان العرب لابن منظور من مادّة (خ.ط.ب): الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً وممّا يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذوي شأن.[١]

ورد في قوله تعالى: **(فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب)**[٢]، بمعنى الكلام، وأو في هذه الآية: **(وآتيناهُ الحكمة و فصلَ الخطاب)**[٣]، إنّ فصل الخطاب هنا بمعنى «ما ينفصل به الأمر من الخطاب، أوالحكم بالبينة، أوإلىمين، أوالفقه في القضاء، أوالنطق بأمّا بعد، أو أن يفصلَ بين الحقّ و الباطل»[٤].

وفي معجم المصطلحات العربية الخطاب، الرسالة Letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية- سواء أكتب نظماً أو نثراً – أو من المقامة في الأدب العربي.[٥]

في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب «مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسيةDiscourse، وفي الإنجليزية Discourse، وتعني حديث، محاضرة، خطاب، خاطب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدث إلى».[٦]

هناك علاقة قوية جداً بين الخطاب والنص «فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... أو جملة الهموم المعرفية التي - جرى التعبير عنها في إطار ما»[٧].

يبدو أنّ أنواع الخطاب في الأدبيات المعاصرة قد تمّ استبعادها لحساب عمومية الخطاب وإخضاعه لمنطقٍ لغوي ومنهج تحليلي واحد؛ وفي العمومية تخفي الخصوصية؛ فقد اتجهت المدارس اللغوية المعاصرة نحو الشكل دون المضمون؛ وبالتالي لم تُعنَ إلّا بالتراكيب والمضمون؛ المضمون من حيث هو مضمون، دون تخصيصه بديني، أو فلسفي، أو أخلاقي، أو قانوني، أو تأريخي، أو اجتماعي سياسي أو أدبي فنّي، أو إعلامي معلوماتي أو علمي منطقي؛ فالخطاب أصوات ونبرات، أكثرَ منه معاني ودلالات، وتترك الدراسات اللغوية الدراسات اللغوية المعاصرة أنواع الخطاب إلى ميادينها خارج علم اللسانيات العامّ؛ فالخطاب الديني جزءٌ من الفك الديني، والخطاب الفلسفي أحد موضوعات الفلسفة، والخطاب الأخلاقي موضوع من حوضوعات الأخلاق، والخطال القانوني جزءٌ من منطق القانون، والخطاب التأريخي يدخل في فلسفة التأريخ، والخطاب الأدبي الفنّي جزءٌ من علوم النقد، فأنواع الخطاب في اللسانيات المعاصرة تدخل في علومها الخاصّة، وليس في علم اللسانيات نظراً لسيادة النزعة الشكلية فيه؛ فمن الواضح أنّ علم اللسانيات قد استقلّ بنفسه عن باقي العلوم الإنسانية، وأصبح الخطاب فيه خطاباً لغوياً خالصاً بصرف النظر عن مضمونه وموضوعه وقصده و باعته.

**٢ ـ عناصر الخطاب**

---

١ . ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الأول، ص٨٥.
٢ . سورة ص، ٢٣.
٣ . سورة ص، ٢٣.
٤ . الزيات، أحمد حسن، و الزملاء: ٢٠٠٤م، ص ٢٤٣.
٥ . مجدي، وهبة _ المهندس، كامل: ١٩٨٤م، ص ٩٠.
٦ . إلياس انطون، إلياس، ١٩٧٢م، ص١٩١.
٧ . دى بوجراند، روبرت، ١٩٩٨م، ص٦.

ليس هناك خطاب إلّا يدور فيه هذه العناصر، وهي:
أ - المبدع:
إنّ المبدع يمتلك المقدرة على نقل الأفكار في أشكال وطرق متنوّعة، وعليه فإنّ الخاصية اللغوية يمكن أن تثير انفعالات متعددّة ومتميزة تبعاً للسياق الذي ترِدُ فيه، وينتج عن ذلك أنّ نفس الانفعال يمكن أن نثيره بوسائل أسلوبية متعدّدة، وهكذا يكون تركيب الأسلوب وما ينتج عنه من أثرٍ انفعالي مطابقاً لخاصية الدوال و المدلولات في الدراسة اللغوية، وبهذا تمتلك الأسلوبية سبلها الخاصّة بها مثلما للغة الخطاب هذه السبل[1].

يؤكد بارت أن الكتابة هي في واقعها نقض لكل صوت كما أنها نقض لكل نقطة بداية (أصل)، وبذا يدفع بارت المؤلف نحو الموت.
بأن يقطع الصلة بين النص وبين صوت بدايته، ومن ذلك تبدأ الكتابة التي أصبح بارت يسميها بالنصوصية (Textuality ) بناءً على مبدأ أن اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف.
والمؤلف لم يعد هو الصوت الذي خلف العمل أو المالك للغة أو مصدر الإنتاج، ووحدة النص لا تنبع من أصله ومصدره، ولكنها تأتي من مصيره ومستقبله،ولذا يعلن بارت بأننا نقف الآن على مشارف عصر القارئ.
ولا غرابة أن نقول إن ولادة القارئ لا بد أن تكون على حساب موت المؤلف وبذا يحسم بارت الصراع بين العاشقين المتنافسين على محبوب واحد فيقتل رولان بارت منافسه ليستأثر هو بحب معشوقه (النص) وينتصر القارئ على المؤلف ويخلو الجو للعاشق كي يمارس حبه مع محبوبه الذي لا يشاركه فيه مشارك. وتتحول العلاقة بين المؤلف والنص من علاقة بين أب وابنه على وجود الابن، إذ تتحول إلى علاقة (ناسخ) و( منسوخ ).
أي أن المؤلف لا يكتب من اللغة التي هي مستودع إلهامه، ولا وجود للمصدر إلا من خلال النص، ولولا النص ما كان المصدر[2].

ب – المتلقي (المرسل إليه):
بدأ الاهتمام المتزايد بالمتلقي وكان ذلك منذ ظهور ما بعد البنيوية ( Post- structuralism):
«فقد أثار» قتل البنيوية للمؤلف، وتحويلها التواصل البرغماتي إلى لعبة المنطق الشكلي التركيبية، واعتبارها النص الأدبي بنية مغلقة لا علاقة لها بالذات المتلفظة وبسياق التلفظ ... ردود فعل متباينة لعل أبرزها تبلور خطاب نقدي يحتفي بالعلاقة المتبادلة بين القارئ والنص.
بحيث ينظر إلى القراءة بما هو فعالية تعيد كتابة النص المرصود للقراءة.
كما أن النظرية اللسانية ساهمت بدورها في لفت النظر إلى المتلقي فهي تصادر على موضوعها هو النص، باعتباره «مرسلة مشفرنة» (Message Code) تنتقل عبر سيرورة تواصلية من «مرسل» (Destinateur) إلى مرسل إليه (Destinataire) ويتعين على المرسل إليه أن يحل شفرات تلك المرسلة، مما يعني أن التواصل لا يتحقق إلا حين يتم حل الشفرات هذا بذلك، يقضي «المنهج العلمي بدارسة النص ليس انطلاقاً من المرسل، أي المؤلف بل من زاوية المرسل إليه خاصة أي المتلقي»[3].

وإن ما يميز المتلقي امتلاكه حاسة التوقع والانتظار، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي الذي لا يكون إلا مجموعة طاقات وإمكانيات لغوية، والمبدع الفنان هو الذي يمتلك ناصية هذه الطاقات بحيث لا يكتفي بأداء المعنى وحده وبأوضح السبل، وإنما يجب أن يكون الوضوح في أجمل ثوب، بحيث يختار المبدع الشكل الملائم ليعبر عما يخالجه[4].

---

١ . عبد المطلب، محمد، ١٩٩٤م، ص٢٢١.
٢ . عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص ٧١،٧٢.
٣ . رشيد بندحدو، ١٩٩٤م، ص ٤٧٢-٤٧٣.
٤ . محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوب، ص ١٩٧.

ج) السياق
إنّ السياق عند ( جاكبسون ) هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها.
إنه الرصيد الحضاري للقول وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه ... ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله ... فلكل نص أدبي سياق يحتويه، ويشكل له حالة انتماء، وحالة إدراك .... وهو سابق له في الوجود. فالسياق أكبر وأضخم من الرسالة... وموضع النص من السياق مثل موضوع الكلمة من الجملة، فلا قيمة للكلمة من دون الجملة، مثلما أنه لا وجود للجملة من دون الكلمة[١].

إن «الضابط في كل قراءة هو السياق فالمعرفة التامة بالسياق، شرط أساس للقراءة الصحيحة، ولا يمكن أن نأخذ قراءة ما على أنها صحيحة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق لأن النص توليد سياقي ينشأ عن عملية الاقتباس الدائمة من المستودع اللغوي ليؤسس في داخله شفرة خاصة به تميزه كنص ولكنها تستمد وجودها من سياق جنسها الأدبي والقارئ حر في تفسير الشفرة وتحليلها، ولكن مقيد بمفهومات السياق».[٢]

**٣ – أنواع الخطاب**
تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعيتها، فهي ثلاثة:
• الخطاب القرآني
إنّ الخطاب القرآني خطابٌ إلهي، مطلق و لا نهائي في دوالّه و مدلولاته، و هو رسالة ربّانية لجميع الناس دون الانتصار إلى صفة طائفية أو جغرافية أو شعوبية معينة، «**يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ و أنثي و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير**»[٣].

إنّ الخطاب القرآني لانهائي الدال والمدلول أو التركيب خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله.
وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية النص نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمنه الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته.[٤]

• الخطاب الإيصالي
إن عملية الإيصال لا تكون إلا بوجود الأقسام الثلاثة المرسِل، والمرسَل إليه (المتلقي)، والرسالة؛ « قد ذهبت بعض الدراسات الحديثة، إلى دراسة هذا النوع من الخطاب تحت اسم La Pragmatique- النفعية أو التداولية»، وهذه الدراسات كما تقول (فرانسواز آرمينغو) تدرس «اللغة ظاهرة استدلالية، وإيصالية واجتماعية في الوقت نفسه».[٥]

يعني التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيءٍ يفترض وجود فاعل منتج له، و علاقة حوارية مع مخاطب أو مرسَل إليه؛ ومن الناحية الألسنية فإنّ فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحوّلات اللغة في الخطاب؛ فليست اللغة نظاماً وحيد الاتجاه، ولا الفاعل المتكلم وحدة شخصية، أو فرداً معروفاً في ممارسته القولية، بالرغم من أنّهما يمثّلان الأساس الضروري لنظرية اللغة والأسلوب؛ ففي علم اللغة نجد أنّ تصوّر الفاعل المنتج للخطاب تقترن

١ . الغذامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير، صص ٨-١١.
٢ . المصدر نفسه، ص ٧٨.
٣ . الحجرات، ١٣.
٤ . منذر عياشي، ١٩٩٠م، ص ٢٢٠.
٥ . عياشي، منذر، ٢٠٠٢، ص١٤١.

به ملاحظة حضوره في هذا الخطاب ذاته، فالفعل الفردي لتملُّكِ اللغة يدخلُ المتكلمَ في كلامه، وهذا اعتبار يعَدُّ جوهرياً في تحليل الخطاب، إذ أنّ الخطاب هو المكان الذي يتكوّن فيه فاعله، ومن خلال هذا الخطاب فإنّ الفاعل يبني عالمه كشيء ويبني ذاته أيضاً.[١]

ج) الخطاب الإبداعي

يقوم الخطاب الشعري الإبداعي على ستة عناصر كما حددها جاكبسون تغطي كافة وظائف اللغة بما فيها الوظيفة الأدبية.

فلقد وجد أن السمة الأساسية التي من أجلها وجد النص هي الاتصال، هذا ويأخذ النص سماته الخاصة من خلال تدرج وظائف عناصر الاتصال، والتي فصلهما جاكبسون في نظرية الاتصال(Communication theory )، وليس من خلال احتكاره لواحدة منها.[٢]

**٤ - الخطاب الأدبي**

إنّ البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالنقد استحوذ على اهتمامات دارسي اللغة والأدب منذ منتصف القرن العشرين، بفضل ما قدمته الحقول المعرفية الجديدة كاللسانيات والأسلوبية والسيميائية من مصطلحات وأدوات إجرائية، أسهمت في مقاربة الأثر الأدبي بعيداً عن المقولات النقدية التي كانت مستعارة من كل الحقول إلا حقل الأدب،« أنّه صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أنّ لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطي جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران و الملكة، نري الخطاب الأدبي صوغٌ للغة عن وعي و إدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرّد قناة عبور الدلالات، إنّما هي غاية تستوقفنا لذاتها، و بينما يكون الخطاب العادي شفّافاً، نري من خلاله معناه و لا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثخناً غير شفّاف يستوقفنا هو قبل أن يمكننا اختراقه، فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزاً أشعّة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجزٌ بلوري تصدّ أشعّة البصر عن اختراقاته».[٣]

إنّه يمكن لنفسه العمل على اللغة المألوفة ليخلق منها لغة جديدة غير مألوفة، كما تقول «جوليا كريستيفا» في الحديث عن الخطاب الأدبي: « إنّ الخطاب الأدبي يتطلّع دوماً لأن يجعل اللغة تنتقل في انزياحها و تحوّلاتها الجديدة إلى مستوي أرفع ممّا كانت عليه من قبل، إنّه يهدم العادة، لكن حقيقة هدمه بناء».[٤]

**٥ ـ الخطابة**

يرتبط «الخطاب» بالخطابة في النصوص التراثية، فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الوزن، فهي الإطار المثإلى الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية، ومن ثمّ فإن الجاحظ إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة والسياق، فهو يقصد البلاغة «ولم يذكروا بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة».[٥]

هناك علاقة بين الخطاب و الخطابة التي فصلها أرسطو طإليس عن الشعر، وقد قال عن مُكوّناتها: أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول.[٦]

**٦ ـ خطبة الجهاد و تحليل الخطاب الأدبي فيها:**

---

١ . فضل، صلاح: ١٩٧٨م، ص٩٠.
٢ . منذر عياشي، ١٩٩٠م، ص ٢١٨.
٣ . المسدّي، عبد السلام: ص ١١٢.
٤ . كريستيفا، جوليا: ١٩٩١م، ص٦١.
٥ . الجاحظ، البيان والتبيين، ج. ٣، ص. ١/٢٨.
٦ . أر سطو طإلىس، ١٩٨٣م، ص ١٨١.

إنّ الجهاد مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، والمراد به بذل الجهد، واستفراغ الوسع في قتال الأعداء، في قتال الكفار، بذل الجهد، قتال من ليس لهم ذمّة من الكفار[1].

والمادة كلها تدل على أن هناك مشقة، فلا جهاد إلا بمشقة، ولا مجاهدة للنفس إلا مع مشقة، ولا اجتهاد في عبادة إلا مع مشقة، ولا اجتهاد في علم إلا مع بذل مشقة، فالعلم لا ينال براحة الجسد، والاجتهاد عند أهل العلم: بذل الجهد، واستفراغ الوسع،[2] قد ورد في قوله تعالى: «**إنّ الذين آمنوا و الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله و الله غفورٌ رحيم**»[3]، فالجهاد في هذه الآية بمعنى القتال للدفاع عن دين الله، ولنصرة المستضعفين من عباد الله.

قال الإمام على (عليه السلام)، عن الجهاد:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَ شَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَ ذُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءَةِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيمَ الْخَسْفَ وَ مُنِعَ النَّصَفَ .

يوجه الإمام علي (عليه السلام)، خطابه إلى الأمّة ليدغدغ مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه هذا الموضوع الهامّ، إنّه هو المرسِل (المبدع) ويحاول إسماع المرسَل إليه (المخاطب أو المتلقّي) بواسطة الرسالة (الخطابة أو النص)؛ فهو يحسن التصرف في قوله، فتارة يرفع به صوته و تارة يخفضه، وتارة يثقله؛ أمّا المتلقّي فمن الواجب أن يستعطفَ ويستمال إليه، لينصرف إلى تصديق المبدِع، فإمّا يتأثّر ويميل نحوه، فيتمحور الحديث حول الجنّة والنعيم ورضوان الله، لكنّ المتلقي في حالة رفضه وعدم امتثاله للرسالة، يواجه القساوة والغضب،« فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَذُيِّثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ».

«وسيمَ الخسفُ، مأخوذٌ من قوله تعالى: «**يسومونكم سوءَ العذاب**»[4]، و «سيمَ» مقصورٌ، وفي وفي معناه «سيماء» ممدود، تأويله علامة الخسف»[5].

وأما قوله (عليه السلام): «وهو لباس التقوى» فهو لفظة مأخوذة من الكتاب العزيز قال الله سبحانه: «**قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى**»[6].

أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَ نَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً وَ قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ الْغَارَاتُ وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ [وَ] قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلْبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً فَيَا عَجَباً عَجَباً وَ اللَّهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَ لَا تُغِيرُونَ وَ تُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيُعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ وَ

---

١ . الزيات، أحمد حسن، ٢٠٠٤م، ص ١٤٢.
٢ . المصدر نفسه،ص ١٤٢.
٣ . البقرة، ٢١٨.
٤ . سورة البقرة، ٤٩.
٥ . ابن أبي الحديد،١٩٥٩م، ص٧٦.
٦ . سورة الاعراف ٢٦.

إذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إليهمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيفِ أَفَرُّ .

صبارة الشتاء بتشديد الراء: شدة برده، ولم يرو المبرد هذه اللفظة وروى: «إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر، وإن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر» . الصر: شدة البرد، قال تعالى: «**كمثل ريح فيها صر**»[1].

يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيظاً وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ عَلَى رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

إنّ من أهمّ مقوّمات هذه الخطبة التسلسل و التنظيم، واختيار الأدلّة والبراهين للتأثير على أذواق المخاطبين، والاقتباس من القرآن الكريم ( التناص القرآني)، واستخدام المقابلة والتمثيل والنداء والتشبيه؛ وهذه هي الأساليب التي تنبّه الحسّ الجمالي والمتعة في النفوس وتستعطف المتلقّي وتستحوذ على مشاعره وأحاسيسه بطريقة محبّبة؛ ولم تكن تستقم هذه المقوّمات إلّا مع براءة لسان المبدع (الإمام علي)، وسداد الرأي و الفصاحة والبلاغة عنده حين الإدلاء بدلوه للمتلقّين. كذلك المهارة عنده في إثارة العواطف وتحريك النفوس حين بناء الخطبة على الاستئناس وشدّة الانتباه و إثارة التشوّق.

## النتائج

إنّ من أهمّ النتائج التي وصلت إليه هذه المقالة، هي:

١ – هناك علاقة وثيقة بين «الخطاب» والخطابة؛ وجذورها تظهر في النصوص التراثية، فالخطابة هي إحدى الفنون الراقية يستخدمها العلماء والمفكرون والسالكين طريق الهداية والتنوير.

٢ - تتميز الخطابة عند الإمام علي(عليه السلام) بالبراعة واستخدام المحسّنات البيانية والبديعية واستخدام التناص القرآني لاستعطاف المتلقّي وإيصال الرسالة بأسلوب رائع يبتعد عن أساليب الجدل الجافّ .

٣ - إنّ خطبة الجهاد من أهم خطب الإمام علي (عليه السلام)، ويمتاز الخطاب الأدبي فيها بإيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها، حيث يكثر فيها اقتران اللفظ والمعنى والشعور والتعبير.

## قائمة المصادر والمراجع:


١ - ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، دار لسان العرب، بيروت، د.ط، د.ت.

٢ - الزيات، أحمد حسن، والآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.

٣ - عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م.

٤ - دى بوجراند، روبرت: النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٥ - عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.


١ . ، سورة آل عمران ١١٧.

٦ – بند حدو، رشيد: العلاقة بين القارئ والنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر، م ٢٣، العددان الأول والثاني، يوليو/ سبتمبر – أكتوبر / سبتمبر، ١٩٩٤م.
٧ - المسدي، عبد السلام، الأسلوبية و الأسلوب، الدار العربية للكتّاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٨ - إلياس انطون، إلياس، قاموس إلياس العصري، دار الجليل، بيروت، د.ط، ١٩٧٢م.
٩ - القرآن الكريم
١٠ – وهبة، مجدي _ المهندس، كامل: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
١١ - عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٠م.
١٢ – فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.
١٣ - كريستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.
١٤ - عياشي، منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
١٥ - الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط. ٣، (د. ت).
١٦ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.

# سياسة الامام (ع) المالية من نهج البلاغة (اضاءات في التشريع والتطبيق)

**الباحث: السيد علي محمود البعاج**

## (تقديم مدخلي)

استطاع الاسلام نقل بعض المفاهيم العقلية المعرفية الى حيز التطبيق والتعامل معها فقد وضع التشريعات الملائمة مثل: الزكاة / الخمس / الصدقة / والتي تسهم في معالجة الفارق الطبقي والسيد والعبد لبناء اواصر التعاطف والمحبة وتقليل التفاوت الطبقي بينهما استنادا الى القضية المنطقية ( امكان ارتفاع الضدين ) فالعلاقة بين الضدين في الاسلام ليست افناء طرف على حساب طرف اخر كما في الماركسية وانما علاقة توازن بين الطبقات[١] وقد عالج القران المجيد الجانب الاداري واهميته في عملية ادارة الشؤون المالية للمسلمين فولي امر المسلمين يجب ان يكون على استيعاب باحوال المسلمين الاقتصادية وتنظيم المصادر التي تكفل لهم العيش والعمل حد الكفاية ويسعى لتوعية المسلمين ليطيعوا التعاليم الاسلامية بخصوص الملكية وان يكون الفرد المسلم على علم بحدود الانفاق والاستهلاك.

ان الجانب الاداري للنظام الاقتصادي يجب ان يكون موازيا للجانب العبادي وهذا ما يتضح من النصوص القرانية الكريمة التي ابتغت ان يكون المسلم والمجتمع في حد الكفاية لا حد الكفاف وتنظيم ذلك «ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما ».

فولاة الامر يجب عليهم حماية الاموال من الذين لايعرفون تنظيمها اقتصاديا ولا يسعون الى تنميتها واعطاء حقها في الادخار والاستهلاك والاستثمار ويوصي الله الرازق جلت قدرته في كتابه الحكيم بالموازنة بين الدخل والانفاق فتعتبر زيادة الانفاق على الدخل موقعة للانسان تحت طائلة الدين او سلوك طريق السرقة والغش والاحتيال بل اكد على الانفاق بحسب مدخوراته ومدخولاته «**لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فاليتق مما اتاه الله لايكلف الله نفسا الا ما اتاها سيجعل من الله من بعد عسر يسرا**»[٢] وجانب مما يامر الباري المتعال بانفاق الاموال على المستحقين من اليتامى والمساكين وابن السبيل «**واتوهم من مال الله الذي اتاكم**»[٣].

## مباحث تمهيدية

### اولا:علاقة (المالية العامة) بالسياسة

تهتم العلوم السياسية بدراسة نظم الحكم والعلاقات بين السلطات العامة[٤] فيما بينها من جهه وعلاقتها بالمواطنين من جهة اخرى في حين تبحث المالية العامة في النفقات العامة والايرادات العامة في اطار هذه السلطات كما ان للاوضاع الدستورية والادارية في دولة معينة اثرها في ماليتها العامة حيث تختلف النفقات والايرادات العامة بحسب ما اذا كانت الدولة «استبدادية» او «ديمقراطية » (موحدة، بسيطة) كانت او (تعاقدية، مركبة) تمتلك نظاما اداريا مركزيا او لامركزيا، اذ ان للظروف المالية اثرا مهما في اوضاع الدولة السياسية فكم من دولة فقدت استقلالها السياسي وتعرضت لقيام الثورات بسبب في اضطراب في ماليتها العامة وعدم استقرارها[٥] (لقد وثق Dalton العلاقة بين المالية العامة والعلوم السياسية حيث يقول ان المالية العامة تقع على الحد الفاصل بين السياسة والاقتصاد).

---

١ . د. امال كاشف الغطاء: الاخلاق الاقتصادية الفردية في النظام الاسلامي اصدار مركز الثقلين / ص٤٥.
٢ . الطلاق /٧.
٣ . النور /٣٣.
٤ . د. طاهر الجنابي: علم المالية العامة والتشريع المالي الناشر: العاتك لصناعة الكتاب / القاهره ص١٤.
٥ . د. عادل احمد حشيش: اقتصاديات المالية العامة/ ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ / ص٧.

واكد Myrdal الصلة الوثيقة بين النظم المالية والعلوم الاجتماعية والسياسية في مؤلفه:
the political element in the develop pmentof economic theory)»
ولهذا يرى duverger ان المالية العامة ما هي الا فرع من فروع العلوم السياسية

**ثانيا /النظام المالي من النظم الاسلامية:**

الاسلام هو المتغير الحضاري في ق ١ الهجري فلم يكن مجيء الاسلام حدثا كلاسيكيا في عصره لاسباب عديدة ومنها:

١ - طبيعة الاسلام نفسه كونه دينا ذا نظرة ثورية شاملة للحياة حضاريا واجتماعيا

٢ - طبيعة العصر: حيث وصل التدني في العلاقات الانسانية حدا اصبح لاينفع معه الا التغيير الجذري واعادة بناء علاقات انسانية على اسس جديدة ولذلك فان الاسلام لم يكن دينا وعظيا ارشاديا وانما كان دينا تحويليا ومن تلك النظم الاسلامية التي ارساها في الحياة الاجتماعية والاقتصادية هو: النظام المالي وكانت بداياته على عهد النبي الاقدس (صلي الله عليه و آله وسلم) والذي عرفت ايامه (صلي الله عليه و آله وسلم) بتدوين ايرادات الدولة وضبطها فيذكر المسعودي حول تصنيف الكتابة للرسول: «ان المغانم والصدقات والاموال كان لكل منها كاتب متخصص فيها فالزبير للصدقة ومعيقيب بن ابي فاطمة الدوسي للمغانم..... الخ».[١]

وقد تصدى الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) تنظيم شؤون حكومته الادارية والمالية فاخذ منذ الوهله الاولى ارساء دعائم هذه الدولة الجديدة على اسس ثابتة فبدا بهذه الخطوات المهمه:

١ - المؤاخاة بين المهاجرين والانصار.

٢ - دستور المدينة، الذي نظم العلاقات بين المسلمين واليهود والذي يهمنا من هذه الوثيقة انها حوت نصوصا مهمه عينت ونظمت النواحي المالية لحياة المسلمين ومن ذلك:

أ- ان المهاجرين من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وكذا الحال بالنسبة لبقية القبائل الداخلة في الاسلام.

ب- ان المؤمنين لايتركون مفرجا بينهم ان يعطوه بالمعروف في فداء او عقل.

ت- ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين.

ث- «لكل اناس حصصهم من جانبهم الذي قبلهم وان يهود الاوس ومواليهم وانفسهم على مثل ما لاهله هذه الصحيفة من البر الحسن من اهل هذه الصحيفة »[٢] أي ان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم. وهكذا نجد ان هذه الوثيقة ثبتت بعض المبادى المالية الاساسية وهي ابقاء نظام الديات القديم ونظام وفاء دين المدين الذي لامال له.

**ثالثا /جذور النظام المالي الاسلامي:**

وضع النبي (صلي الله عليه و آله وسلم) القواعد الاساسية للنظم المالية في الدولة العربية الاسلامية ومن الطبيعي انه (صلي الله عليه و آله وسلم) قد استند على سوابق هامه اضافة لاحكام الشريعة الاسلامية الغراء هذه السوابق تتمثل في تنظيمات البلاد المفتوحة التي كانت واقعة تحت سيطرة الساسانيين والبيزنطيين، ولهذا فان اعطاء فكرة موجزة عن هذه السوابق التاريخية يعتبر امرا ضروريا لكي تتضح جذور هذه التنظيمات ولتتبين ما استمر منها وما عدل او تغير. وقد اتبع الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) سياسة اقتضتها الظروف الانية وهي تتصف بالمرونة وبمراعاة حالة البلاد التي دخلت ضمن الدولة الجديدة وهذا مؤشر مهم على منهجية الانفتاح والاعتدال التي تميزت بها الدولة الاسلامية.

**رابعا: لمحات عن النظام المالي الساساني**

وتتالف موارد الدولة الساسانية من:

١ - الضرائب:

---

١ . م. ن.

٢ . المسعودي: التنبيه والاشراف دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٨٧ م / ص٢٤٥-٢٤٦. + خولة شاكر الدجيلي: بيت المال نشاته وتطوره من القرن الاول حتى القرن الرابع الهجري مطبعة وزارة الاوقاف / بغداد ١٩٧٦ / ص٢٣

أ- الجزية
ب- الخراج
وهاتان الضريبتان ابقاهما الحكم الاسلامي
٢ - الضرائب الاستثنائية: وهي التي كانت الدولة الساسانية تجبيها اثناء الحروب الطويلة مع البيزنطين لاحتياجها الى اموال وتقع عبؤها على الاقاليم الغربية الغنية وخاصة العراق كما يقول: (كريستنسن) في كتابه (الدولة الساسانية).
٣ - الهبات المنظمة: وهي ضرائب (الايين) التي كانت تقدم للشاهن شاه اثناء عيدي النيروز والمهرجان.
٤- الضرائب المفروضة من قبل رجال الدين على افراد الشعب[١].
٥ - املاك ملوك الخاصة: وهي شبيه بالضياع السلطانية ايام العباسيين[٢].
٦ - غنائم الحروب
٧ - دخل المكوس وهو مانظمته الاتفاقيات التجارية المعقودة بين الفرس والروم[٣]
وقد قسم بعض الباحثين مصادر الدخل في النظام المالي الساساني بصورة رئيسة الى:
اولا: الضريبة العقارية
ثانيا:الضريبة الشخصية[٤]

## المبحث الاول: بيت المال

**اولا: تاسيس بيت المال**

هو الخزينة المركزية في العاصمة او لربما يشبه وزارة المالية في عصرنا المعاش حيث كانت واردات الاقاليم والامصار تجمع في العادة في دواوين الخراج المحلية وبعد ان ينفق الوالي ما يلزم للادارة المحلية والمصالح والخدمات يرسل الباقي الى بيت المال المركزي لان الواردات كما لاحظنا تعد ملكا مشتركا للمسلمين تصرف في مصالحهم ولذلك سمي بيت المال في العاصمة (بيت مال المسلمين) وبمرور الزمن تميز بيت المال المركزي عن (بيت المال الخاص)وهو بيت مال الخليفة الذي له موارده الخاصة و املاك الخليفة ومما يرثه الخلفاء من اباءهم واقرباءهم من الهدايا المقدمة وكانت الهدايا ثمينة كما فعل معاوية عندما اعاد الهدايا ايام الساسانيين وهي اعياد النيروز والمهرجان وانصرف تفكير الخلفاء المسلمين الاول منذ بدات الاموال تنهال على الدولة نتيجة الفتوحات (الغزوات) الى وسيلة لحفظها ريثما تنفق في مصالح الجماعة الاسلامية فاسس (بيت المال) وهو الاصطلاح الذي اطلق على المؤسسة التي قامت بالاشراف على مايرد من الاموال وما يخرج منها في اوجه النفقات المختلفة وحين نضجت النظم الادارية والنظم المالية في العصر العباسي لاحقا اصبح بيت المال يشرف على الرقابة المالية وكان بيت المال احد الدواوين العظيمة الاهميه في الدولة الاسلامية حتى سمي بالديوان السامي لانه (اصل الدواوين ومرجعها اليه) وصاحبه يقوم بمهمة وزير المالية او هو بتعبير اخر (الخزينة العامة)[٥].

---

١ . ابن هشام ، ابو محمد بن عبد المالك: سيرة النبي محمد (ص) مراجعة: محمد محي الدين عبد الحميد / القاهره ١٩٣٧ /ج٢ ص١١٩.
٢ . د . فاروق عمر فوزي: واردات الدولة ونفقاتها: كتاب حضارة العراق: نخبة من الباحثين العراقين بغداد ١٩٨٥/ ص٣٦٣-٣٦٨ ،ج٥.
٣ . ارثر كرستنسن: ايران في عهد الساسانيين ترجمة يحيى الخشاب القاهره ١٩٥٨ ص٣٤١.
٤ . م .ن ص١١٢.
٥ . خولة الدجيلي: مصدر سابق/ ص ٢٧.

واختلف الباحثون في وجود بيت المال على عهد رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) فمنهم من يثبت[1] ومنهم ينفي ويعلل النافون[2] ذلك بادلة:

١ - ان الاموال التي كانت ترد الى الدولة الاسلامية في عهد الرسول قليلة فهي لم تكن تتجاوز اموال الصدقات / الجزية / الغنائم

٢ - ان الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) لم يقبل عنده مالا ولايبيته وقد وضع الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) مبدا اساسيا من مبادئ المحاسبة المالية فقد استعمل الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) رجلا من الازد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللثيبة فلما جاء حاسبه فقال هذا مالكم وهذا هدية فقال رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) فهلاّ جلست في بيت ابيك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا[3] وبهذا يتضح جليا ان الجهاز المالي بسيط جدا في البداية شانه في ذلك شان بقية هياكل الدولة وكانت وظيفة بيت المال جمع اموال المسلمين لتوزيعها[4].

وقد تعرض بيت المال في مساره التاريخي وتطوره المالي الى عدة تداعيات منها (خلال حكم الامام علي)

١ - تبدد بيت مال البصرة عندما وضعت عائشة وطلحة والزبير ايديهم عليه[5]

٢ - لم تعد مصر ترسل مؤونة الى المدينة وبعض مناطق الحجاز بعد مصرع عثمان أي الى بيت المال لعدم انتقال العاصمة بعد الى الكوفة

**ثانيا: عوامل تاسيس بيت المال (التنظيم المالي):**

١ - قيام الدولة الاسلامية وبدايات التنظيم الاداري: لم تشهد الجزيرة العربية قبل الاسلام تنظيمات مالية بالمعنى المعروف بسبب غياب الدولة الموحدة فقد كانت الوحدة الاجتماعية والسياسية الكبرى هي القبيلة التي اعترف الافراد لها بالولاء وقد اعتبر العرف القبلي هو القانون السائد والمطاع وقد حالت الطبيعة الصحراوية الجافة الشبه الجزيرة العربية دون قيام مجتمعات كبيرة مستقرة وتكون حكومة منتظمة تضمن على افرادها حقوق وعليها اتجاههم واجبات.

٢ - الفتوحات وتدفق الثروة: بدات الدعوة الاسلامية بالانتشار في شبه الجزيرة العربية على عهد الرسول (صلي الله عليه و آله وسلم) فقد حارب اليهود بعد ان نقضوا عهدهم معه وانتصر عليهم ثم جاء فتح مكة وبعدها بدا النبي (صلي الله عليه و آله وسلم) بارسال البعوث الى اليمن فالبحرين حيث كان اخر مال وصل اليه ٨٠٠.٠٠٠ درهم[6].

وفي الخلافة الراشدة، ما كادة حروب الردة ان تضع اوزارها حتى توجهت الجيوش الى جبهتي الروم والفرس ففي عام ١٣ هـ فتحت الشام وفي عام ١٥ هـ فتحت فلسطين وبعد معركة القادسية فتح العراق واستمرت الفتوحات حتى تم الاستيلاء على اكثر اقاليم الفرس وفي المغرب ايضا فتحت مصر ثم افريقيا من الاقاليم الرومية.

---

١ . خولة الدجيلي: بيت المال (مصدر سابق) نقلا عن جرو نيباوم، جوستاف حضارة الاسلام ترجمة: عبد العزيز جاويد ، القاهره ١٩٥٦ / ص٢٠٥.

٢ . طلس محمد اسعد: تاريخ الامة العربية – عصر الانطلاق ط ١ بيروت ١٩٥٧ ص١٥٣+ خولة شاكر الدجيلي: بيت المال (مصدر سابق).

٣ . فؤاد علي ، ابراهيم: الموارد المالية في الاسلام القاهره/ ١٩٦٨ ص٢٢٦.

٤ . د. الحبيب الجنحاني: التحول الاقتصادي والاجتماعي مجتمع صدر الاسلام /دار الغرب الاسلامي / لبنان الطبعة الاولى /ص٢٢.

٥ . المصدر السابق.

٦ . د. نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة و الراشدين / دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام ط١ بغداد ١٩٩١ نقلا عن اليعقوبي/ ص٣٣٩.

ومن هنا كان لابد للحياة ان تتغير عقب هذه الفتوح الكثيرة التي ادت الى ان تتحول الجماعة الاسلامية الى دولة مترامية الاطراف فقد تدفقت الاموال بصورة اذهلتهم وكان لابد لهذه الاموال من نظام يتحكم فيها وينظم حفظها وتوزيعها[١].

وفي عهد امير المؤمنين (عليه السلام) كان بيت المال المركزي في الكوفة وبيوت الاموال الفرعية في الامصار فقد ذكر الاصطخري مثلا ان بيتا للمال بالرقة على عهد الامام علي(عليه السلام) في ايام صفين[٢] وكان ابو رافع مولى رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) خازنا لبيت المال ايام خلافة الامام (عليه السلام).

ثالثا: ميزانية بيت المال

يتبع في كل انشطة الحياة الاقتصادية اسلوبا يراع فيه التنظيم المالي وقد قسم بعض الباحثين موادر بيت المال الى:

١ - ضرائب مفروضة على المسلمين في النظام الجبائي:

أ- الصدقات

ب- العشور

٢ - ضرائب على اهل الذمة

أ- الجزية

ب- الخراج

٣ - خمس الغنائم[٣]

## المبحث الثاني: الايرادات

اولا: الخراج

الخراج: الضريبة التي كانت تدفع لخزينة الدولة عن الاراضي التي احتلها المسلمون حتى ولو اسلم صاحبها ويختلف مقدار الخراج بحسب نوعية الارض وطريقه سقيها وريعها واستغلالها ونوعية المحصول وكانت هذه الضريبة تفرض على محاصيل الحبوب والاشجار المثمرة وكانت تدفع سنويا بعد الموسم[٤].

فالخراج ضريبة وضعت على الارض[٥] اذ كانت الجزية تلغى عن الذمي باسلامه فان الخراج لايسقط بالاسلام.

الخراج لغة: اسم للكراء والغلة ومنه قول النبي (صلي الله عليه و آله وسلم): «الخراج بالضمان» ومع ان كلمة (الفيء) تطلق على موارد البلاد المفتوحة وهي:

الخراج – الجزية – ضرائب التجارة

فان التركيز على الخراج لاهمية واردات الارض[٦].

وكانت الضريبة تؤخذ على المساحة زرعت ام لم تزرع فاذا اخذت هذه الضريبة نقدا او على المساحة كانت تسمى (خراج الوظيفة)وهنا لابد من التنويه ان اصطلاح (الخراج) يتداخل مع اصطلاح (الجزية) ويبدو ان الاصطلاحيين مترادفان في صدر الاسلام.

---

١ . خولة الدجيلي: بيت المال مصدر سابق.

٢ . خولة الدجيلي: بيت المال مصدر سابق.

٣ . هاشم المحنك: مصدر سابق ص٦٩

٤ . د. الحبيب الجناني: التحول الاقتصادي ص٣٣.

٥ . د. ابراهيم سلمان الكروي +د. عبد التواب شرف الدين: المرجع في الحضارة العربية الاسلامية ذات السلاسل / الكويت ١٩٨٧ / ص١٢٨.

٦ . الماوردي: الاحكام السلطانية ص١٤٦ + نجمان ياسين (مصدر سابق) ص٢٠١.

الا ان مفهوم (الجزية) بمعنى ضريبة الراس ومفهوم الخراج بمعنى وارد الارض بدا يتبلور بصورة تدريجية[1].

وفي زمن خلافة الامام علي (عليه السلام) فان الاضطرابات التي حدثت بسبب معارضة معاوية وبغيه ادت الحاجة الى انشغال الامام الخليفة في هذا النزاع وقد اساء بعض الولاة استغلال مناصبهم في الثراء وكذلك جنح بعض عمال الخراج.

*** جباية الخراج**

عين الامام عماله على الخراج والجدول الاتي يوضح بعض الاسماء:

| ت | اسم العامل | موقعه |
|---|---|---|
| ١ | عبد الله بن سلمة | سواد الكوفة |
| ٢ | قرظة بن كعب الارحبي | عين التمر |
| ٣ | وقدامة بن مظعون | كسكر |
| ٤ | عدي بن الحارث | بهر سير واستانها |
| ٥ | ابا حسان البكري | استان العالي |
| ٦ | سعد بن مسعود الثقفي | استان الزوابي |
| ٧ | حضين بن مقاتل | الدسكرة |
| ٨ | عبيدة السلماني | الفرات[2] |

وبرغم ان عليا (عليه السلام) كان قد رفض اقتسام النفوذ بينه وبين معاوية وذلك بان يكون العراق له والشام لمعاوية[3] مدركا خطورة هذه النزعة الانفصالية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا

فقد استغل بعض عماله الصراع السياسي وبداوا يتلاعبون بالخراج ويقدمون حجج واهيه وقف منها بحزم وشدة[4] وقد استغل بعض العمال ومن منطلق قبلي منصبه لتحقيق بعض الفوائد المادية

المادية لبني عمومه كما حصل للمنذر بن الجارود العبدي الذي كتب اليه علي مؤنبا: « اتعمر دنياك بخراب اخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك»[5].

*** الجباية ومقاديرها**

يروي البلاذري عن مصعب بن يزيد عن ابيه ابن زيد الانصاري: ( بعثني علي بن ابي طالب على ما تسقى الفرات وذكر رساتيق وقرى فسمي انهر الملك وكوثى وبهر سير والرومقان ونهر جوبر ونهر در قيط والبهقبا ذات وامرني ان اضع على كل:

| ت | المحصول | الجباية |
|---|---|---|
| ١ | جريب رزع غليظ من البر | درهم ونصف وصاع من طعام |
| ٢ | جريب وسط | درهم |
| ٣ | جريب رقيق من الزرع | ثلثي درهم |
| ٤ | الشعير | نصف ذلك |
| ٥ | البساتين الجامعة للنخل والشجر | عشرة دراهم |
| ٦ | جريب الكرم | عشرة دراهم |

١ . الماوردي: الاحكام السلطانية ص١٤٦ + نجمان ياسين (مصدر سابق) ص٢٠٨.
٢ . د . فاروق عمر فوزي: واردات الدولة ونفقاتها / حضارة العراق ج٥ / دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥/ ص٣٧٤.
٣ . د. صالح العلي: الخراج في العراق في العهود الاسلامية الاولى / مطبوعات المجمع العلي العراقي مطبعة المجمع ١٩٩٠ /ص٢٨٤.
٤ . د. محمد عمارة: الخلافة نشاة الاحزاب الاسلامية /ص١١٥.
٥ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق ص٣٣٩.

| | | |
|---|---|---|
| ٧ | نخل شاذ ياكله من مر به | ـــ |
| ٨ | الخضروات | ـــ [١] |

وذكرت المصادر ان الامام الخليفة طلب من واليه على عكبرا استعمال الشدة مع اهل الخراج غير انه اوصاه: «لاتبيعن للناس في الخراج كسوة شتاء ولاصقع ولادابة تحتملون عليها ولايضربن احد سوطا لمكان درهم»[٢].

ويتضح الحسن الاخلاقي والمنحى الانساني المتاتيان من ورعه وتقواه وقال: «قال قلت يا امير المؤمنين اذا ارجع اليك كما ذهبت من عندك ؟ قال: ان رجعت كما ذهبت ويحك، انا امرنا ان ناخذ منهم العفوا، يعني الفضل »[٣].

*** الية الجباية**

نستطيع ان نستنتج من الروايات التاريخية ان هناك ثلاث طرق للجباية وهي:

١ - المحاسبة
٢ - المقاسمة
٣ - المقاطعة[٤]

* سياسة الامام الخراجية

هناك مختلف القنوحات الجبائية و قنوحات التوزيع- كما لاحظنا سلفا- انفاقا استهلاكيا او انفاقا استثماريا ومنهجية الامام علي يمكن ان نجملها:

اولا: من عهده الشهير لمالك الاشتر حين ولاه مصر: «وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله فان في صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولاصلاح لمن سواهم الا بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله» ثم يذكر في موضع اخر من عهده:

«وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لان ذلك لايدرك الا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد واهلك العباد ولم يستقم امره الا قليلا »[٥].

نستشف من هذا العهد العظيم منهجيته (عليه السلام) في الخراج:

أ- فالامام (عليه السلام) يوصي بصلاح حال الامة برعاية انتاجها فليس من المهم هو فرض الضرائب والخراج دون النظر فيما يصلح الامور ويدفع نحو تحسين الوضع وتجنب كل ما يسبب عرقلة الانتاج[٦].

ب ـ اعتبر (عليه السلام) منهجية الخراج واسا جبايته ركن (الاصلاح) لذا يقول: (عليه السلام) وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله )لان اصلاح المصدر يحقق ابعاد عديدة ومختلفة وفي مقدمتها الجوانب الانتاجية.

ت- اعتبر مصدر الخراج، والخراج بعينه هدفه التوزيع و الانفاق بالعدالة لصلاح كل الاطراف في المجتمع الاسلامي وتحقيق غاية جبايته.

ث- لمراعاة تكامل الاصلاح من المصدر (الخراج) والانفاق المناسب بكل ابعاده امر ضروري لاصلاح بعضهم بعضا (الناس كلهم عيال على الخراج واهله ) والذي يدعم استمرارية هو عمارة الارض بشقيها: الاستثماري والاستهلاكي.

ج- ليس جباية الخراج – كما ذكرنا – هدفا لكنه وسيلة لتحقيق اهداف انسانية سامية فهو يقول (عليه السلام): (وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج) والدقة

---

١ . نهج البلاغة: ج٣/ ص١٣٢.
٢ . البلاذري: فتوح البدان + صالح العلي . الخراج/ ص ٢٧٠.
٣ . د صالح العلي: الخراج / مصدر سابق/ ص٢٨٥.
٤ . د. نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية (مصدر سابق ) ص٣٤٠.
٥ . د. فاروق عمر فوزي: واردات الدولة ونفقاتها ص٣٧٧.
٦ . نهج البلاغة: ص٤٣٦.

والنظرة الاخلاقية والانسانية ومستقبل الاقتصاد الاسلامي الذي يوضحه بالتحليل اللاحق بقوله: (لان ذلك لايدرك الا بالعمارة » والنظره الى اهمية التنمية المتمثلة في العامرة بكل جوانبها التي تكون مردوداتها الاقتصادية – الاجتماعية او الجدوى الاقتصادية ومستقبل المجتمع لذا فان:

١ - تدهور الجانب الاقتصادي يكون من خلال عدم التنمية الاقتصادية الصحيحة والمناسبة

٢ - تدهور الحالة الاقتصادية للمجتمع يؤثر على ابعاد اخرى تقع سلبا

٣ - يكون التفاوت الطبقي على اساس غير انساني ويكون وفقا لعدم حماية المجتمع ويكون المستفيدون القلة وعلى حساب المجتمع وحقوقهم فقد اصر الامام في سياسته على اصلاح الانهار لان ذلك اعظم فائدة في جباية الخراج واستقرار الاحوال الاقتصادية فقد كتب الى قرضة بن كعب الانصاري: (اما بعد فان رجالا من اهل الذمة من عملك ذكروا نهرا في ارضهم قد عفا وادفن وفيه له عمارة على المسلمين فانظر انت وهم ثم اعمر واصلح النهر فلعمري لئن يعمروا احب الينا من ان يخرجوا وان يعجزوا او يقصروا في واجب من صلاح البلاد والسلام)[١].

ح- وفي تحصيل الخراج يؤكد لعماله: (فان قائل قال: لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه وتوعده او تعسفه او ترهقه)... حتى ينتهي حديثه (عليه السلام): (فان استقال فاقله)[٢].

ثانيا: يرى (فان فلوتنvan floten ) ان هدايا النيروز والمهرجان كانت تقدم للقادة والولاة العرب ترضية لهم ولكن عليا (عليه السلام) كان يحتسب هذه الهدايا من ضمن الخراج ويسقط عنهم ثمنها فقد روي ( ان قوما من الدهاقين اهدوا اليه جامات فضية فيها الاخبصة فقال ما هذا ؟ فقالوا: يوم نيروز فقال نيروزنا كل يوم فاكل الخبيص واطعم جلساءه وقسم الجامات بين المسلمين وحسبها في خراجهم)[٣].

**ثانيا: الزكاة (الصدقات)**

اقر الاسلام الصدقة من منطلق ان للفقراء حقا في اموال الاغنياء الذين ينوبون عن المالك الاول الذي هو الله تعالى وقد ذكرت الزكاة في كثيرمن الايات المكية ويبدو ان (الصدقة) كانت بمكة طوعية، اختيارية وانها قد اصبحت فرضا محددا في المدينة مما يوحي بازدياد متطلبات الدولة المادية وحاجتها الى المصاريف ويرى (watt) ان اسم الزكاة قد اطلق على الصدقات الرسمية في حين احتفظت (الصدقة) بمعنى الهبات الاختيارية[٤].

(وقد كان الاساس الرئيس في اقتصاد الصحراء هو الاقتصاد الطبيعي أي القائم على المبادلة بالنوع لا بالنقد لان النقد كان قليلا عند البدو وان الثروة الحيوانية الرئيسية هي الابل والماشية – الغنم- وكذلك التي توجد بكميات قليلة)[٥] وذلك ماعلل به.

د - (العلي) الصدقات العينية

٥ - فالزكاة: هي الضريبة التي تؤخذ من اموال المسلمين اذا بلغت النصاب وتشمل:

- النقدين: الذهب والفضة (بشروط).
- الانعام الثلاثة: الابل / البقر / الاغنام (بشروط)[٦].
- الغلات الاربع: الحنطة /الشعير/ التمر / الزبيب (بشروط).

---

١ . د. امال كاشف الغطاء: الاخلاق الاقتصادية الفردية في الاسلام.

٢ . اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي "(مصدر سابق)ص١٠٩ +د. نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية (مصدر سابق ص٣٣٧).

٣ . د. محمد طي: مصدرد سابق + د. طلال الجنابي: ابو تراب علي بن ابي طالب /الدار العربية للموسوعات ط١ /٢٠٠٣ /ص٢٧٤.

٤ . د. نجمان ياسين: تطوع الاوضاع الاقتصادية/ نقلا الجاحظ: المحاسن والاضداد ص٣٣٧.

٥ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق.

٦ . د. صالح العلي: تنظيم جباية الصدقات في ق١ هـ ص٨٦٩.

- وبعضهم يقسمه حسب (الاموال) الى ظاهره وباطنه[1].

«مناقشة وتعقيب»

١. كانت موارد (الزكاة) من اهم الميادين التي خالف الامام علي فيها تخبطات عثمان المالية فقد روى الواقدي باسناده قال: «قدمت ابل من ابل الصدقة على عثمان فوهبها للحارث بن الحكم بن ابي العاص »[2].

٢ - وكان يتصدق من ماله بـ (ينبع) وغيرها وحينها قال: (عليه السلام) «رئيتني وانا رابط الحجر على بطني من الجوع وان صدقتي لتبلغ في اليوم ٤٠٠٠ دينار وفي رواية ٤٠.٠٠٠ دينار )[3].

٣ - يقول الامام فيها: (ان الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا لاهل الاسلام)[4].

٤ - ومن بعض وصاياه في اعطائها:(فلا يتبعها احد نفسه ولايكثرن عليها لهفة ) مؤدى قوله حول الرضا وطيب النفس في اعطائها[5].

* مصرف الزكاة

وتصرف الزكاة على مستحقيها وهم: الفقراء – المساكين – العاملين عليها (الجباة) – المؤلفة قلوبهم - في الرقاب (الرقيق) – الغارمين في سبيل الله – ابن السبيل. وتلك التقسيمات حسب الاية الكريمة[6].

وقد جعل الامام امير المؤمنين جباة الزكاة يختلفون عن جباة الخراج

فالزكاة/ حق اجتماعي ووسيلة مهمة من وسائل التكافل الاجتماعي وهي ليست احسانا من الموسرين والاغنياء ولهذا فان النصوص المقدسة من الكتاب والسنة الشريفين تقرنها دائما (بالصلاة) التي هي عمود الدين.

والصدقة هنا لم تكن تشكل الدخل الاول في وارد الدولة – الا انها كانت كما يبدو تشكل نسبة لايستهان بها والزكاة لاتعد موردا ماليا للدولة بمعنى صحيح او دقيق[7].

ومن وصاياه الى عماله على الصدقات:

«فان كان له ماشية او ابل فلا تدخلها الا باذنه فاذا اتيتها فلا تدخلها عليها دخول متسلط عليه....به ولاتنفرن بهيمة ولا تفزعها ولا تسو ان صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيره فاذا اختار فلا تعرض لما اختاره...الخ)[8].

## ثالثا: الخمس

* موارد الخمس

يجب الخمس في:

١ - الغنيمة المأخوذة بالقتال ومن الكفار الذين يحل قتالهم.

٢ - المعدن ومنه الذهب والفضة وكثير غيرهما.

---

١ . ا لشروط: النصاب / السوم / الحول.

٢ . السيد الشهيد محمد الصدر: الصراط القويم ص١٢٦-١٣٢ مطبعة الاداب النجف الاشرف +د. عبد الهادي الحكيم: حواريات فقهيه ط١١ دار الملاك ٢٠٠٣ ص١٨١-١٨٧.

٣ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص١٤٣ ج٢ دار احياء الكتاب العربية /القاهره.

٤ . د. حبيب الجنحاني:التحول الاقتصادي والاجتماعي .....

٥ . د. هاشم المحنك: اوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد امير المؤمنين (ع) /دار انباء للطباعة والنشر / النجف ص٦٠-ص٦٠-٦٢

٦ . مصدر سابق.

٧ . ((انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين في سبيل الله وابن السبيل فريضة من من الله والله عليم حكيم )) التوبة /٦١.

٨ . خولة الدجيلي: بيت المال...ص١٠٢.

٣ - الكنز.
٤ - الغوص – كلما اخرج من البحر بالغوص مما ليس حيوانا ولا جزء حيوان
٥ - الفاضل عن مؤونة السنة –على تفاصيلات كثيرة اوردها الفقهاء المسلمون الاماميون[١].
٦ - الارض المشتارة من قبل الذمي من المسلم.
٧ - الاموال المختلطة بالحرام.

اما المذاهب الاخرى فترى (الخمس): خمس الفيئ وخمس الغنيمة اما الفيئ:فهو كل ما وصل اليه المسلمون من غير قتال واما الغنيمة: فهو ما وصل اليه المسلمون عن طريق القتال[٢] وقال تعالى: «**وما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دولة بين الاغنياء منكم** »[٣].

وقال تعالى ايضا: «واعلموا انما غنتمتم من شيئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين...»[٤].

فكان الخمس من الفيء والغنيمة للدولة والاربعة اخماس الباقية تقسمهم على المقاتلة الا اذا ارتاى الخليفة او الامير ان يطلق الاسرار مثلا وقد اختلف الفقهاء فيما تشمله الغنيمة ومن اجراءاته في هذا المجال اصلاحه لما تقدم من عهده من كوارث مالية «فقد وهب عثمان خمس افريقية الى مروان بن الحكم / طريد رسول الله».

ولهذا رأينا عليا مزمجرا هادرا فيلجا الى:
- مصادرة اموال عثمان.
- توزيع هذه التركة بالحق.

فترك نصا واقعيا جديرا بالتامل والدراسة: «والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الاماء لرددته فان في العدل سعة من ضاق عليه العدل فالجور عليه اضيق »[٥].

ومن تلك وهذه التداعيات لم يكن الامام محبوبا من اثرياء قريش وكان يتوعدهم ويلوح لهم بانه سيغير اشياء كثيرة ان صار الامر بيده[٦].

## رابعا: العشور

وهي الضرائب التي فرضت على تجارة اهل الذمة واهل الحرب الذين يدخلون الارض العربية الاسلامية[٧] وكما عرفها عبد اللطيف بدوي في كتابه( الميزانية الاولى في الاسلام ): انها الضربية المفروضة على الاموال التجارية الصادرة والواردة الى الدولة الاسلامية[٨] واول من اوجدها في الاسلام: عمر بن الخطاب وما بايدنا من المصادر وحسب تتبعي المتواضع فلم اجد عليا امير المؤمنين قد اقر هذه الضريبة علما ان الفقهاء كرهوا هذه الضريبة وحرموها واعتبروها من رسوم البلاد الجائرة[٩].

---

١ . صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة ص٣٨٠ +محمد محمد بان: حياة امير المؤمنين عن لسانه ص٣٩٢ ج٤ مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة + نجاح الطائي: سيرة الامام ج٤ /دار الهدى لاحياء التراث ٢٠٠٣ بيروت +اصغر ناظم زادة ص ٢٢٤.
٢ . الشهيد محمد الصدر الصراط القويم مصدر سابق ص١٤٦ + د. عبد الهادي الحكيم حواريا فقهيه ص١٩٢.
٣ . الحشر/٧.
٤ . الانفال /٤١.
٥ . د. فاروق عمر فوزي: واردات الدولة ونفقاتها ص٣٧٠.
٦ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص٤٦ ج١.
٧ . د. نجمان ياسين: تطور الاوضاع الاقتصادية ص١٣ -٣٣.
٨ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق ص٢١٠ +د. هاشم المحنك: اوضاع الكوفة ص٦٠.
٩ . د. خولة الدجيلي: بيت المال ص١٠٧.

ويلحق بهذه (العشور) المكوس فقد اخذت الدولة الاسلامية منذ عهد عمر ضرائب على التجارة اشبه ماتكون بالمكوس ومقدارها ربع العشر من التجار المسلمين ونصف العشر من تجار اهل الذمة اما التجار الاجانب فمنهم العشر[1].

## خامسا: الغنائم

الغنائم تقسم الى:

١ - الفيء

٢ - الغنيمة[2]

فاما الفيء: فهو كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا ايجاف خيل ولا ركاب حسب الاية القرانية.

اما الغنيمة/ فهي ماحصل عليها المسلمون عنوة وقهرا وتحدد الغنائم وفقا لما يسيطر علي المد الاسلامي العسكري من تجهيزات وسلاح العدو وله ارتباط مقنن (بالخمس) وكان ذلك عن طريق الفتوحات والمعارك التي خاضها المسلمون وفي اثناء عهد الامام وخلافته بالكوفة كان منهمك في دحر التمرد الاموي ووأد الفتن الداخلية فلم تكن هناك غنائم بالمعنى الدقيق كمورد في بيت المال ومن الضرورة بمكان الاشارة الى الحديث البلاذري والطبري حول موقعة قريبة من الهند «فلما كان اخر سنة ثمان وثلاثين واول سنة تسع وثلاثين في خلافة علي بن ابي طالب (رض) توجه الى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدي متطوعا باذن علي فظفر مغنما وسبيا وقسم في يوم واحد الف راس »[3].

هذا هو النص الوحيد الذي اطلع عليه البحث من المصادر حول معارك خارجية للامام (فتوحات). وما يستتبعها من «الغنائم».

## سادسا: الجزية

ضريبة تؤخذ من اهل الذمة مقابل حماية الدولة لهم وضمان سلامتهم واستقرارهم في مدنهم ومناطقهم والجزية تسقط بدخول الذمي في الاسلام ولذا سميت ب(جزية الرؤوس)[4] وقد عدة استيفاءها نظير حماية المسلمين للذميين.

* تشريعات الامام المالية في هذا الصدد:

١ - اسقاط الجزية عن:-

أ- المسكين الذي يتصدق عليه

ب- الاعمى الذي لاحرفه له ولا عمل

ت- الذمي الذي يتصدق عليه

ث- النساء والاطفال وغير العاقل

ج- المقعد اذا لم يكن له مردود من المال

٢ - قد ياخذ (عليه السلام) الجزية عينا لا نقد فقد كان ياخذ من صاحب الحبال حبلا[5].

٣ - التفريق بين الجزية والملكية المشاعة فحين (اسلم دهقان من اهل السواد في عهده قال له الامام: ان اقمت في ارضك رفعت الجزية عن راسك واخذنا من ارضك وان تحولت عنها فنحن احق بها )[1].

---

١ . د. خولة الدجيلي: بيت المال ص١٠٩.

٢ . د. فاروق عمر فوزي: مصدر سابق ص٣٧١.

٣ . د: نجمان ياسين.

٤ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق ص٢٨٥.

٥ . د. فاروق عمر فوزي: واردات الدولو ونفقاتها مصدر سابق ص٣٧٢.

ولم تكن الجزية معروفة في صدر الاسلام وبقي الحال حتى سنة ٩ هـ اذ نزلت الاية الكريمة: «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولايحرمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » التوبة /٢٩.

٤ . كان علي يرفق باهل الذمة هؤلاء وعدم تكليفهم فوق طاقاتهم او تعذيبهم في سبيل اداء الجزية ومن ذلك:

* قضيته المشهوره المتداولة المعروفة مع الذمي المسن في الكوفة والذي امر بصرف راتب له من بيت المال

* ما اكده في عهده الشهير لمالك الاشتر: ( فهم اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق )

مقادير الجزية:

١ - ٢٤ درهما على متوسط الحال

٢ - ١٢ درهما على العمال

٣ - ٤٨ درهما على الموسر

المبحث الثالث: النفقات او ( المصروفات)، (الاطلاقات)

ان الموازنة العامة لاية هيكلية حكومية ذو كفتين هما: «الايرادات والنفقات» داخل الدولة الاسلامية تبعا لمنهجية الخلافة ومتطلبات الحاجة العامة و التطور الحضاري اثره المميز في هذا الشان عموما فان اهم المجالات التي تنفق عليها الدولة وبيت المال: اولا: العطاء

وهو اعطاء الدولة للمقاتلة نسبة معين من المال نقدا وعينا لقاء خدمتهم في الجيش واستعدادهم الدائم لاسناد الدولة وعقيدتها الاسلام[٢] وقد ذكر بعض الباحثين: (انه مبلغ سنوي معين من المال

كانت الدولة الاسلامية تقوم بصرفه للمسلمين المسير حاجاتهم المعيشية ويقول (Ata):ان تعبير العطاء استخدم في صدر الاسلام للتعبير عن رواتب المسلمين وفيما بعد استخدم للدلالة على رواتب الجند[٣].

ويعد العطاء من اهم باب من ابواب الصرف في الدولة وهو يعتمد على وضعها المالي ومقدار مواردها

* سياسات الامام الخليفة في مجال العطاء

١ - التسوية في العطاء:

«فقد قسم ما في بيت المال على الناس ولم يفضل احد على احد»[٤] وهو يسير مبدئيا وفق سنة

رسول الله وسيرته (صلي الله عليه و آله وسلم) حيث قال: «الاسوة خير من الاثرة» وبهذا اعاد الامام نظام التسوية في العطاء والمساواة بين الناس بغض النظر عن انساهم ومواقفهم[٥] وشواهد

البحث على هذا المعنى كثيرة منها

أ- من خطبته المطولة له في اليوم الثاني من بيعتة: «وايما رجل من المهاجر والانصار من اصحاب رسول الله (صلي الله عليه و آله وسلم) يرى ان الفضل له على من سواء لصحبته فان الفضل الكثير عدا عند الله وثوابه واجره على الله، وايما رحل استجاب الله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده فانتم عباد الله والمال مال الله يقسمه بينكم بالسوية لافضل فيه لاحد على احد»[٦].

ب- «والله لو كان المال لو سويت بينهم فكيف وانما هي اموالكم ».

---

١ . خولة الدجيلي: بيت المال مصدر سابق ص١٠٠.

٢ . محسن خليل: الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢ /ص٢٤٩+ هاشم المحنك: اوضاع الكوفة الاقتصادية ص٦٠.

٣ . د. فاروق عمر فوزي:مصدر سابق ص٣٩٢.

٤ . خولة الدجيلي: مصدر سابق ص١١٥.

٥ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق ص٣٣٤ نقلا عن المسعودي في فروع المذاهب.

٦ . د. هاشم المحنك: مصدر سابق ص٦٧ +د. خولة الدجيلي: مصدر سابق ص٣٧.

ت- روى ابو اسحاق الهمداني ان امراتين اتتا عليا (عليه السلام): احدهما من العرب والاخرى من الموالي فسالناه فدفع اليهما دراهم وطعاما بالسواء فقالت احدهما اني امراة من العرب وهذه من العجم فقال: (اني والله لا اجد لبني اسماعيل في هذا الفيء فضلا على بني اسحاق[1].

ث- وقال لابن ابي رافع (خازن بيت المال): (ابدا بالمهاجرين فنادهم واعطهم كل من الحضور ثلاث دنانير ثم بالانصار فافعل معهم مثل ذلك ومن حضر من الناس كلهم الاحمر والاسود فاصنع به مثل ذلك).

٢- صرف العطاء في اوقاته:

أ- ان عليا كان كان يكنس بيت المال كل يوم جمعة ثم ينضحه بالمال ثم يصلي فيه ركعتين ثم يقول: تشهدان لي يوم القيامة[2].

ب- وفي بعض المصادر: ان عليا (عليه السلام) كان يعطيهم من الجمعة الى الجمعة وكان يقول

هذا جناي وخياره فيه اذ كل جان يده الى فيه[3].

ج- عدم ادخاره (عليه السلام) الاموال في بيت المال فهو يقسمه في الحال[4].

٣ - توزيع العطاء لاكثر مرة في السنة وهي سابقة لم تحصل الا في عهد الامام علي(عليه السلام) فقد ذكر صاحب كتاب (الاموال) ابن سلام:

أ- «ان عليا اعطى العطاء في السنة ثلاث مرات، ثم اتاه مال من اصفهان فقال: اغدوا الى عطاءا الرابع، اني لست لكم بخازن»[5] وهو شرح واضح على رفاهية الشعوب الاسلامية في ايامه (عليه السلام).

ب- اذا اورد عليه مال لم يبق منه شيئا الا قسمه ولم يكن يستاثر بشيء من الفيء ولا يخص به حميا ولاقريبا ولا يخص بالولايات الا اهل الديانات والامانات[6].

٤ - صرفه العطاء لمناوئيه وخصومه: فقد استحصل الخوارج عطائهم و تلك واقعة تستدعي التامل والتدبر وخاطب بني باهله – وهم خصومه -: «شهد الله انكم تبغضوني وابغضكم فخذوا عطائكم »[7].

٥ - منهجية العطاء وادارة الصرف:

أ- في الامصار الجديدة مثل البصرة والكوفة اصبح (العطاء) يوزع عن طريق العرفاء والنقباء والامناء بعد ان تمت عملية تعريف الناس «ورد اليه مال فامر اسباع * الكوفة محضرا وقسم المال ففضل منه رغيف فقسمه سبعة اقسام واعطا لهم»[8].

ب- لم يكن يجوز لاهل بيته عطاءهم قبل ان ياخذ المسلمون وقصت العسل والعقد وحديدة عقيل اشهر من اتذكر[9].

ت- المركزية في توزيع العطاء:

---

١ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص٣٧ ج٧ +د. حبيب الجنحاني مصدر سابق ص١٤٩.
٢ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص١٩٩ ج٢ +حبيب الجنحاني: مصدر سابق ص١٦٠.
٣ . اصغر ناظم زادة: الفصول المائة في الحومة حتى الشهاده ج٥ المطبعة:مهر ١٤١١هـ انتشارات اهل البيت (ع) ص١٣١.
٤ . الحر العاملي: الوسائل ج١١ ص٨٣.
٥ . اصغر ناظم زادة: مصدر سابق ص١٣٩.
٦ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق ص٣٣٤.
٧ . الفصول المائة في حياة ابي الائمة: السيد اصغر ناظم زاده ج٥ في الحكومة حتى الشهاده مطبعة انتشارات اهل البيت ١٤١١هـ ص١٣٤.
٨ . د. محمد الطي: الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٤٣، تقسيمات الكوفة كانت على عهده (ع) كانت سباعية.
٩ . لاحظ ذلك في شرح نهج البلاغة ومنها شرح ابن ابي الحديد + د. محمد الطي: الامام علي ومشكلة نظام الحكم ص٤١.

روى بكر بن عيسى « شهدت عليا وقد جاءه مال من الجبل فقام وقمنا معه وجاء الناس يزدحمون فاخذ حبالا فوصلها بيده وعقد بعضها الى بعض ثم ادارها حول المال وقال لاحل لاحد ان يجاور هذا الحبل قال: فقعد الناس كلهم من وراء الحبل ودخل هو فقال: اين رؤوس الاسباع فجعل يحملون هذه الجوالق الى هذه وهذا الى حتى استوت القسمة سبعة ثم دفعها الى رؤوس الاسباع فجعل كل رجل منهم يدعو قومه فيحملون الجواليق[1].

٦ - تشديد الرقابة على الصرف

لما قدم عمرو بن سلمه عامله على اصبهان باموال امره فنصبها في الرحبة ووضع عليها امناء حتى يقسمها بين المسلمين.

## ثانيا: الرواتب

انواع النفقات العامة للدولة منها:

١ - رواتب الموظفين بالدولة: صاحب السر ومجلس الشورى والولاة والجباة وعمال الصدقة.
٢ - رواتب القضاة.
٣ - رواتب المحتسب.
٤ - عطاءات المسلمين وغير المسلمين[2]

## ثالثا: النفقات الثانوية

١ - الانفاق الحربي.
٢ - كسوة الكعبة.
٣ - ضرب النقود.
٤ - عمال البريد[3].

٥ - نشر الاسلام واللغة العربية لغة القران الكريم ولذا كان الخليفة ينفق منها نسبة من واردات الدولة في سبيل هذا لبناء المساجد وترميمها وبناء الربط وبناء المدارس والكتاتيب لتعليم القران الكريم ونشر الاسلام[4].

٦ - المشاريع الاروائية واستصلاح الاراضي.
٧ - الخدمات العامة.
٨ - مصانع حكومية تنفق عليها الدولة مباشرة تتعلق بالخدمات والمصالح العامة مثل المنسوجات والورق[5].

٩ - الخدمات العامة: كالمجاعة و معالجتها ماليا والحرائق والزلازل أي اغاثة ونجدة الطوارئ.
١٠ - الخدمات السرية: في سبيل ضمان امن الدولة حيث تلعب الخدمات السرية دورا واضحا في تقرير الكثير من امور العزل وتعين الموظفين وبث العيون والارصاد للتحري.
ولا يرجح البحث انفاق الامام على هكذا مواصفات[6].

---

١ . د. نجمان ياسين: مصدر سابق + محمد محمد بان: حياة امير المؤمنين عن لسانه ص٤١٩ ج٤ قبول الخلافة مؤسسة النشر الاسلامي + اصغر ناظم زادة: مصدر سابق ص١٣٨.
٢ . د. عواد الاعظمي + د. حمدان الكبيسي دراسات في التاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي ص١٣٠.
٣ . د. طلال الجنابي: ابو تراب علي بن ابي طالب مصدر سابق ص٢٧٨ الدار العربية للموسوعات ط١ / ٢٠٠٣ م.
٤ . د. فاروق عمر فوزي: مصدر سابق ص٩٦
٥ . د. فاروق عمر فوزي: (م . ن) ص٣٩٧.
٦ . د. فاروق عمر فوزي: + خولة الدجيلي .....

١١ - نفقات الولايات والاقاليم والامصار: حيث ان الدولة الاسلامية في عهد الامام علي اتخذت نظام اللامركزية في علامة الولايات ببيت المال المركزي[١].

وقد اضيفت بعض الانفاقات والمصروفات التالية:

- تعبيد الطرق وبناء الجسور.
- عتق الرقاب.
- ديات المقتولين من قبل عامة الناس ولايعرف قاتليهم[٢].

## المبحث الرابع: الرقابة المحاسبية

اقام الامام علي (عليه السلام) نظام المراقبة على نمطين:

١ - المراقبة السرية: ويقوم بها العيون وهم يجب ان يكونوا بنظره - من الموثوقين كما فعل ابو الاسود الدؤلي عند ابلغ الامام علي (عليه السلام) بتصرفات واليه على البصره فشكره الامام وشجعه.

٢ - المراقبة العلنية: عبارة عن دورات تفتيشية يكلف البعض اوهو بالقيام بها في مناطق معينة ومن ذلك تكليفه كعب بن مالك بجولة في ارض السواد: ( واما بعد فاستخلف على عملك واخرج في طائفة من اصحابك حتى تمر بارض السواد كورة كورة الخ.....)[٣].

١ - الامام يكرر وحتى في وصاياه الاخيرة: «اوصيكم بتقوى الله ونظم امركم » نهج البلاغة.

٢ - اقام الامام علي (عليه السلام) نظاما ادرايا محكما حدد فيه الوظائف واوضح طرق تعين الموظفين وبين واجباتهم وحقوقهم واقام عليهم تفتيشا دقيقا ووضع اسس الثواب والعقاب والمسؤولية الادارية بشكل عام.

٣ - في عهده الشهير للاشتر: (ثم تفقد اعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فان تعاهدك في السر لامورهم حدوة لهم على استعمال الامانة والرفق بالرعية)[٤].

٤ - في كتابه له الى الاشعث بن قيس عالمة على اذربيجان: «وفي يديك مال من مال الله وانت من خزان الله عليه حتى تسلمه الي[٥].

اولا: تقديم الكشوفات والحسابات الختامية.

١ - حين وزع مصقلة بن هبيرة الشيباني بعض المال على بعض اقاربه: فكتب اليه الامام طالبا منه تقديم الحساب: (بلغني انك تقسم في المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم..الخ » نهج البلاغة.

٢ - ارسل الى الاشعث بن قيس وكان عثمان ولاه على اذربيجان: (فاذا اتاك رسولي بكتابي هذا، فاقبل واحمل الينا ما قبلك من اموال المسلمين ان شاء الله »[٦].

٣. والى احد عماله يبعث مطالبا بالكشوفات المالية.

«فاخذت ماتحت قدميك واكلت ما تحت يديك فارفع الي حسابك واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس والسلام »[٧].

٥ - من كتابه الى قثم بن العباس واليا على مكة: (ما فضل عن ذلك فاحمله الينا لنقسمه فيمن قبلنا)[١].

---

١ . خولة الدجيلي: بيت المال: ص١٢٨.
٢ . هاشم ناصر المحنك:مصدر سابق ص٦٦.
٣ . باقر المحمودي: نهج السعادة ص١٣٧ م٤ + د. محمد طي.
٤ . نهج البلاغة ص٧٣٤ ج٢ م٤ + د. محمد طي مصدر سابق ص١٧٦.
٥ . باقر المحمودي: نهج السعادة ص٨٦ م٤ +د. محمد طي.
٦ . باقر المحمودي: نهج السعادة ص٨٥ م٤ + د. محمد الطي.
٧ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ج١٥ م٣ +د. محمد الطي مصدر سابق ص١٨٨.

٤ - وفي كتاب له الى سليمان بن صرد الخزاعي عاملة على الجبل: «اعلمني ما اجتمع عندك من ذلك واعط كل ذي حق حقه وابعث الينا سوى ذلك لنقسمه في من قبلنا ان شاء الله )[٢].

٥ - واذا ابلغه عن احدهم خيانة كتب اليه: «قد جاءتكم موعظة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان بالقسط»[٣].

اذا اتاك كتابي فاحتفظ بما في يدك من اعمالنا حتى نبعث اليك من يتسليمه[٤].

## تعقيب ومناقشة

النصوص السالفة هنا تدلل دلالة واضحة على الاكتفاء الذاتي للولايات والامصار اولا ثم ترسل الفائض من الاموال الى الخزينة المركزية (بيت المال) في العاصمة الاسلامية (الكوفة).

**ثانيا: الاستشارت الفنية**

يوصي الامام (عليه السلام) مالكا الاشتر والي مصر من عهده المطول والمعروف: «ولاتدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفصل ويعدك الفقرلا جبانا يضعفك عن الامور ولا حريصا يزين لك الشره بالجور فان البخيل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله »[٥].

**ثالثا:العقوبات الجزائية**

بعد التحري عن اوضاع العمال كان الامام يعمد الى معاملة كل منهم من يستحق سلبا ام ايجابا عقابا ام ثوابا! عندك بمنزلة سواء....الخ[٦].

وقد حفلت كتب الامام بالتقريع او التقريظ لعماله ممن اساءوا او احسنوا في المجال الوظيفي او الاخلاقي فالامام يحاسب مسوؤليه حسابا قانونيا (شرعيا) واخلاقيا *

١ - ففي كتاب وجهه الى زياد بعد تاخيره جزء من الخراج بحجة ان الاكراد لم يسددوا ما عليهم بعد هياجهم...(يازياد..واقسم بالله انك لكاذب ولئن لم تبعث بخراجك لاشدن عليك شدة تدعك قليلة الوفر ثقيل الظهر...)[٧].

٢ - واذا تحقق عند الامام غشه وخيانة فان عقابه كان صارما بعد رد الحقوق الى اصحابها فقد كتب الى عامله بالاهواز بعدما بلغة خيانة ابن هرثمه على السوق الاهواز: «نح ابن هرثمه السوق واوقفه للناس فمن اتى عليه يشاهد فحلفه مع شاهده وادفع اليه من مكسبه واسجنه وناد عليه »[٨].

وفي مجال التقريظ والثناء هناك نماذج كثيرة نذكر منها:

١ - رسالته الى عمرو بن ابي سلمه المخزومي: «ونزعت يدك بلا ذم ولاتثريب عليك فلقد احسنت الولاية واديت الامانة...الخ»[٩].

٢ - والى بعض عماله يبعث مراسلا:( اما بعد فانك ممن استظهر على اقامة الدين واقمع به نخوة الاثيم واسد به الثغر المخوف)[١٠].

---

١ . صبحي الصالح: شرح نهج البلاغة ص٤٥٧ +محمد مح-مد بان مصدر سابق ص٣٩٩.
٢ . محمد محمد بان: مصدر سابق ص٣٩٩.
٣ . هود /٨٢-٨٦.
٤ . اصغر ناظم زادة: الفصول المائة في حياة ابي الائمة ج٥ في الحكومة ص١٣٤ مطبعة مهر انتشارت اهل البيت ١٤١١هـ .ق.
٥ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص١٢٢ ج٢ م ٤.
٦ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة ص١٢٥ م٤ +د.محمد الطي.
٧ . د. باقر المحمودي: نهج السعادة ص١٨٦ م٥ +د. محمد الطي.
٨ . د. محمد الطي: مصدر سابق ص١٨٩.
٩ . ابن ابي الحديد:شرح نهج البلاغة ص٦٥ ج١٦ م٤ مؤسسة الرشاد الحديثة.
١٠ . م . ن ص١١٠ ج١٧.

**رابعا: العقوبات المعنوية**

ولعلنا نختم هذه المباحث بهذا النص المبارك للامام وهو يصور واقعة دهياء وحادثة طخياء: «والله لقد رأيت عقيلا وقد املق حتى استماحني من برکم صاعا رأيت صبيانه شعث الشعور غبر الالوان من فقرهم كانما سودت وجوههم وبالعظلم وعاودني مؤكدا وكرر علي القول مرددا فاصغيت اليه سمعي فظن اني ابيعه ديني واتبع قياده مفارقا طريقي فاحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج منها ضجيج ذي دنف من المها وكاد ان يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل ياعقيل: اتئن من حديدة احماها انسان للعبه وتجرني الى نار سجرها جبار لغضبه»[1].

## خاتمة البحث ونتائجه:

١ - ان السياسة المالية هي - اذن محك الحكم على طبيعة النظام السياسي.
٢ - ان جذور النظام المالي الاسلامي في عهد الامام علي (عليه السلام) تعود الى بعض التنظيمات في الدولة الساسانية.
٣ - استطاع الامام (عليه السلام) علي ان يخضع المفاهيم المالية وفق التشريع الاسلامي: الزكاة، الصدقة، الخمس، الى محاولة القضاء على التفاوت الطبقي في الدولة الاسلامي.
٤ - ان النظام المالي على عهد الامام علي (عليه السلام) هو جزء من مكونات (النظم الاسلامية)
٥- الجهاز المالي في صدر الخلافة يتمثل في (بيت المال).
٦ - كانت هناك عوامل عديدة باعثة على تاسيس (بيت المال) وهو اشبه بـ (وزارة المالية) او (الخزينة العامة) في عصرنا الحاضر.
٧ - ان الميزانية الاسلامية (بيت المال) تتكون من:
أ- الايرادات (واردات الدولة ).
ب- المصروفات (الاطلاقات) او (النفقات).
٨ - الايرادات تشمل منظومة:
أ- الخراج: وهي الضريبة التي وضعت على الارض التي فتحها المسلمون وكان للخراج جهاز جبائي ومقادير اليات ناقشها البحث وللامام علي سياسية خراجية اختلفت عن سابقيهم عن الخلفاء.
ب-الزكاة: ضريبة تؤخذ من اموال المسلمين اذا بلغت النصاب وتشمل النقدين والانعام الثلاثة والغلات الاربع بشروط وضعها الفقهاء المسلمون وللزكاة موارد صرف حددت بعد جبايتها على تفصيل محدد.
ت-الخمس.
ث- العشور: ضرائب فرضة على تجارة اهل الذمة واهل الحرب الذين يدخلون الارض العربية المسلمة، وقد تبين للبحث ان الامام لم يشرع هذه (العشور) ولم يستحصلها.
ج-الغنائم: ما حصل عليه المسلمون عنوة وقهرا ويشمل الفيء وهو كل مال وصل من المسلمين عفوا ولم اجد في حدود اطلاعي المتواضع ان الامام في عهده وردت الى بيت المال غنائم لانشغاله بدحر التمرد الاموي (معاوية في صفين) وقمع الفتن الداخلية (الجمل والنهروان) فيما عدا نص واحد لغنائم من موقعة قريبة من الهند.
ح-الجزية: ضريبة تاخذ من اهل الذمة مقابل حماية اموالهم
٩ - المصروفات وتشمل:
أ- العطاء: اعطاء الدولة للمقاتله نسبة معينة من المال نقدا وعينا وكانت للامام سياسة خاصة في صرف العطاء تمثلت في:

---

١ . ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة.

- التسوية في العطاء.
- صرف العطاء في اوقاته.
- توزيع العطاء لاكثر من مرة في السنة.
- اعطاءه العطاء لمناوئيه وخصومه.
- للعطاء في دولة الامام منهجية خاصة وادارة صرف معينة ناقشها البحث
- المركزية في توزيع العطاء،واستخدام الاسلوب اللامركزي في مجالات محددة.

ب – الرواتب

ج- النفقات الثانوية وتشمل:

- المجهود الحربي.
- نشر الاسلام واللغة العربية.
- المشاريع الاروائية واستصلاح الاراضي.
- الخدمات العامة في الظروف الطارئة: كالمجاعة ومعالجتها ماليا والحرائق والزلازل والاغاثة وغيرها.
- عتق الرقاب.
- ديات المقتولين الذين لايعرف قاتليهم.
- تعبيد الطرق وبناء الجسور.

١٠ - .الجهاز الرقابي في عهد الامام كان على نمطين:

أ- المراقبة السرية.

ب- المراقبة العلنية.

١١ - الرقابة المحاسبية تتضح في:

أ- النظام الاداري المحكم والمسؤولية الادارية بشكل عام.

ب- تقديم الكشوفات والحسابات الختامية.

ج-الاستشارات الفنية: وتدلل عليها الكثير من النصوص ومنها عهده الشهير لمالك الاشتر واليه على مصر.

١٢ - العقوبات الجزائية: ومنها كما رصد البحث العقوبات المعنوية كما حصل مع اخيه عقيل بن ابي طالب.

## قائمة المصادر والمراجع


وخير مصدر هو القران الكريم

١ - الاخلاق الاقتصادية الفردية في النظام الاسلامي: د. امال كاشف الغطاء/ اصدار مركز الثقلين

٢- علم المالية العامة والتشريع المالي: د. طاهر الجنابي / الناشر العاتك لصناعة الكتاب القاهره

٣- اقتصاديات المالية العامة: د. عادل احمد حشيش/مؤسسة الثقافة الجامعية– الاسكندرية ١٩٨٣

٤ - التنبيه والاشراف: المسعودي / دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٧

٥ - بيت المال نشاته وتطوره من القرن الاول حتى القرن الرابع الهجري: خولة شاكر الدجيلي/ مطبعة وزارة الاوقاف بغداد ١٩٧٦

٦ - سيرة النبي (صلي الله عليه و آله وسلم): ابو محمد عبد الملك بن هشام / مراجعة: محمد محي الدين عبد الحميد
ج٢ القاهره ١٩٣٧

٧ - حضارة العراق: د. فاروق عمر فوزي واخرون / ج٥ بغداد ١٩٨٥

٨ - ايران في عهد الساسانيين:ارثر كريستنسن / ترجمة: يحيى الخشاب / القاهره ١٩٥٧

٩ - الموارد المالية في الاسلام: ابراهيم فؤاد علي / القاهره ١٩٦٨

١٠ - تاريخ الامة العربية - عصر الانطلاق: طلس محمد سعد/ ط ١ بيروت ١٩٥٧

١١ - التحول الاقتصادي والاجتماعي في مجتمع صدر الاسلام: د. الحبيب الجنحاني / دار الغرب الاسلامي ط١ /بيروت لبنان
١٢ - تطور الأوضاع الاقتصادية في عصر الرسالة والراشدين:د. نجمان ياسين / دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٩١
١٣ - المسالك والممالك: الاصطخري / تحقيق: محمد الحسيني / القاهره ١٩٦١
١٤ - المرجع في الحضارة العربية الاسلامية: د. عبد التواب شرف الدين + د. ابراهيم سلمان الكروي / مطبعة ذات السلاسل الكويت ١٩٨٧
١٥ - الاحكام السلطانية: الماوردي /
١٦ - الخراج في العراق في العهود الاسلامية الاولى: د. صالح العلي / مطبوعات المجمع العلمي العراقي – مطبعة المجمع ١٩٩٠
١٧ - ابن ابي الحديد: شرح نهج البلاغة دار احياء الكتب العربية/ القاهره
١٨ - الامام علي ومشكلة نظام الحكم: د. محمد الطي
١٩ - ابو تراب علي بن ابي طالب: د. طلال الجنابي / الدار العربية للموسوعات ط١ / ٢٠٠٣
٢٠ - تنظيم جباية الصدقات في القرن الاول الهجري: د. صالح العلي
٢١ - الصراط القويم: الشهيد محمد الصدر / مطبعة الاداب النجف الاشرف
٢٢ - حواريات فقهيه: د. عبد الهادي الحكيم /دار الملاك ط١ / ٢٠٠٣
٢٣ - اوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد امير المؤمنين (عليه السلام): هاشم المحنك /دار انباء للطباعة
والنشر /النجف الاشرف
٢٤ - نهج البلاغة تحقيق وضبط: د. صبحي الصالح
٢٥ - نهج البلاغة المختار من كلام امير المؤمنين: العتبة العلوية المقدسة / ٢٠١٠ م / اعداد مكتبة الروضة الحيدرية
٢٦ - نهج البلاغة (١-٤ ): الشيخ محمد عبدة/ دار المعرفة للطباعة والنشر
٢٧ - حياة امير المؤمنين عن لسانه: محمد محمد بان / مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة/ ج٤ / الامام علي بن ابي طالب: المجمع العالمي لاهل البيت / الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ.ق
٢٩ - سيرة الامام: نجاح الطائي/ دار الهدى لاحياء التراث ٢٠٠٣
٢٩ - الفكر الاقتصادي العربي الاسلامي: محسن خليل / دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢
٣٠ - الفصول المائة في حياة ابي الائمة / من الحكومة حتى الشهادة: اصغر ناظم زادة / مطبعة مهر انشارات اهل البيت(ع) ١٤١١هـ
٣١ - موسوعة الامام امير المؤمنين – ج١١ حكومة الامام: باقر شريف القرشي
٣٢ - دراسات في تاريخ الاقتصاد العربي الاسلامي:د. حمدان الكبيسي +د. عواد الاعظمي
٣٣ - نهج السعادة: باقر المحمودي.

# عناصر القياس وتفاعلات النص (دراسة في أقيسة الخطاب الخطبة الغراء أنموذجا)

المدرس المساعد: اسلام فاروق عيسى (الكلية الاسلامية الجامعة – النجف الاشرف)

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:
فإن البحث يرصد جوانب من التفوق في نص الخطبة الغراء للامام علي بن ابي طالب عليه السلام وقد حاول الوقوف عند ارهاصاته الابداعية التي عبرت حدود المعهود من النصوص المقروءة.
انضوت الدراسة على تطبيق أقسام القياس المنطقي.
البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر، والمغالطة) بوصفها عناصر معيارية تقاس بها جودة النص
والبحث امتداد لنصوص سبقته كان أولها اطروحة (بنية النص القراني) للدكتورة ابتسام المدني تلتها رسالة مستويات العدول والتخييل في شعرابي والبحتري) للباحثة وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في النقد الأدبي.
إن البحث يحاول تجاوز النمطية التي ما انفكت تطحن النتاجات النقدية برحى واحدة، وتدور في اطار واحد يخضع للدراسات الغربية.
إن البحث لا يرمي الى اقصاء الحداثة أو نفي أهمية النقد الحديث بل هو يجرب الخوض في مضمار التطبيق بدلا من اللهاث خلف الدراسات التنظيرية، وما أحوجنا إلى مثله لإنقاذ ما تبقى من ذاكرتنا المسلوبة وتراثنا المهمل قسم البحث على عناوين تعبر عن عناوين الخطبة الغراء للامام علي (عليه السلام) وهي صفات الله، والوصية بالتقوى، والتنفير من الدنيا، والتذكير بضروب النعم، ثم صفة خلق الانسان تلا ذلك نتائج البحث وقائمة المصادر.
وأخيرا فإن هذا البحث لا يعدو كونه محاولة أرجو أن تحقق شيئا من الفائدة.
إسلام فاروق عيسى

## تمهيد

لا شك ان اي دراسة في هذا العالم، مهما حاول القائمون عليها من استيفاء عناصر الابداع والتميز،تظل عاجزة قاصرة وهي في حضرة جهبذ البلاغة والفصاحة، يعسوب الحكمة والمنطق، برهان العقول والحجة التي تفتأ افحام المجادلين، بمصاديق الاستدلال، وعيون الاذعان، اميرالمؤمنين ووصي رسول رب العالمين علي بن ابي طالب (عليه السلام).
وقد حاولت هذه الدراسة القاء الضوء على مساحة من مساحات الابداع العقلي في نهج البلاغة متمثلة بالخطبة «الغراء» اوالخطبة «العجيبة» كما يسميها البعض.
ولما كانت الدراسات النقدية والبلاغية قد انصهرت في بوتقة الدراسات والمناهج الغربية، اصبحت الحاجة ملحة الى استقراء دراسات وبحوث مختلفة، مع الاعتراف والتاكيد على اهمية تلك الدراسات بوصفها رؤًى آتت أكلها وأغنت الادب والنقد العربي.
وحريٌ بنا ان نذكر ان المناهج النقدية الحديثة قد تعددت، وتبعاً لذلك فقد تعددت أساليب (تحليل الخطاب الأدبي) بتعدد هذه المناهج التي تختلف في منطلقاتها ومفاهيمها ومصطلحاتها.
وإذا كانت (البنيوية) قد انطلقت في النصف الثاني من القرن العشرين فملأت الدنيا وشغلت الناس، فإنها بدأت بالتراجع منذ إضرابات الطلاب الراديكالية في فرنسا عام ١٩٦٨، مما جعل البنيويين يعيدون النظر في مواقفهم ومنهجهم الذي خرجت من رحمه مناهج نقدية عديدة

كالأسلوبية، والسيميائية، والتفكيكية، فضلا عن الألسنية، التي هي عماد هذه المناهج النقدية جميعاً.
بيد أن كثيراً من نقادنا آمن فيما بعد، بالبنيوية، وبغيرها من المذاهب النقدية الحداثوية الوافدة، فاعتمدها في عمله النقدي، في تحليل النصوص الشعرية والسردية وقد عمد الكثير من نقادنا الى المزاوجة، في ممارساتهم النقدية، بين أكثر من منهج نقدي، كما فعل الغذامي في جمعه بين البنيوية والتشريحية، وكمال أبو ديب في جمعه بين البنيوية والتفكيكية، وعبد الملك مرتاض في جمعه بين البنيوية والتقليدية.[١]

وترهص دراسة الخطبة «الغراء» على وفق القياس المنطقي، لمعطى نقدي يحاول النهوض بآلية جديدة في تحليل النص، في ضوء الصناعات الخمس بإجراء أقسامها المتمثلة بـ: البرهان، والجدل، والخطابة، والشعر والمغالطة، بوصفها معايير نقدية، يخضع لأقيستها النص الادبي، ليكشف عن قضاياها ونتائجها.
فيمكن رصد آراء الفلاسفة المسلمين في الصناعات منهجا، لتحليل النصوص ولاسيما الأدبية منها، وبذلك يفتح باب واسع لدراسة التراث الأدبي العربي.[٢]

وقد أصلت الدكتورة المدني لهذا المنهج، فاعتمدت الاستدلال المنطقي في تحليل بنية النص القراني، وكان القياس احد مباحثها، وأشارت خلاصة بحثها الى امكانية تطبيق تلك الاسس على النصوص الادبية المختلفة، فكلما زادت المضامين التخييلية كان النص الى الشعر اقرب، حيث يمثل التخييل وغايته الاذعان جوهر الشعر في راي المناطقة، وكلما ازدادت فيه المضامين التصديقية كان الى البرهان اقرب
كما أكدت الدكتورة المدني على تأصيل مصطلح العدول في الاشارة الى التراكيب التي تخرج عن وضعها الراتب بوصفه الاكثر دقة في التعبيرعن تلك التراكيب من كلمة مجاز التي تشير الى احد اقسام البلاغة.[٣]

وقد افدت من هذا المنهج في دراسة الشعر، ضمن رسالتي: مستويات العدول والتخييل في امثلة من شعر ابي تمام والبحتري – دراسة اجرائية في ضوء الصناعات الخمس - وخلصت الى امكانية توظيف الصناعات في نقد النصوص الشعرية. فليس الشعر بالوزن والقافية وحسب، بل بما يحمل من تخييلات تؤثر في المتلقي، فتذعن له النفس.
يمتاز النص في الخطبة الغراء، بألفاظه الفصيحة، ومعانيه العميقة، التي يحس القارئ معها انه يسبر في أغوار من عوالم شتى، تموج بألوان البلاغة وفنون القول المعبرة عن حقائق كونية وخلقية واخرى تخييلية تشد الاذهان الى لوحات لا ترسمها الا عبقرية فذة ونظرة في تلك الاقوال تحيل على تراكيب من نوع فريد، تستشعر فرادتها في تعالقاتها العجيبة ومدلولاتها المتناغمة مع قضاياها. وبما ان النظم يخضع لقواعد فان خروجه عنها يعد تعقيدا[٤].

ومن ذلك المجاز فهو: انحراف عن الاستعمال المعتاد للغة، سواء كان ذلك باستعمال الكلمة في غير ما وضعت له، أو تعليقها بما لا ينبغي أن تعلق به في النظام المألوف[٥].

ومن المنطقي أن يتغير المفهوم بتغير توزيع المفردات على وفق الضوابط النحوية وبما أن التعالق لا يقتصر على الترابطية، الجامعة بين المفاهيم المستشفة والمفردات المكونة لها صار النص قابلا لحمل مفاهيم كثيرة بمفردات قليلة[٦].

---

١ . تحليل الخطاب الادبي (محمد عزام): ٩-١٠.
٢ . بنية النص القراني: أ- ب.
٣ . بنية النص القراني: ٥.
٤ . ينظر: بنية اللغة الشعرية: ١٠٣.
٥ . ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي: ٣٧٠.
٦ . ينظر: بنية النص القرآني:١١٦.

«وبما أن المجاز يخرج الكلمات من حدودها الحقيقية، فإن العلاقات التي يقيمها بينها وبين الواقع، إنما هي علاقات احتمالية – يتعدد بها المعنى، مما يولد اختلافا في الفهم، يؤدي إلى اختلاف في الرأي وفي التقويم »[١].

ولكن لا يمكن لنص أن يخلو تماما من العدول مهما كان علميا، ولا يخلو تماما من الحقيقة مهما كان شعريا لأنه «متى تعرى الشعر من الألفاظ الحقيقية المستولية كان رمزا ولغزا»[٢] وجاء التعبير عن اللغة المحافظة على مستواها العادي بـ«الحقيقية» و«المستولية» و«الأهلية» على وفق اصطلاحات الفلاسفة المسلمين، إذا لم تتجاوز الدلالة الوضعية إلى الدلالة الإيحائية[٣] ويرى أفلاطون إن الدال signifier كلمة في اللغة، والمدلول signified هو الشيء الموجود في العالم، ويمثله الدال أو يشير إليه أو يحدده، فالكلمات إشارات إلى الأشياء[٤] «وهذا يعني أن الدوال سواء كانت بهيأة مفردات أو سياقات تركيبية، لها شكل ومضمون ويمثل الشكل صورة المفردة أو التركيب، أما المضمون فيمثل الكنه المراد إيصاله إلى الذهن المتلقي». [٥]

ومثال ذلك «انتزع الحياة بسيف من نحاس» و «عندما قطع بكأس متين من نحاس...» وكلا العبارتين عدل بتركيبها لأن «انتزع» هاهنا معناها «قطع» و«قطع» معناها «انتزع» وكلا القولين يدلان على تصرم الأجل أو (الموت)[٦]، «فالمثال يوضح أن صورة النزع هي القطع، أما أما المدلول الذي دلت عليه الصورة فهو (الموت) إذ إن الشكل مرتبط بالمضمون إلا أنه قد يتخذ هيأة مغايرة إذا عدل باستعماله أو بإسناده عن الأصول الوضعية.
وتأسيسا على ذلك فقد يكشف الاستدلال القياسي عن لغة عدولية ثرة،ولكن المضمون يحمل قضية تصديقية (برهانية، خطابية، جدلية، وسفسطائية)، مما يقودنا إلى الاقتناع بإمكانية ورود نصوص موزونة مقفاة تحمل إحدى تلك المضامين، مع إن لغتها شعرية»[٧] فـ «إذا كانت محاكاة الشيء بغيره تحرك النفس وهو كاذب فلا عجب أن تكون صفة الشيء على ما هو عليه تحرك النفس وهو صادق.
بل ذلك أوجب.
لكن الناس أطوع للتخييل منهم إلى التصديق.
وكثير منهم إذا سمع التصديقات استكرهها وهرب منها.
وللمحاكاة شيء،من التعجيب ليس للصدق [...] والقول الصادق إذا حرف عن العادة وألحق به شيء تستأنس به النفس. فربما أفاد التصديق والتخييل معا. وربما شغل التخييل عن الالتفات إلى التصديق والشعور به»[٨].

ويرى عبد القاهر الجرجاني أنه:«صريح معنى ليس للشعر في جوهره وذاته نصيب»[٩].

«وهذا ما يؤيده المناطقة فجوهر الشعر التخييل لا التصديق.»[١٠].

وانطلاقا من الافكار المطروحة آنفا يحاول البحث قياس أقوال الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) على وفق معايير الاستدلال المنطقي وصولا إلى مضامينها التصديقية واللاتصديقية.

---

١ . الشعرية العربية (أدونيس): ٧٥.
٢ . ينظر تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس:٢٣٨.
٣ . ينظر: م٠ ن ٢٣٨.
٤ . ينظر: علم الدلالة:٢٣.
٥ . مستويات العدول والتخييل (رسالة ماجستير): ٢.
٦ . ينظر: فن الشعر(لأرسطو):٥٨.
٧ . مستويات العدول والتخييل (رسالة ماجستير): ٢.
٨ . فن الشعر من كتاب الشفاء المنشور ضمن كتاب في الشعر:١٦٢.
٩ . ينظر:أسرار البلاغة: ٢٦٥.
١٠ . مستويات العدول والتخييل (رسالة ماجستير): ٣.

## يقول (ع) في صفة الله تعالى

(الحمد لله الذي علا بحوله ودنا بطوله، مانح كل غنيمة وفضل، وكاشف كل عظيمة وأزل، أحمده على عواطف كرمه، وسوابغ نعمه، وأؤمن به أولا باديا، واستهديه قريبا هاديا، واستعينه قاهرا قادرا، وأتوكل عليه كافيا ناصرا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله لإنفاذ أمره وإنهاء عذره، وتقديم نذره).

يستشرف النص الزاوية المثلى لاستغراق الانسان في حيثيات الكون، ويعالج التجاذبات القائمة بين القيم العليا والمادة، تستشعر أولى حالات الإفلات من المحور المادي في المقدمة التي سرعان ما تسبر في عمق الوجود تستكنه الأوصاف الكاملة لذلك العلو اللامتناهي، قدرة هائلة تطوي عوالم وأكوان من الخلق العجيب بقبضة واحدة، ومقاربة خاطفة كفيلة بتأصيل الفارق بين المخلوق البشري والقدرة الالهية، يبدو معها ذلك المخلوق أضأل من ذرة تتقاذفها عواصف من الرمل، إنه اعتراف صريح بالتفوق الذي ما بعده تفوق وخضوع ما بعده خضوع لتلك القدرة ويلحظ أن مرسل النص عمد إلى إظهار الحيز المتسق بالمطلق في تعريفه بالصفات الإلهية، في جدلية واضحة بين الوصف والقدرة (العلو، الدنو، القرب)

(علا بحوله ودنا بطوله) ثم قال (واستهديه قريبا هاديا) تزحف كلماته بالذاكرة إلى ما قبل الزمان والمكان، تستنطق روحها ووجودها، عهد قديم وحب دفين ما لبثت أقواله تدق على خواطرها بفأس من حديد، تجنح بالعقول إلى عالم الأزل، هناك حيث كان العقد الأكبر بين الله والإنسان، إنه يؤكد استحقاق الذات المقدسة للحمد ويقف عند صفاتها العظيمة، يضعها في اتساقات معبرة، والتلازم بين تلك الصفات من (العلو والدنو) في آن واحد يستحضر أقطاب (المنح والكشف) تجاذبا مع تلك الصفات المتضادة في انسيابية مدهشة (ما نح كل غنيمة وفضل وكاشف كل عظيمة وأزل) فالعلو الملازم للجبروت متعالق مع الفضل وكشف الضر، مما استوجب الحمد وتلك قضية بديهية، لم تنفرط عنها قوة اليقينات التي وشجت العلاقة بينها وبين الكينونة الإلهية المرتفعة بسلطة الإيجاد.

وقد امتاز النص في بيان صفات الله تعالى، باعتماده مقدمات التصديق البرهانية، وانصهرت بمجموعها في ست قضايا، برهنت على أهلية المعبود بالعبادة بالنظر إلى مقدماته التصديقية، مرتكزة على محاور: (القوة والإيجاد والعطاء والقدرة القاهرة).

وقد أفيد منها في الإقناع بأهمية التوكل على الله تعالى وإقراره (عليه السلام) بألوهية الله جل وعلا، ونبوة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن استقصاء المعاني الواردة في النص والنظر في مدلولاتها يمكن استخلاص النتائج الآتية:

(١) القوة العالية بسلطة الإيجاد القريبة ذات العطاء والإحسان أهل للحمد (بديهيات).

(٢) الله هو القوة العالية بسلطة الايجاد ذات العطاء والإحسان (يقينيات).

(٣) الله أهل للحمد (برهان).

وأما على صعيد المفردات، فحد الحقيقة كل كلمة أفيد بها ما وضعت له في اصل الاصطلاح الذي وقع التخاطب به، ويدخل في ذلك الحقيقة اللغوية والعرفية والشرعية، وعلى صعيد الجمل فكل جملة وضعتها على ان الحكم المضاد بها على ماهو عليه في العقل وواقع موقعه فهي حقيقية، كقولنا: خلق الله العالم.[١]

وعلى صعيد التراكيب يبدأ نص الخطبة بحمد الله عزّ وجل قائلا:

الحمد لله الذي علا بحوله: والحمد مصدر معرف بـ (أل)، أما للعهد فيستلزم إذ ذاك الأحمدة كلها، أو لتعريف الجنس، فيدل على استغراق الاحمدة كلها بالمطابقة.[٢]

والتعالق بين (حمد) ولفظ الجلالة (الله) مستول فلكينونة الحمد رب فعلي او اله حقيقي، هو الله جل وعلا.

---

١ . مقدمة شرح نهج البلاغة (البحراني): ٩٣.

٢ . ينظر: البحر المحيط: سورة الفاتحة.

وقوله(الذي علا بحوله) فيه تعالق العلو بالحول بوساطة حرف الجر(الباء) عدولي لان العلو لا حول له على جهة الصدق.
ودنا بطوله: الترابط بين (الدنو) و(الطول) لا يراد به المعنى الواقع ضمن المفهوم التصديقي للدنو: الاقتراب[1] والطول: الفضل والنعمة[2] فالله جل وعلا لا يدنو دنوا حقيقيا لأنه وجود لا ينطبق عليه ما على سائر الموجودات الادنى، ويلحظ ان الرابط الذي حمل العدول بين المعنيين في التركيب حرف الجر (الباء) مانح كل غنيمة وفضل: المنح مدلول معنوي لا توابع ترتبط به مجردة كانت او غير مجردة، واتساق الغنيمة والفضل بالمنح يخرج بالتركيب عن سياقه التصديقي، وجاءت (كل) معبرة عن استيفاء المعنى العام للمنح المثبت في صفات الله جل وعلا لمعنيي الفضل والغنم فالفضل بأكمله وأعلى مراتبه في منح الله سبحانه وتعالى، والغنم بكليته واستيلائه في ذلك المنح.
وكاشف كل عظيمة وأزل: (أزل): الضيق والشدة[3] ارتبط اسم الفاعل (كاشف) بـ (عظيمة) و(ازل) وهو ارتباط معدول به لانتفاء حيازة المعاني على دلالة حقيقية واقعة في التركيب.
حيث لا يوضع الكشف في بوتقة الازاحة التصديقية لانه كنه مجرد وكذا (العظم) و(الازل).
أحمده على عواطف كرمه وسوابغ نعمه: (السوابغ): التامة والواسعة[4] اتساق الحمد بالعواطف اظهارا وبسوابغ اضمارا معدول به، وينهض العدول على التوازي بين كنه الحمد واكناه العواطف والسوابغ حيث ليس من ارتكاز حقيقي يجمعهما.
ويشير التعاضد بين العواطف والكرم والسوابغ والنعم الى استقرار التركيبين في قلب الانزياح.
وأومن به اولا باديا: الاولية تلازم البدء بديهة فكل اول هو بدء وكذا القضية عكسا فكل بدء أول، وهذا التلازم حقيقي يشغل من القياس جانبا تصديقيا، اما تعالق الايمان بهذه القضية فهو تعالق معدول به لا يقع في دائرة الحقيقة، لأن الايمان كنه معنوي مرتبط بقناعات المرسل التي تعد بدورها امرا مجردا.
وأستهديه قريبا هاديا: (استهدي) صيغة طلب على زنة (استفعل)، وارتباط الفاعل في جملة (استهديه) بضمير المفعول (الهاء) يحيل على محور عدولي يستند الى مفهوم طلب الهداية من الله تعالى واتساق هذا المفهوم بالقرب والهدى بوصفهما صفتين من صفات الله تعالى معدول به، فلا تطلبان على جهة الصدق الواقع.
وأستعينه قاهرا قادرا: الاعانة تطلب من الله تعالى لانه مالك القدرة والقهر وهما صفتان توجب لمالكهما حيازة المنعة والسلطة النافذة.
والتعالق بين الاستعانة والقهر والقدرة معدول به لان الطلب غير حائز على كيان التصديق.
وأتوكل عليه كافيا ناصرا: (الوكيل) من صفاته جل شأنه وارتباط التوكل بالضمير الهاء العائد على الذات المقدسة معدول به لانه قضية معنوية لا يصدق تعاضدها بالله تعالى حقيقة وجاء الارتباط بينهما بحرف الجر (على).
والوكيل يقتضي امتلاكه الكفاية والنصرة والا لا يصح التوكل عليه
وأشهد أن محمدا – صلى الله عليه وآله- عبده ورسوله: الشهادة هنا قلبية قائمة على الاعتقاد بعبودية (محمد) ورسالته والتواشج بين الشهادة وبينهما عدولي، حيث تنأى بالتركيب عن التصديق الى تساوق انزياحي ثابت.
أرسله لإنفاذ أمره: يخلق التركيب علاقة عدولية بين الارسال الذي مصدره الذات المقدسة والعلة المساق اليها رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) وهي مد الامر الالهي نفوذا في الحياة لاقرار الالوهية واثبات السلطة التي تقيم الموازين وتحق الحق.

---

١ . ينظر: المعجم الوسيط: مادة (د ن ا).
٢ . ينظر: م٠ن: مادة (ط ا ل).
٣ . معجم الوسيط: مادة (أ ز ل).
٤ . م٠ن: مادة (س ب غ).

وإنهاء عذره: بما ان الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) خاتم المرسلين فان مبعثه يشكل نهاية الحجج الالهية لعباده وختامها لاستيفائه تعاليم الدين، وتشكل هذه القضية العلة الثانية لارسال الرسول (صلى الله عليه و آله وسلم) وتعلق النهاية بالعذر معدول به.
وتقديم نذره: العلة الثالثة لارسال محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) وتتمثل بعرض النذر اي التحذير من مغبة الانصراف عن هذا الدين وتعاليم الله سبحانه وتعالى، والنذر لا تقدم على جهة الصدق لذا فالتعالق معدول به.

## الوصية بالتقوى

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال ووقت لكم الآجال، وألبسكم الرياش، وأرفغ لكم المعاش، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء، وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ وأنذركم بالحجج البوالغ، فأحصاكم عددا ووظف لكم مددا، في قرار خبرة ودار عبرة أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها).
يتشاكل هذا المقطع مع سابقه، بل هو انعكاس لحالة الإغراق في القيم العليا أشار إليها في مطلع النص، يستحضر أهم ركائز الحياة التي تصهر فيها جل عوامل الرقي والتقدم (تقوى الله) وصية من عايش النبوة وذاب في أحضان الرسالة، ولعلها كلمة ترددت في أنحاء خطبه كـ (أيقونة) تحمل في طياتها مئات الأسرار، ينبثق من مغاليقها مفاتح النجاة.
فالإمام يضع (التقوى) في صلب النهوض بالواقع الانساني.
للوهلة الأولى قد يتسلل مفهوم التقوى إلى ذهنية المتلقي، بوصفه ذلك النمط من العلاقة الشكلية مع الذات الإلهية، وأقول الشكلية لأن التقوى في مفهوم البعض تنحصر في بعض العبادات المعروفة كالصلاة والصيام والقيام، أما في نظر الإمام فإن مفهومها يستوعب العمل لا مجرد العبادات يقول (عليه السلام) عندما سئل عن صفات المتقين:
«منطقهم الصواب، ملبسهم الاقتصاد [...] عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم [...] وأجسادهم نحيفة وأنفسهم عفيفة [...] لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكي أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني أفضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون [...] فمن علامة أحدهم أنك ترى له قوة في دين، وحزما في لين، وإيمانا في يقين وحرصا في علم، وعلما في حلم وقصدا في غنى [...] وطلبا في حلال، ونشاطا في هدى وتحرجا عن طمع [...] يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه، لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر [...] ولا ينابز بالألقاب [...] وإن بغي عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له [...] بعده عمن تباعد عنه زهد ونزاهة، ودنوه ممن دنا منه لين ورحمة، ليس بتباعده بكبر ولاعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة»[1].

ويفتح النص آفاقا تكسر القرائن الراتبة، ليزيح الستار عن أهم مقومات النظام الحياتي الذي من شأنه إجراء معالجات خطيرة في جسد المجتمع الانساني على اختلاف انتماءاته وتوجهاته، يحمل في جوهره نظاما معرفيا متكاملا عن نشوء الأفراد في مجتمع صحي.
ونظرة فاحصة تحيل على اعتناق النص لأسباب هيأت له إفراغ ذلك المخزون من الإمكانات التي منحتها الإرادة الإلهية لضمان حصول نوع خاص من التجاوب بين الانسان وتقوى الله تعالى، فإقامة الحجج بإرساله الأنبياء وتوافر الأسباب المادية (الرياش) (المعاش) والأسباب المعنوية من المدد المنقضية والاختبارات التي من شأنها شحذ الهمم لخلق روح العمل والتنافس المشروع بين الناس كل ذلك يصهر في المسلمات من الأمور.

---

١ . نهج البلاغة: ٣٥٢.

فجعل الآجال لوقت مقدر، ووسع على الناس احوالهم بما منحهم من سعة العيش وخصوبته وجعل الاحصاء والعد كالحائط المدار عليهم، لانهم لا يبعدون منه ولا يخرجون عنه.[1]

وقد شيد التفاعل بين المسلمات والمقبولات لمتن خطابي، هضم عناصر التصديق التي ولدت نسقا اقناعيا، عبر عن علاقة التلازم التي فرضتها القوة الايجادية بين الانسان ومفهوم التقوى.
ولما كان الله تعالى قد فرض تلك العلاقة التلازمية، كان من مقتضيات الحكمة أن يهيئ عوامل التمكين، بخلق تلك الاسباب التي اوجدت توازنات منطقية، بين الوصية والقدرة الانسانية (ألبسكم الرياش وأرفغ لكم المعاش)
ومما تقدم نصل إلى النتائج الاتية:
(١) تهيأة الله تعالى أسباب التقوى تجعل الانسان ملزما بها (مسلمات).
(٢) أسباب التقوى مهيأة للانسان (مقبولات).
(٣) الانسان ملزم بالتقوى (خطابة).
وانعطافا إلى الزوايا التركيبية يشار إلى الاتي: قوله (عليه السلام) (أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب الأمثال): الوصية ذات علاقة انزياحية بتقوى الله، انتقلت بالتركيب الى مرتبة العدول، فليس من بؤرة مستولية تجمع الكنهين، و(عباد الله) المشار اليهم بالوصية غير منضوين تحتها انضواء تركيبيا مستوليا اما الضرب فلا يدل دلالة حقيقية على الامثال والجامع الاتساقي بينهما خرج عن حيزٍ شكّل خرقاً لقواعد التصديق القياسي.
ووقت لكم الآجال: الزمن مرتهن الآجال المنقضية، ويمثل انبعاثا تواتريا مخيلا ويصنع فلسفة مفادها ذوبان الحياة في ابعاده المنصرمة، وقد شكل عاملا أساسيا في المضي بالبشرية نزوعا نحو عالم يعج بالتغيرات التي تخضع لسيفه الحاد.
والتواشج بين الفعل (وقت) الذي يمثل الارادة الالهية والآجال التي خلقت في رحم الزمن يمثل عدولا تركيبيا، والتعالق بين (وقت) و(الكاف) معدول به أسس على رابط ضمهما الى بعض تمثل بحرف (اللام).
وألبسكم الرياش: فعل الالباس غير مدرج في قالب التصديق، واتساقه بالرياش معدول به.
والعلاقة بين (اللبس) و(الرياش) علاقة الجزء بالكل٠ فالرياش نوع من اللباس[2].

وأرفغ لكم المعاش: يشير الاتساق التركيبي الى عدول عن المستوى الحقيقي، لان الفعل (ارفغ) الذي يعود ضميره الغائب (هو) على الذات المقدسة لا يضع صورة الترابط الاتساقي بوساطة حرف الجر (اللام) ضمن التصديق انما اقتضت الارادة الالهية أن تسبب الاسباب التي توصل الى سعة الرزق مما يحقق عدولا تركيبيا.
وأحاط بكم الاحصاء: ومن مشيئته جل وعلا ان جعل احصاء الاعمال والعلم بها عملا كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه.[3]

وقد رسم التواثق التركيبي بين الفعل (احاط) والضمير الكاف بوساطة حرف الجر (اللام) عدولا عن الخط التصديقي لأن الاحاطة ليست حقيقية.
وأرصد لكم الجزاء: وأعد الجزاء فلا محيص عنه[4] والتركيب الذي جمع الفعل أرصد والكاف بوساطة اللام معدول به، وأصل التركيب وأرصد الجزاء لكم.
وآثركم بالنعم السوابغ والرفد الروافغ: اضافة الفعل (آثر) الى النعم بوساطة حرف الجر اللام معدول به، وكذا اضافة النعم للسوابغ والرفد للروافغ، لأن الايثار قضية معنوية.

---

١ . ينظر شرح نهج البلاغة:.
٢ . ينظر: أساس البلاغة: مادة (ر ي ش).
٣ . شرح نهج البلاغة (محمد عبده: ١١١ (هامش).
٤ . م٠ن: ١١١.

وأنذركم بالحجج البوالغ: حقق التركيب انزياحا اتساقيا وقد استكمل بحرف الجر (اللام)، والتركيب انشطر عن الجانب التصديقي، لاستفراغ الرابط التركيبي الجامع بين الانذار الذي يمثل كنها مجردا والحجج البوالغ التي تمثل بؤرة مساوية لبؤرة الانذار.

فأحصاكم عددا: الاحصاء يستكمل العدد مكونا تركيبا خرج بالاتساق من مستوى مستول الى اخر عدولي.

(ووظف لكم مددا): استنهاض التوظيف جاء لبيان ضرورة التنبه الى ضيق المدة وانقضاء الاجل، وقد مهد الرابط التركيبي بين التوظيف والمدد الذي يتمثل بحرف الجر(اللام) لخروج التواشج عن وضعه الراتب.

في قرار خبرة ودار عبرة: يوضح التركيب استقرارا انزياحيا يستبعد فيه اي ولوج في التصديق لان الخبرة لاقرار لها على جهة الصدق والعبرة لا دار لها على جهة الحقيقة.

أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها: عدل بالتركيب عن وضعه الراتب استيفاء لابعاد انزياحية ألقت بظلالها على التواثق بين ضمير المخاطبين (انتم) واسم المفعول (مختبرون) لأن الاختبار والحساب انما يقع ضمن عوالم تبتعد عن العالم التصديقي، فهي منسوجة ضمنها بأسلوب مختلف عن ما اعتادت القدرة البشرية على الاحاطة به الا انها تستيقنه بنوازع عقيدية محضة، مع اختلاف الازمان المفترضة تصديقا فالاختبار في الحياة الدنيا والحساب في الحياة الاخرة.

## التنفير من الدنيا

(فإن الدنيا رنق مشربها ردغ مشرعها يونق منظرها، ويوبق مخبرها. غرور حائل، وضوء آفل، وظل زائل، وسناد مائل، حتى إذا أنس نافرها، واطمأن ناكرها، قمصت بأرجلها، وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع، ومعاينة المحل، وثواب العمل، وكذلك الخلف بعقب السلف، لا تقلع المنية اختراما، ولايرعوي الباقون اجتراما، يحتذون مثالا، ويمضون أرسالا، إلى غاية الانتهاء، وصيور الفناء).

تستيقظ النفس البشرية على حب الدنيا تنبش في أعماقها وتلهث خلف شطآنها، تستقى من رحيقها ما يمد وجودها تشبثا وتعانقا بزينتها وزخرفها، ثم لا يجد الإنسان بعد ذلك العناق مع المغريات والملذات إلا نفادا وقصورا عن مواصلة المسير، في دروبها التي ما تفتأ استنزاف طاقته وصهر قوته في بوتقة الفناء والزوال فما لحظة بريقها وعطائها إلا لحظة الشروع التنازلي لوجود الإنسان.

مازال النص ينفتح على ردهات الاقناع يسترسل في عرض حججه، ويستوسق البدائل معبرا عن طلاقة فكرية تشكل مهيمنا واضحا في أبعاد الصورة الابداعية فإن الدنيا عيشها كدر، وإن كان منظرها يعجب الناظرين، ومتاعها يغر فلا بد لكل مكلف أن يعلم الموضع الذي يحل به بعد الموت فيعلم مصيره أما الجنة أو النار[1] الحياة الدنيا مسمى معلوم ضمن خاصية التحول (غرور حائل، وضوء آفل) انضوت توصيفاتها على متوالية تنبيهية، عبر انصهار حيثياتها في تلك الخاصية المتغيرة، كالوحش الرابض ينتظر اطمئنان فريسته لينقض عليها، أو القناص الماهر يقصدها بسهمه ويقنصها بحبله، فلا ينفك جرا حتى يضمن رقودها في مستحوذ قرارها.

(حتى إذا أنس نافرها واطمأن ناكرها، قمصت بأرجلها، وقنصت بأحبلها، وأقصدت بأسهمها، وأعلقت المرء أوهاق المنية قائدة له إلى ضنك المضجع، ووحشة المرجع) وقد قيض النص المقدمات المشهورة ليدعم البناء الخطابي، مستنهضا قضية يدركها ناموس الخليقة، التي عرفت بالتجربة الممتدة من بدء نشوئها النفور مما يعود عليها بالهلاك والفناء، ولما كان محور الحياة في الدنيا قائما على مآلات نافدة، حصلت القناعة بأن الدنيا دار فناء مما يعزز مفهوم النفور منها.

---

١ . م.ن: ١١١.

فان الدنيا عيشها كدر، وان كان منظرها يعجب الناظرين، ومتاعها يغر فلابد لكل مكلف ان يعلم الموضع الذي يحل به المكلف بعد الموت فيعلم مصيره أما الجنة او النار[1].

وقد قيض النص المقدمات المشهورة ليدعم البناء الخطابي، مستنهضا قضية يدركها ناموس الخليقة، التي عرفت بالتجربة الممتدة من بدء نشوئها النفور مما يعود عليها بالهلاك والفناء، ولما كان محور الحياة في الدنيا قائما على مآلات نافدة، حصلت القناعة بأن الدنيا دار فناء مما يعزز مفهوم النفور منها ومما سبق نصل إلى الآتي:

(١) كل ما يودي الى الفناء ينفر منه (مشهورات).

(٢) الدنيا تودي الى الفناء (مشهورات).

(٣) الدنيا ينفر منها (خطابة).

فإن الدنيا رنق مشربها: (رنق): كدر[2] تأخذ العبارة من التركيب تعالقا يجمع الدنيا برنق المشرب، وهو اجتماع يعوم الحقيقي من التواشجات التركيبية، ويسبر غورا في العدول، انه يقابل بين الدنيا وعين الماء التي كدر ماؤها، وحمل التركيب عدولا آخر عندما تقدمت الصفة المشبهة (رنق) على مشربها وحقها التأخر مما شكل خرقا لقواعد التأليف الاتساقي.

ردغ مشرعها: ردغ: وقع في[3] حقق التركيب عدولا عن وضعه الراتب لتقدم الخبر(ردغ) على (مشرعها)، فضلا عن الاسناد بينهما والمتصل بالدنيا لايمثل الا انزياحا تركيبيا نظرا لما يحمل التركيب من تقابل بين الدنيا وعين الماء المملوءة بالطين والوحل.

يونق منظرها: يونق: يعجب[4].

اضافة (الهاء) العائدة على الدنيا الى (منظر) معدول به فالدنيا لا منظر لها على جهة الصدق، مما يعني ان اضافة الفعل (يونق) الى (منظرها) معدول كذلك، فان لم يكن لها منظر كيف يمكن ان يعجب الرائين ؟.

ويوبق مخبرها:يهلك[5] المَخْبَر لا يُهلك ضمن الحد الحقيقي لذا فإن التركيب عدل به عن حده المستولي

غرور حائل: اتساق معدول به لاختلاف الكنهين عن بعضهما.الغرور حالة تخص النفس البشرية سحب معناها الى الدنيا تمثيلا لها بالزيف حيث ينمو الغرور موهما الانسان بالكمال فينساق خلف سرابه وهكذا الدنيا انه يمثل الدنيا بكل مافيها بذلك الغرور الذي يعتري الانسان والذي سرعان ما يتهاوى امام متغيرات الحياة ومنقلباتها التي لا تثبت على حال.

وضوء آفل: تركيب مستول لأن الضوء يأفل على جهة الصدق مثل ضوء الشمس والنجم وضوء المصباح اما إسناد التركيب إلى الدنيا نزوعا الى المقابلة بين الصورتين (الدنيا) و (الضوء الآفل) فقد عدل به عن الوضع الراتب.

وظل زائل: اسناد مستول يمثل حقيقة فيزيائية واقعة وهي زوال الظل بزوال الضوء.

وسناد مائل:اسناد مستول لايراد به غير المعنى الظاهر

حتى إذا أنس نافرها: ارتباط مستول.

واطمأن ناكرها: ارتباط مستول.

قمصت بأرجلها: قمص: يحيل التعالق بين الفعل (قمص) و(أرجلها) بوساطة حرف الجر (الباء) على انزياح التركيب عن وضعه الراتب حيث لا ارجل للدنيا لتقمص بها٠

---

١ . م٠ن.

٢ . ينظر: أساس البلاغة: مادة (ر ن ق).

٣ . ينظر: أساس البلاغة: مادة (ر د غ).

٤ . ينظر: لسان العرب:مادة (و، ن، ق).

٥ . ينظر: م٠ن: مادة (و ب ق ).

وقنصت بأحبلها: الاتساق بين الفعل (قنص) و(أحبل) بوساطة حرف الجر (اللام) مستول، و إضافة (الهاء) الى (احبل) معدول به لأن الدنيا لاحبال لها على جهة الصدق.
وأقصدت بأسهمها: الاقصاد بالسهم يحافظ ضمن التركيب على الوضع الراتب اما اضافة (الهاء) الى (اسهمها) معدول به لأن الدنيا لاسهام لها تصديقا.
وأعلقت المرء أوهاق المنية: التواثق بين الفعل (اعلق) و(المرء) معدول به فالاعلاق هنا ليس حقيقيا، والاتساق بين (أوهاق) و(المنية) معدول به قائدة له الى ضنك المضجع: تقود الدنيا الانسان الى سوء العاقبة الذي من علاماته ضيق المضجع وهي قضية غيبية تشير اليها الشريعة.
والمرسل هنا يرسم صورة تركيبية معدولا بها فهو يجسد المجردات حين يسند فعل القيادة الى الدنيا.
ووحشة المرجع ومعاينة المحل: العبارة تحمل تواصلا مع العبارة التي سبقتها حيث تعرض صورة الدنيا وهي تقود الى وحشة المرجع ومعاينة المحل والتعالق بين (وحشة) و(المرجع) و(معاينة) و(المحل) معدول به.
وثواب العمل: في التركيب استمرارية عدولية تأثرية بفعل القيادة الذي حملته العبارة الاولى والتي تسند الى الدنيا، تلوح الى الطريق الاخر بعد ان اشارت الى ما يؤدي الى ضيق المضجع تشير الى ما يؤدي الى جزيل الثواب.
وكذلك الخلف بعقب السلف: التركيب يخرج عن مستوى الاستيلاء، يشير الى تعاقب الاجيال في محيط واحد لا يختلفون فيه عن بعضهم البعض، ويشكل العقب في الاتساق بؤرة التحول التي ادت الى جنوح التركيب عن وضعه الراتب.
لا تقلع المنية اختراما: المنية كنه مجرد سيق اليه مفهوم تأثر بفعل معين حيث لا يكون الاقلاع عن الشيء الا ردة فعل لمؤثر، ولكن اختراما اضفت حركة مستمرة لا توقف فيها.
ولايرعوي الباقون اجتراما: تركيب مستول.يحتذون مثالا: تركيب معدول به فالمثال لا يحتذى حقيقة.
ويمضون أرسالا: اشارة الى ماسبق من فكرة التعاقب فالناس يمضون ويخلفهم غيرهم جماعات تلو الاخرى وقد حافظ التركيب على وضعه الراتب،الى غاية الانتهاء وصيُّور الفناء: التركيب معدول به لان فعل المضي لا يحدد بمكان معين بل هو الموت الذي وقته ومكانه وانما عرض التركيب انتهاء مضي هؤلاء الى غاية الانتهاء وصيور الفناء كأنهما حقيقتان معلومتان وتلك قضية غير واردة تصديقا.

## بعد الموت البعث

(حتى إذا تصرمت الأمور، وتقضت الدهور وأزف النشور. أخرجهم من ضرائح القبور، وأوكار الطيور، وأوجرة السباع، ومطارح المهالك، سراعا إلى أمره مهطعين إلى معاده رعيلا صموتا قياما صفوفا، ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي عليهم لبوس الاستكانة وضرع الاستسلام والذلة قد ضلت الحيل وانقطع الأمل وهوت الأفئدة كاظمة وخشعت الأصوات مهينمة، وألجم العرق وعظم الشفق، وأرعدت الأسماع لزبرة الداعي إلى فصل الخطاب، ومقايضة الجزاء ونكال العقاب ونوال الثواب).

## تنبيه الخلق

(عباد مخلوقون اقتدارا، ومربوبون اقتسارا، ومقبوضون احتضارا، ومضمنون أجداثا، وكائنون رفاتا، ومبعوثون أفرادا، ومدينون جزاء، ومميزون حسابا، قد أمهلوا في طلب المخرج، وهدوا سبيل المنهج، وعمروا مهل المستعتب، وكشفت عنهم سدف الريب، وخلوا لمضمار الجياد، وروّية الارتياد، وأناة المقتبس، في مدة الأجل ومضطرب المهْل).

يتعاطى فنار النص مع جزئيات القضايا المطروحة بتواتر واضح، فبعد أن أصل في الاذهان لزوم التقوى والنفور من الدنيا الزائلة يسلط الضوء على ما تؤول إليه الأحوال، فما الناس في هذه الحياة إلا مسافرون يعبرون جادة رغباتهم مثقلين بأعباء الراحة، ويظهر المضمون نوعين من الأمكنة:لمكان الفاني: وهو ما يشكل عالم فناء البشر بعد انتقالهم من الحياة الى الموت، والمكان السرمدي: وهو آخر مراتب الانتقال من الموت إلى البعث والحساب ولم يعمد مرسل النص إلى توضيح طبيعة المكان وأبعاده وترك لمخيلة المتلقي استنهاض ما تستوعب من صور.

لا تقلع المنية: لاتكف، والاختزام: اذهاب الانفس واستئصالهم، ويمضون ارسالا: القطيع من الابل او الغنم، وصيور الامور آخره وما يؤول اليه.
وقد شكل التناسج بين المسلمات واليقينيات بؤرة خطابية مثلت امتدادا لاسترسال النص في المحور الاقناعي.
واعتماد عناصر (الموت، البعث، الحساب) بوصفها بؤر جذبٍ، تضيء النص، فتضعه امام الحقيقة المجردة، بالنظر الى كونها مما تخشاه النفس البشرية وتضعف في مواجهته لما فيه من استلاب الملذات وذهاب المغريات في لحظة تتوقف فيها القوى وترتهن الذاكرة الانسانية فيها ذاهلة عن استرجاعها قضيةً تبعث السرور، بل لا تبدو الا في صورة مهيمنات مزيفة سرعان ما تتلاشى امام لحظة الانتقال من الحياة الى الموت ثم إلى عالم تجهله الذاكرة.

**والنتائج القياسية تحيل على الاتي:**

(١) الموت والبعث والحساب توجب انتباه الخلق الى ما غاب عنهم (مسلمات).
(٢) لكن الخلق يموتون ويبعثون ويحاسبون (يقينيات).
(٣) وجب على الخلق التنبه الى ما غاب عنهم (خطابة).
أما التراكيب فيرصد قوله: عباد مخلوقون اقتدارا: التركيب مستول يعبر عن حقيقة الخلق، التي لا يتيه عنها العاقل لأنها كانت نتاج القدرة الإلهية التي لا يدانيها شيء. ومربوبون اقتسارا: تركيب مستول فلا يقع تحت قدرة احد من البشر رفض ربوبية الله جل وعلا لأن المشيئة اقتضت ذلك، سواء قبل الانسان بذلك ام لم يقبل.
ومرد ذلك هو العقد المبرم بين الله سبحانه والانسان، قبل خلق الخلق.
يقول تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)[١].

ومقبوضون احتضارا: تركيب مستول، لأن الاحتضار يسبق خطف الروح. ومضمنون أجداثا وكائنون رفاتا: تركيب مستول، وتلك حقيقة اخرى ظاهرة للعيان، فبعد الموت القبر مثوى الرفات.
ومبعوثون أفرادا: تركيب مستول.
لم يعاني كسرا لضوابط التصديق.
ومدينون جزاء: عدل بالتركيب فالدَّينُ ليس حقيقيا انما مرتبط بقضايا معنوية تمس العقيدة، حيث كانت الدنيا بما فيها من متاع وحياة دَيناً يُسدَد بعد حين.
ومميزون حسابا: التمييز هنا يتبع العمل وبذلك يختلف الحساب من انسان الى آخر فمن الناس (الصالحون) وأولئك أهل الجنة ومن الناس (الطالحون) وأولئك أهل النار، وبما انها قضية غيبية فإن الترابط بين التمييز والحساب معدول به٠

---

١ . سورة الاعراف: اية: ١٧٢.
ينظر: the merck manual of diagnosis and therapy (ترجمة الباحثة بتصرف): ١٦٧٧، النص باللغة الانكليزية: «. the ivis vegulates the light entering the eye by adjusting the size of its central opening the pupil the visual image is focused on the retina, the fovea centralis being the area of sharpest visual acuity»

قد أمهلوا في طلب المخرج:الفعل (امهل) مرتبط بالمصدر (طلب)ارتباطا مستوليا.
ويعبر الزمن في الدنيا عن مدة تواجد الانسان حيا فيها أي عمره المكتوب له وهي تساوي المهلة التي يختبر فيها.
وهدوا سبيل المنهج: اضافة الفعل (هدوا) الى (سبيل) ينتج تواؤما انزياحيا لأن الهداية قضية غير مدركة حسا وقد اضيفت الى (سبيل المنهج) وهو مفهوم غير تصديقي.
وعمروا مهل المستعتب: اقتران عدولي نسجه التركيب بين الفعل (عمروا) و(مهل المستعتب) يقضي بتمازج زمنين الاول عمر الانسان والثاني مهلة البقاء التي تتضمن مدة الاختبار في الحياة الدنيا.
وكشفت عنهم سدف الريب: الكشف في التركيب مضاف الى الهاء العائدة على مجموع الناس وقد حقق الترابط عدولا عن وضعه الراتب وتعالقه بـ(سدف الريب) معدول به لانه لم يكشف على جهة الصدق.
وخلوا لمضمار الجياد: التواثق بين الفعل (خلوا) و(مضمار الجياد) شغل حيزا عدوليا اذ ليس من مضمار حقيقي يتسابق فيه الناس انما عبر بهذا التعبير ليشكل افقا تقابليا مع صيرورة الحياة التي يتنافس فيها وصولا الى الغايات المزمعة.
ومضطرب المهل: استقر التركيب في بوتقة الانزياح محققا تواصلا واضحا مع جملة التراكيب التي سبقته.

## فضل التذكير

(فيا لها أمثالا صائبة ومواعظ شافية لو صادفت قلوبا زاكية وأسماعا واعية وآراء عارمة وألبابا حازمة فاتقوا الله تقية من سمع فخشع واقترف فاعترف ووجل فعمل، وحاذر فبادر، وأيقن فأحسن وعبر فاعتبر، وحُذِّرَ فحَذر، وزجر فازدجر، وأجاب فأناب وراجع فتاب، واقتدى فاحتذى، وأري فرأى، فأسرع طالبا ونجا هاربا، فأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وعمر معادا، واستظهر زادا ليوم رحيله ووجه سبيله، وحال حاجته، وموطن فاقته وقدم أمامه لدار مقامه، فاتقوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه، واستحقوا منه ما أعد لكم بالتنجز لصدق ميعاده والحذر من هول معاده).
يدلف المضمون نحو اجتياز صور الموت والبعث والحساب، مستظهرا دور المعرفة في تحقيق الاهداف إنه يبث الحياة في العقول والقلوب، في الأبصار والأسماع، يدعوها إلى وقفة يعانق فيها العقل جوف الحقيقة يستلهم منها الصواب والعبرة، بما استحضر من الأمثال، دعوة تنشط بها عناصر التفكير وتسرح فيها خواطر الألباب.
إنّ ارتقاء الغايات في «رؤية النص» يتكامل مع توظيف الأدوات المعرفية (القلوب، الأسماع، الألباب) عبر عنها (ع) بقوله: (فيا لها أمثالا صائبة، ومواعظ شافية، لو صادفت قلوبا زاكية وأسماعا واعية، وآراء عازمة، وألبابا حازمة) صواب الأمثال والمواعظ متسق بالوعي الإنساني نظرا إلى ما تحمل من أهمية في اختراق التفكير ومن ثم تصحيح مساره، وإلا فإنها ستعاني انحدارا نحو التيه والانحراف عن جادة الصواب.
ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي، اي هم مع كثرتهم لا يخفى منهم احد ادراك البارئ سبحانه، وهم مع هذه الكثرة أيضا لا يبقى منهم احد الا اذا دعا داعي الموت سمع دعاءه ونداءه.(٣٥)
والصدق من حيث مطابقة القول للعمل قضية توجب التصديق، ولما كان الله تعالى صادقا في ما يحذر الخلق منه، وجب الحذر تيقناً بعواقب المخالفة.
وبناء على ما سبق نصل الى الآتي:
(١) صدق الميعاد يوجب الحذر (بديهيات).
(٢) الله تعالى صادق الميعاد فيما حذر من نفسه (يقينيات).
(٣) يجب الحذر من الله تعالى فيما حذر من نفسه (برهان).
ويلاحظ في التراكيب ما يأتي:

مواعظ شافية: الشفاء لا يكون الا بعد مرض والمواعظ تشفي ان كانت ناجعة مؤثرة ينتج عنها نتاج ايجابي والتواثق يحيل على عدول التركيب.
لو صادفت قلوبا زاكية: المصادفة ليست حقيقية والقلوب تزكو بما يعتمرها من مشاعر الخير والصلاح وتلك امور غير مدركة بالحس لذا فان التركيب معدول به.
وأسماعا واعية: الوعي بالعقل وليس بالسمع انما تحصل عملية الوعي بعد السماع ونسبتها الى الوعي تشكل انزياحا تركيبيا.
وآراء عازمة: العزيمة مرتبطة بالقدرة على تحمل المشاق والاقدام على تحدي الامور دون تراجع او تخاذل والرأي المضاف الى عازمة حقق عدولا على مستوى التركيب، وألبابا حازمة: تركيب مستول لانه اسند للعقل قدرة من قدراته، فاتقوا الله تقية من سمع فخشع: التركيب مستول
واقترف فاعترف: التركيب مستول
ووجل فعمل: التركيب مستول
وحاذر فبادر: التركيب مستول
وأيقن فأحسن: التركيب مستول
وعبر فاعتبر: التركيب مستول
وحذر فحذر: التركيب مستول
وزجر فازدجر: التركيب مستول
وأجاب فأناب: الاجابة ليست حقيقية انما قلبية والانابة هي العودة الى الله وهي كذلك قضية قلبية لذا فان التركيب معدول به.
وراجع فتاب: بني التركيب على محذوف تقديره (الأمر) مما عدل بالتركيب عن وضعه الراتب
فأسرع طالبا: الاسراع والطلب ليسا على جهةالصدق مما يخرج بالتركيب عن وضعه الراتب
فأفاد ذخيرة: عدل عن ذكر حرف الجر (من) والاصل في التركيب (افاد من الذخيرة).
واستظهر زادا ليوم رحيله ووجه سبيله: استظهر على زنة (استفعل) طلب وقوع الشيء، والزاد هنا العمل الصالح الذي يدخره الانسان ليوم حسابه وتلك قضية غيبية مما يعدل بالتركيب.
وحال حاجته وموطن فاقته: تشير تقنيات التوليف ضمن هذا التركيب الى عدول اتساقي حيث خرجت اضافة (حاجة) الى (حال) عن وضعها الراتب وكذا اضافة موطن الى فاقته.
وقدم أمامه لدار مقامه: التقديم هنا التهيؤ والتحضير ودار المقام هي الدار الاخرة والترابط يعقد تواشجا عدل عن مستويات الحقيقة لنسجه قضايا غيبية.
واحذروا منه كنه ما حذركم من نفسه: جاء التعبير بالتحذير متعديا بحرف الجر(من)، ولم يربط النص فعل التحذير بـ (الضمير) العائد على الذات المقدسة بصورة مباشرة (احذروه)، وذا يمثل تقنية عالية في مواءمة النسق التركيبي بالمعنى، لأن التحذير ليس معوما على الذات المقدسة بالمطلق، ولا في الأحوال كلها بل يشمل ما حذر الله به العباد من نفسه، فيما عرض له الامام من قواعد الايمان. فالتركيب معدول به.

## التذكير بضروب النعم

(ومنها جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها، وأبصارا لتجلو عن عشاها، وأشلاء جامعة لأعضائها، ملائمة لأحنائها، في تركيب صورها، ومدد عمرها، بأبدان قائمة بأرفاقها، وقلوب رائدة لأرزاقها، في مجللات نعمه وموجبات مننه، وحواجز عافيته، وقدر لكم أعمارا سترها عنكم، وخلف لكم عبرا من آثار الماضين قبلكم، من مستمع خلاقهم، مستفتح خناقهم، أرهقتهم المنايا دون الآمال، وشذبهم عنها تخرم الآجال٠ لم يمهدوا في سلامة االأبدان، ولم يعتبروا في أنف الأوان، فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم ؟ وأهل غضارة الصحة إلا نوازل السقم ؟ وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناء ؟ مع قرب الزوال، وأزوف الانتقال، وعلز القلق، وألم المضض، وغصص الجرض وتلفت الاستغاثة بنصرة الحفدة والأقرباء، والأعزة زالقرناء، فهل

دفعت الأقارب، أونفعت النواحب، وقد غودر في محلة الأموات رهينا، وفي ضيق المضجع وحيدا، وقد هتكت الهوام جلدته، وألبت النواهك جدته، وعفت العواصف آثاره، ومحا الحدثان معالمه، وصارت الأجساد شحبة بعد بضتها، والعظام نخرة بعد قوتها، والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيء زللها، أولستم أبناء القوم والآباء، وإخوانهم والأقرباء ؟ تحتذون أمثلتهم، وتركبون قدتهم، وتطؤون جادتهم،فالقلوب قاسية عن حظها لا هية عن رشدها سالكة في غير مضمارها كأن االمعني سواها، وكأن الرشد في إحراز دنياها).

إن جوهر الحياة قائم على ذلك الانتقال من طور إلى طور ومن حال إلى حال، فالخلق طور ارتبط بالقدرة وهي محيط لا متناه من الإمكانات التي تفوق المستوى المعهود في العقل البشري، والربوبية لا تقع للعقل فيها الاختيارية التي ترصد في حيثيات أخرى من حياة الإنسان، ثم تتوالى النقلات من الحياة إلى الموت والأجداث والرفات ثم البعث والحساب.

إنه يصنع متوالية لا تقبل الإفلات من الاتساقات المنطقية ويعالج المظهر ضمن التنقلات الشباب تصاعديا ثم الهرم تنازليا، والصحة لا تنفك عن تحول السقم «فهل ينتظر أهل بضاضة الشباب إلا حواني الهرم ؟ وأهل غضارة الصحة إلا نوازل السقم ؟ وأهل مدة البقاء إلا آونة الفناء ؟ مع قرب الزيال وأزوف الانتقال».

فصل الخطاب: بت الحكومة التي بين الله وبين عباده في الموقف، وانما خص الاسماع بالرعدة، لانها تحدث من صوت الملك الذي يدعو الناس الى محاسبته.

والمقايضة: المعاوضة، قايضت زيدا بالمتاع وهما قيضان، كما قالوا: بيعان.

وقد حمل النص بين طياته علامات تميز الكينونة الابداعية الكاملة لله جل وعلا من خلق الانسان بذلك التنسيق العجيب، وقد عرض (عليه السلام) لسمات ذلك الخلق بوصفه ضربا من ضروب النعم الالهية التي تستوجب التفكر من اسماع وابصار وابدان وصور.

وفي قوله (عليه السلام) «وابصارا لتجلو عن عشاها» استنهاض لقضية علمية تغذي عنصر التصديق باليقين الدامغ، فالعين ماهي الا عضو مظلم لا فاعلية له ولا دور دون عامل الضوء، الذي بسقوطه على العين يحدث الابصار.

إذ يتم ضبط كمية الضوء الداخل الى العين، عن طريق ضبط حجم الفتحة المركزية لها البؤبؤ، فترتكز الصورة البصرية على شبكية العين حيث يشكل مركزها منطقة الحدة البصرية (٣٦) ولكنه بإشارت الى العشو يشخص قضية علمية، في غاية الدقة وهي أن لولا امتلاك العين للقدرة على الابصار ماكان الضوء نافعا، فما نفع الضوء ان كانت العين لاتملك مقومات البصر.

واستخدامه للعشو ليس تصديقيا لأن العشو مرض يصيب العين وليس واقعا في لعين بوصفه جنسا وهو بذلك يشير الى النعمة الالهية في خلقة العين البشري، التي منحها الله تعالى نعمة البصر، فضلا عن نعمة الضوء التي تمثل عاملا مكملا للنعمة الأولى وتتضح حدود القضية بالاتي:

(١) ما يجلا عنه العشى يبصر(يقينيات).
(٢) العين جلا عنها العشى (يقينيات).
(٣) العين تبصر (برهان).

**ويقوم النص بهيأته العامة على القضايا الاتية:**

(١) زوال النعم وتبدل الأحوال تقتضي من الإنسان أن يذكر تلك النعم ويتفكر فيها(بديهيات)
(٢) لكن النعم زائلة والاحوال متبدلة (يقينيات)
(٣) قضي على الانسان تذكر النعم والتفكر فيها(خطابة)

ومنها جعل لكم أسماعا لتعي ما عناها: شكل النص من ربط فعل الوعي بالأسماع، عدولا لأن الاسماع لاتنهض بفعل الوعي بل بفعل الاصغاء وانما ينسب ذلك الى العقل، كما شكل تقدم شبه الجملة (لكم) خرقا لقواعد تأليف الكلام، والاصل تقدم المفعول (أسماعا).

وأبصارا لتجلو عن عشاها: المعنى مرتبط بما يسبقه، وبني على جملة محذوفة والتقدير: (وجعل لكم ابصارا لتجلو عن عشاها) الأبصار لاتجلو على جهة الصدق، بل ان الانوار الساقطة على الاشياء تجعل منها أجساما مرئية، فتبصرها العين.
وقدر لكم أعمارا سترها عنكم: تقدير الاعمار في أزمان ثابتة، ولا يقع الا في علم الله تعالى، وقد عدل التواثق بين الستر والاعمار بالتركيب عن وضعه الراتب، لأن المستور هو الزمن الذي ينضوي تحته العمر.
أرهقتهم المنايا دون الآمال: التركيب معدول به، إذ حقق تقدم المفعول به (هم) على الفاعل (المنايا) خرقا لقواعد التأليف ضمن السياق
وشذبهم عنها تخرم الآجال: التشذيب: التقطيع بتمزيق (٣٧)، والتخرم: الاقتطاع والاستصال (٣٨) وقد عدل بالتركيب تقدم المفعول على الفعل.
مع قرب الزيال: القرب لا يدخل في جرة الحقيقة مما ينحو بالتركيب نحوا عدوليا وازوف الانتقال: معدول به لأن الازوف ليس حقيقيا وقد غودر في محلة الأموات رهينا ، وفي ضيق المضجع وحيدا: الاتساق بين (محلة) و (الأموات) معدول به، فليس للأموات من محل حقيقي وقوله:(في ضيق المضجع) مستول والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها: الارواح كنه لا يقع في حيز الموجودات المادية، فلا يتصور من عبء حقيقي يثقلها، وهذا ما يدفع التركيب الى الاتجاه الانزياحي.
موقنة بغيب انبائها: اليقين مرتبط بالعقل وقدرته على ترجمة ما يحيط به من المواقف والاحداث، ولا تدرك الارواح ذلك الا بشكل لا تصديقي.
وقوله: تحتذون أمثلتهم، الاحتذاء ليس صادقا بل جيء به للدلالة على المماثلة بين حال الاولين والآخرين من البشر ، وتركبون قدتهم: القدة الطريقة: والركوب هنا لا تصديقي
سالكة في غير مضمارها !: المضمار يضع التركيب في ساحة اللاتصديق، اذ تبدو الارواح وهي تسير في طريق لم تعتد السير فيه وتلك قضية بعيدة عن الصدق

## التحذير من هول الصراط

(واعلموا أن مجازكم على الصراط، ومزالق دحضه، وأهاويل زلله، وتارات أهواله فاتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه وأنصب الخوف بدنه وأسهر التهجد غرار نومه، وأظمأ الرجاء هواجر يومه، وظلف الزهد شهواته وأوجف الذكر بلسانه، وقدم الخوف لأمانه وتنكب المخالج عن وضح السبيل وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، وتفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور، ظافر بفرحة البشرى، وراحة النعمى في أنعم نومه، وآمن يومه.
وقد عبر معبر العاجلة حميدا، وقد زاد الآجلة سعيدا، وبادر من وجل، وأكمش في مهل ورغب في طلب وذهب عن هرب وراقب فر يومه غده ونظر قدما أمامه فكفى بالجنة ثوابا ونوالا وكفى بالنار عقابا ووبالا وكفى بالله منتقما ونصيرا وكفى بالكتاب حجيجا وخصيما).
ينبعث التحذير من أروقة النص، يعالج منظومة فكرية متناسجة مع ما سبقها من فصول حديثه عن التقوى والنعم وتنبيه الخلق ويرسم خطا بيانيا تصاعديا، تتعالق في ضوئه كل قضية من القضايا المطروحة ويمثل العقاب ناتجا حتميا لتوصيف الجنوح عن مزاد التفكر والعمل الصالح الذي وظف عنصرا وقائيا.
متعلم العلم ههنا، ولا بد له من أناة ومهل ليبلغ حاجته، فضرب مثلا(٣٩) يعرض النص لمقدمات تصنف على وفق القياس ضمن (المقبولات)، لمجيئها في أقوال اهل العصمة والنبوة (عليهم السلام)، اذ شكل (التفكر، والتهجد، والزهد) عناصر متفاعلة في صميم التجاذب النصي بين المقبولات والمشهورات، نزوعا الى ابراز القضية الخطابية محورا في الحد القياسي
(١) التفكر والتهجد والزهد تقي من مزالق الصراط (مقبولات).
(٢) المزالق تودي الى المهالك (مشهورات).
(٣) المهالك تتقى بالتفكر والتهجد والزهد (خطابة).

واعلموا ان مجازكم على الصراط السراط: التركيب مستول
ومزالق دحضه ارتباط المزالق بالدحض يلم بحيثيات انزياحية، ذلك أن الدحض: هو انزلاق الرجل بغتة، والمزالق: مواضع الانزلاق، وهما قضيتان خارجتان عن الحقيقة فليس من مزالق على الصراط انما قصد الاشارة الى اعمال الانسان التي تسقط به.
واهاويل زلله: الزلل نتيجته اهوال العذاب التي اعدت للانسان المذنب في النار، فالزلل لا اهاويل له انما ربطت النتيجة بالفعل انزياحا.
وأظمأ الرجاء هواجر يومه: يكسر التواشج بين الرجاء والظمأ اواصر التأليف الحقيقي، فحال المؤمن من الرجاء الطويل الذي يستدعي المناجاة والدعاء، حتى تظمؤه كثرة النجوى والدعاء، والهواجر: نصف النهار عند اشتداد الحر (٤٠)، والرجاء بما يستدعي من الكلام هو الذي يظمئ وليس الرجاء بوصفه معنى.
واوجف الذكر بلسانه: أوجف اسرع، كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها. (٤١) مما يوضح عدول التركيب.

## الوصية بالتقوى

(أوصيكم بتقوى الله الذي اعذر بما انذر، واحتج بما نهج، وحذركم عدوا نفذ في الصدور خفيا، ونفث في الآذان نجيا، فأضل وأردى، ووعد فمنى، وزين سيئات الجرائم، وهون موبقات العظائم، حتى اذا استدرج قرينته، واستغلق رهينته، أنكر ما زين، واستعظم ما هون وحذر ما أمن).
واستغنى عنه بقوله: فاتقوا الله لان التقوى ملازمة لقصد المقصد المكلف العبادة، فدلت عليه واستغنى بها عن اظهاره (٤٢).
إن التوافقات التي قيضتها حدود القضية الاقناعية، نجمت عن اتساق المقبولات بالمخيلات، التي رسمت كنها خفيا له قابلية النفاذ واختراق الاجساد بقواه اللامرئية، التي تحاكي الصدور فتزين القبيح.
ثم كان ان تعالقت مع ما يدرج في القضايا المقبولة من، حقيقة وجود ذلك المخلوق على جهة الصدق.
يقول تعالى: «**إلا إبليس كان من الجن**»(٤٣) «إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم»(٤٤)
وهكذا نتوصل الى الآتي:
(١) ما ينفذ في الصدور خفيا ويحادثها سرا فيزين لها القبيح وينزل النفس من درجات الرشد الى الضلالة عدو يحذر منه (مخيلات).
(٢) الشيطان ينفذ في الصدور خفيا ويحادثها سرا فيزين لها القبيح وينزل النفس من درجات الرشد الى الضلالة (مقبولات).
(٣) الشيطان عدو يحذر منه (خطابة).

## ومنها في صفة خلق الانسان

(أم هذا الذي أنشأه في ظلمات الأرحام وشغف الاستار نطفة دهاقا وعلقة محاقا وجنينا وراضعا ووليدا ويافعا ثم منحه قلبا حافظا ولسانا لافظا وبصرا لاحظا ليفهم معتبرا ويقصر مزدجرا حتى اذا قام اعتداله واستوى مثاله نفر مستكبرا).
يعمد المرسل إلى جعل (القلب، اللسان، البصر) في سرادق واحد، وقد مثلت هذه العناصر مجتمعة مرتكز الأدوات المعرفية التي تنسرب منها القدرة الاستيعابية لبني البشر، القلب مركز الحفظ واللسان مركز اللفظ والبصر مركز الملاحظة.
ولا ينفك التعالق بين المرتكزات والحياة تعالقا يخضع (القلب، اللسان، البصر) لمستحوذ الحياة، ويأخذها في منعطفاته (الهوى، السعي، اللذات، الأنة، الكرب) ولكن التحول الأخطر هو الانتقال إلى (عوالم الروح) إذ تنتفي إمكانية الرجوع إلى مراحل استدراكية تعوض النقص في العمل

الذي يقيها (ثقل الأعباء) «والأرواح مرتهنة بثقل أعبائها، موقنة بغيب أنبائها، لا تستزاد من صالح عملها، ولا تستعتب من سيء زللها».
لتعي ما عناها اي لتحفظ وتفهم مااهمها.
واراد بالاشلاء الاعضاء الظاهرة وبالاعضاء الجوارح الباطنة والملائمة الموافقة.
والاحناء الجوانب والجهات.
ووجه الموافقة والملائمة ان كون اليد في الجانب اولى من كونها في الراس او في اسفل القدم لانها ان كانت في الجانب كان البطش وتناول ما يراد ودفع ما يؤذي اسهل وكذلك القول في جعل العين في الموضع الذي جعلت به لانها كديدبان السفينة البحرية
ولو جعلت في ام الراس لم ينتفع بها هذا الحد من الانتفاع الان، واذا تاملت سائر ادوات الجسد واعضاءه وجدتها كذلك.(٤٥)
ويسترسل النص في اعتناق عناصر القياس التصديقي، وفتح ردهات المضمون على مسارب يقينية، عطفت بالنص من الاقناع الى البرهان ؛ مكتنفا دعائم القضايا التي كشّفت عن مقياس علمي، يقاس به بنو البشر، إذ مثل المضجع المساحة التي يشغلها الجسد بوصفه مادة تشغل حيزا من الفراغ، ثم كان لهذه المادة كتلة عبرت عن الحجم الذي شكل المقدار، ولما كانت المساحة متكئة على ذلك الحجم، فلا تقوم الا به، تساوى المقداران.إن انعطاف النص على البرهان في خاتمة الخطبة، محاولة يرمي من ورائها مرسل النص، تأطير القضية التي يشير اليها بإطار لافت، وجعلها في حالة من التفرد، وصولا الى أعلى درجات التأثير.
لذا فإن قضية النص تنهض على الحدود الآتية:
(١) كل مخلوق مولود مقداره بمقدار مضجعه من القبر (يقينيات).
(٢) الانسان مخلوق مولود(يقينيات).
(٣) الانسان مقداره بمقدار مضجعه من القبر(برهان).
وهو (عليه السلام) يشير الى حقائق علمية كثيرة تلف جوانب التكوين البشري، ومنها خلقه في: «ظلمات الارحام، وشغف الاستار»، اذ يشير الى بطانة الرحم وما يحيط بها من أغشية.
وشغف الاستار: جمع شغاف _ مثل سحاب وسحب – وهو في الأصل غلاف القلب، استعارة للمشيمة (٤٦) الاستار هي أغلفة الرحم وليست الاستار الحقيقية، والقرينة المانعة من ارادة الاستار الحقيقية قوله (شغف) لأنها مختصة بالقلب، ثم استعارها للرحم التي تحمل الانسان ماتحا في غرب هواه: متح الماء: نزعه وهو في اعلى البئر ؛ والماتح: الذي ينزل البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلو، والغرب: الدلو العظيمة (٤٧) اضافة الغرب الى الهوى تعدل بالتركيب اذ يقابل بين صورتين صورة البئر التي قل ماؤها، وصورة الاهواء، ليضع الصورة الثانية في قالب الاولى، مما يحملها صفة مشابهة، فالاهواء هي البئر التي قل ماؤها، والماء يرمز الى الخير والنفع، فإن قل دل ذلك على قلة الخير والنفع، ومازال الانسان ينزل عند تلك الاهواء ليغرف منها، كالنازل الى بئر قل ماؤها، فيلاقي من النصب الكثير ولا ينال الا القليل.
دهمته فجعات المنية في غبَّر جماحه: يعكس التركيب ارتباط الفجعات بـ (غبر) بوساطة حرف الجر (في)، ويشخص في هذا عدول، اذ الفجعات كنه مجرد وكذا (غبر).
وبات ساهرا في غمرات الآلام: التعالق بين اسم الفاعل (ساهر) و (غمرات) بوساطة حرف الجر (في) يعدل بالتركيب، حيث ان الغمرات كنه غير مادي جاء معبرا عن استحكام حالة الالم واحاطتها حتى اسهدت صاحبها ومنعته النوم.
وطوارق الأوجاع والأسقام،: اضافة الطوارق الى الاوجاع تعدل بالتركيب، فالاوجاع لاطوارق لها على جهة الصدق انما الحاح الوجع يجعله في صورة من يطرق في شيء اشارة الى التكرار والاستمرار بين أخ شقيق، ووالد شفيق: مستول
والمرء في سكرة ملهثة،: قصد سكرة الموت، وهو ما يحل بالمرء عند موافاة الاجل، فيتسارع النبض ويضيق النفس حتى لا يصبح المرء قادرا على التنفس فيأخذ باللهاث والتركيب مستول.

ثم ألقي على الأعواد رجيع وصب: التعالق بين (ألقي) و(الأعواد) معدول به، فالاعواد لا تدخل في اطار الصدق، واتساقه بـ (رجيع) معدول به ايضا، فالرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل والوصب التعب (٤٨)، ونضو سقم،: عدل عن ذكر حرف الجر(من) والتقدير نضو من سقم، اي بسبب السقم.

تحمله حفدة الولدان، وحشدة الأخوان: مستول الى دار غربته،: الغربة لا دار لها على جهة الصدق، فالتركيب معدول به ومفرد وحشته، حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع، أقعد في حفرته: مستول

نجيا لبهتة، السؤال، وعثرة الامتحان: يعقد التركيب بين البهتة والسؤال والعثرة والامتحان رابطا عدوليا، فالحيرة لصاحب السؤال وليس للسؤال ذاته، وكذا العثرة لصاحب الامتحان وليس للامتحان ذاته.

وتصلية الجحيم: التقدير: نار الجحيم فعدل عن ذكر فاعل المصدر (تصلية)

لافترة مريحة: الفترة لا تعد عاملا تكوينيا يمنح الراحة في حد ذاته بل ما يلزم فيها من الزمن الكفيل بمداواة الالم فالتركيب معدول به.

بين اطوار الموتات: الموت واحد ولا اطوار له انما عدل بالتركيب ليدلل على انواع العذاب وعذاب الساعات إنا بالله عائذون: والساعات تعالقها بعذاب عدل بالتركيب، وجاء الترابط بينهما مشيرا الى طول العذاب، فالساعات تعبر عن الزمن والعذاب يعبر عن الالم.

عباد الله أين الذين عمروا فنعموا: مستول

وعملوا ففهموا، وأنظروا فلهوا، وسلموا فنسوا ! مستول

أمهلوا طويلا: مستول

ومنحوا جميلا،: مستول

وحذروا أليما: عدل عن المفعول به، والتقدير: (عذابا)، فالاصل في التركيب: (وحذروا عذابا أليما).

ووعدوا جسيما: عدل عن المفعول به (جزاء) والتقدير: (ووعدوا جزاء جسيما).

احذروا الذنوب المورطة: يشكل الاتساق بين الذنوب و اسم الفاعل(مورطة) انزياحا تركيبيا.

ان الخطايا هي التي تستجلب الذنوب، والتورط انما هو حتم الاعمال، فعمل الانسان هو المورط بالذنوب.

اولي الأبصار والأسماع،: والعافية والمتاع: مستول

هل من مناص أو من خلاص، أو معاذ أو ملاذ، أو فرار أو محار، أم لا !: مستول

«فأنى تؤفكون» ؟ أم أين تصرفون ؟: مستول أم بماذا تغترون ؟: مستول

وإنما حظ احدكم من الأرض،: الحظ: النصيب، ولا يشير النص الى نصيب حقيقي موزع على الناس من هذه الارض، انما هو قدر ما يدأب الانسان على اقتناصه وكسبه من الدنيا، مما يضع التركيب في محور الانزياح.

ذات الطول والعرض: مستول

قيد قده: اتساق التركيب بما قبله يخرج به عن التصديق، فالحظ قضية مجردة، لا تقاس بالمقادير المعروفة، والقد محسوس معروف ولا يصح تقدير الامور به الا لغاية بلاغية.

متعفرا على خده !: مستول

الآن عباد الله والخناق مهمل: مستول

والروح مرسل، في فينة الإرشاد: اسناد مرسل الى الروح يشكل انزياحا تركيبيا، اذ يشير الى سكن الارواح في الاجساد، فلما تزال غير مقبوضة، تتزود من دنياها، ما يرشدها الى جادة الصواب.

وراحة الأجساد:مستول

وباحة الاحتشاد: لا تشكل الباحة في هذا التركيب محلا ضمن الكينونة التصديقية، انما تعكس صورة الدنيا التي تحتشد فيها مطالب الانسان وقضاياه المختلفة.

ومهل البقية: التعانق بين (اسم الزمان) (مهل) و (المصدر) (بقية)، جسد جنوحا تركيبيا عن المستوى الحقيقي، حيث ان البقية تفيد فضلة الشيء، واقترانها بالزمن لا يضعها في اطار الفضلة المادية بل المجردة.

وإنظار التوبة: النظرة من التأمل ومنح المهلة، يقول تعالى: «**فنظرة الى ميسرة**» (٤٩)، فالحياة تمثل تلك الفرصة من الزمن، الذي وضع متاحا لاعمال الفكر والمقدرة البشرية، بما يضمن كسب الصالحات وتنصهر فيها مهلة التوبة، التي هيأتها الرحمة الالهية، لتمنح البشر امكانية العودة الى طريق الله.

## المصادر والمراجع


القران الكريم

١. أساس البلاغة: تأليف الإمام، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ( ٥٣٨هـ) دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢. أسرار البلاغة: تأليف الشيخ الإمام أبي بكر، عبد القاهر بن عبدالرحمن محمد الجرجاني النحوي (٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمدشاكر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة.ط١، ١٩٩١م.

٣. البحر المحيط: سورة الفاتحة.

٤. بنية اللغة الشعرية جان كوهن: ترجمة محمد الولي ومحمد العمري، ط ١، ١٩٨٦م دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب.

٥. بنية النص القراني: دراسة موازنة بين البنى العقائدية واللغوية والفنية اطروحة تقدمت بها ابتسام السيد عبد الكريم علي المدني إلى مجلس كلية التربية – جامعة بغداد – وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها «النقد الأدبي» إشراف الاستاذ الدكتور محسن عبد الحميد.

٦. تحليل الخطاب الادبي (محمد عزام): منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا –دمشق ١٩٩٩م.

٧. تلخيص كتاب أرسطو لابن رشد ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس: تأليف: أبي الوليد بن رشد (٥٩٥هـ)، منشور ضمن فن الشعر أرسطو طاليس، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة بيروت – لبنان.

٨. شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد المعتزلي: تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ط١، دار الكتاب العربي، بغداد ٢٠٠٥م.

٩. الشعرية العربية محاضرات ألقيت في الكوليج دو فرانس،أدونيس، باريس أيار ١٩٨٤م، دار الآداب- بيروت.

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٣٧هـ.

١١. علم الدلالة: تأليف آر. بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي الجامعة المستنصرية، ١٩٨٥م.

١٢. العين: لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠هـ - ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي و الدكتور ابراهيم السامرائي.

١٣. فن الشعر من كتاب «الشفاء» لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا(٤٢٨هـ)، منشور ضمن كتاب فن الشعر لأرسطو طاليس ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة بيروت – لبنان.

١٤. لسان العرب:: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور(٧١١هـ) المصري –دار صادر بيروت – (د. ت)

١٥. مستويات العدول والتخييل في أمثلة من شعر أبي تمام والبحتري –دراسة اجرائية في ضوء الصناعات الخمس (رسالة ماجستير) اسلان فاروق عيسى، ٢٠٠٧م.
١٦. مقدمة شرح نهج البلاغة (البحراني) د.ط، المطبعة الحيدرية طهران ١٣٧٨هـ
١٧. نظرية البنائية في النقد الأدبي تأليف: د. صلاح فضل: دار الشؤون الثقافية العامة بغداد-أعظمية ، ط٣، ١٩٨٧م.
١٨. نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، شرح محمد عبده، مؤسسة أنصاريان –قم –ايران
١٩. the merck manual of diagnosis and therapy ١٩٧٧م.

# أصحاب الإمام علي بن أبي طالب (ع) في كتاب نهج البلاغة- مالك الأشتر أنموذجاً

الاستاذ المساعد الدكتورة: وجدان فريق عناد (جامعة بغداد - مركز إحياءالتراث العلمي العربي)

## المقدمة:

كتاب نهج البلاغة واحد من الكتب المهمة في التراث العربي الإسلامي، وكان له من الشهرة بحيث ذاع صيته في الآفاق الإسلامية، واهتم به العلماء من حيث شرحه والتعليق عليه، وهذا الكتاب جمعه السيد الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي العلوي (ت ٤٠٦ هـ) من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأصبح للكتاب أهمية كبيرة في مجال العلم والمعرفة فكان مادة غنية في المجالس العلمية.

وقد احتوى على مادة مهمة ورد فيها ذكر لبعض الشخصيات المهمة منها مالك الأشتر رضي الله عنه، فقد عهد إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) بولاية مصر، ويعد هذا العهد جزء من كتاب نهج البلاغة، فقد ورد فيه وصية الإمام (عليه السلام) لمالك الأشتر بالترفق وحسن المعاملة مع أهل مصر، فكان هذا العهد كان نظام يُهتدى به، وشريعة يُجرى عليها، وسنة يُأخذ بها، وفيه كنز ثمين لحسن السياسة وأدب الحكام.

كما إن لهذا الصحابي دور مهم في حياة الإمام علي (عليه السلام) حتى إنه لما سمع بخبر موت الأشتر قال: «لله در مالك، وما مالك لو كان من جبل لكان فندا، ولو كان من حجر لكان صلدا، أما والله ليهدن موته عالماً وليفرحن عالماً على مثل مالك فلتبكي البواكي».

وسيتناول البحث شخصية مالك الأشتر ودوره في حياة الإمام علي (عليه السلام)، مع التركيز على عهد الإمام علي (عليه السلام) له من خلال نهج البلاغة، فضلاً عن الروايات التاريخية، متبعين المنهج العلمي التاريخي في تقصي الحقائق.

**اسمه ونسبه:**

هو مالك بن الحارث بن عبد يَغوث بن مسلِمة بن ربيعة بن الحارث بن جذيمة بن سعد بن مالك بن النخع بن مذحج... بن يَعرُب بن قحطان[١].

ولد في اليمن في بني نخع، الذين انتقلوا إلى الكوفة بعد امتداد الإسلام، ثم توزّع أفراد نخع على مدن العراق. لذلك تعد الكوفة موطنه[٢].

**ولادته:**

لم تذكر لنا المصادر التاريخية تاريخاً محدّداً لولادته، والثابت إنه ولد في عهد ما قبل الإسلام. ويرى الشيخ عبد الواحد المظفر: أن ولادته كانت قبل البعثة، معتمداً في هذا الاستنتاج على قول مالك الأشتر لأم المؤمنين عائشة (رض) لما عاتبته في شأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لما صرعه يوم الجمل:

**فنجاه مني أكله وشبابه وإني شيخ لم أكن متماسكاً**

وعمر عبد الله بن الزبير كان حينذاك (٣٦) سنة لأنه ولد عام الهجرة، ومعركة الجمل كانت سنة (٣٦ هـ)، والشيخ الذي لم يتماسك لابد أن يكون عمره أكبر على أقل تقدير بالضعف، فيقدر عمره آنذاك بسبعين سنة، لذلك يكون قد ولد قبل البعثة، لأن المدة من البعثة إلى معركة الجمل

---

١ . الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ ). تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ٣٠٨/٤؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ( ت ٨٥٢ هـ ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ، ٤٨٢/٣.

٢ . ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ( ت ٤٦٣ هـ ). الانباه على قبائل الرواة، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦، ص١١٦.

(٥٩) سنة. ويضيف المظفر: إنه ربما تجاوز هذا السن، لأن الإنسان عندما يبلغ السبعين سنة يكون شيخاً، لكنه لا يكون غير متماسك، فلا بد أن يكون حينها قد تجاوز السبعين[١].

**إسلامه ومواقفه في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):**

أسلم على عهد الرسول وثبت على إسلامه ووصل في إيمانه درجة شهد بها الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

ولكن هل كانت له صحبة ودور في عصر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

هناك رأي يعتقد أن مالك الأشتر عاصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكنه لم يره ولم يسمع حديثه، وذُكر عند النبي (صلى الله عليه وآله) فقال فيه النبي (صلى الله عليه وآله): «إنه المؤمن حقاً».

أما أبن حجر فذكر: أن مالك الأشتر سمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجعل له صحبة، وكان ممن شهد بايع تحت الشجرة[٢]. ويبدو أن قول أبن حجر ومن أخذ برأيه هو الأقرب للحقيقة، لأن مواقفه تدل على تمسك وقوة وصلبة، كما أن مكانته بين الصحابة ودوره يثبت ذلك.

**لقبه:**

لُقِّب بـ (الأشتر) لأن إحدى عينيه شُتِرَت – أي شُقّت – في معركة اليرموك. والتصق به هذا اللقب (الأشتر) حتى كاد لا يعرف إلا به، ولذا عندما صرخ ابن الزبير من تحت الأشتر: «اقتلوني ومالكا» لم يعلم أحد من الناس من يقصد ولو قال: اقتلوني والأشتر لقتلا جميعاً[٣].

ولقب بألقاب أخرى، غير الأشتر، منها كبش العراق، وهي استعارة، لأن قطيع الضان يتبع الكبش، كذلك الجنود يتبعون الرئيس أو القائد. وقد تلقب مالك الأشتر بهذا اللقب بصفين. فعندما أقبل عمرو بن العاص في خيل من بعده، أقبل الناس على الأشتر، وقالوا يوم من أيامك الأول، قد بلغ لواء معاوية حيث ترى، فأخذ الأشتر لواءه وحارب القوم حتى أجبرهم على العودة على أعقابهم[٤]. ولما كان مالك حامل راية الإمام علي (عليه السلام) وقائد قواته لذا لقب بكبش العراق.

العراق.

وقال النجاشي في هذه الحادثة شعراً جاء فيه:

**دعونا لها الكبش كبش العراق وقد خالد العسكر العسكر**

فضلاً عن ذلك فقد ورد هذا اللقب في أبيات أخرى قالها مقاتل من أهل الشام في سواد الليل، جاء فيها:

**ثلاث رهط هموا أهلها وإن يسكنوا تخمد الوقده**
**سعيد بن قيس وكبش العراق وذاك المسود من كندة**

وهناك لقب آخر هو الأفعى العراقية، وجاء ذلك في شعر قاله مالك في نفسه، في معركة صفين[٥]:

**إني أنا الأشتر معروف شتر إني أنا الأفعى العراقي الذكر**
**لست من الحي ربيعة أو مضر لكنني من مذحج الغر الغرر**

**مواقفه في عهد الخلفاء الراشدين:**

---

١ . الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٨، ص ٢٨-٢٩.
٢ . ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٢٨١/٤.
٣ . الطبري، تاريخ، ٢٠/٥ .
٤ . نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران، د.ت، ص ٢٦٠.
٥ . المصدر نفسه، ص ٢١٠ وما بعدها.

يعُدّ مالك من بين المجاهدين الذين أبلوا بلاءً حسناً في حروب الردّة. فضلاً عن أنه ذُكر في جملة المحاربين الشُجعان الذين خاضوا معركة اليرموك، وهي المعركة التي دارت بين المسلمين والروم سنة (١٣ هـ)[١].

وثمّة إشارات تدل على أن مالكاً كان قبل اليرموك يشارك في فتوح الشام، ويدافع عن مبادئ الإسلام.وحينما كان المسلمون في الشام يقاتلون الروم، كان إخوانهم يقاتلون الفرس في جهة العراق، لذا احتاجوا إلى المَدد لمجابهة كسرى، فكان المدد الذي توجّه إلى الشام ألفَ فارس.. فيهم هاشم بن عُتبة بن أبي وقّاص، وقيس بن هُبيرة المُراديّ، ومالك الأشتر، فالتحقوا بجيش اليرموك الذي خفّ عبؤه بعد فتح دمشق، فتوجه إلى العراق ليحسم معركة القادسيّة هناك[٢].

كما ذكر أن أبو عبيدة بن الجرّاح سَيَّر جيشاً مع مَيسَرة بن مَسروق العَبْسيّ، فسلكوا درب (بغراس) من أعمال أنطاكية إلى بلاد الروم... فلقي جمعاً للروم معهم عربٌ من قبائل غسّان وتَنُوخ وإياد يريدون اللّحاق بهرقل، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ لحق به مالك الأشتر النّخَعيّ؛ مدداً من قِبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية[٣]. فيما نقل ابن أعثم في (الفتوح) أنّ الأشتر تزعّم جيشاً قوامُه ألف فارس ليفتح (آمُد) و(ميافارقين)، فلمّا رأى مالك حصانة حصن آمُد أمر جيشَه بالتكبير وتعالت أصواتهم بالتكبير، فظنّ العدوّ أنّهم عشرة آلاف، فأرسلوا إلى الأشتر في طلب الصلح، وكذلك فعل أهل ميافارقين حيث صالحوه وانتهى الأمر بنصر المسلمين[٤].

وشهد فتح مصر واختط بها، وكان من الفرسان[٥]. وكان فيمن سار من مصر إلى المدينة المنورة المنورة في عهد الخليفة الثالث. فحين دَبَّ الخلاف والاختلاف بين المسلمين، بسبب المخالفة للتعاليم القرآن الكريم وسنة النبي محمد (صلى الله عليه وآله) لم يَسَع الأشترَ السكوتُ، فجاهد في سبيل الله[٦].

**دوره في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):**

وفي خلافة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وحكومته، كانت مواقف الأشتر واضحة جَليّة المعالم، فهذا الرجل الشجاع أصبح جُندياً مخلصاً لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فلم يفارق الإمام (عليه السلام) قطّ، كما كان من قَبل تَسَلّم الإمام لخلافَتِهِ.

فلم يَرِد ولم يصدُر إلا عن أمر الإمام علي (كرم الله وجهه) حتى جاء المدح الجليل على لسان أمير المؤمنين (عليه السلام)، فكان أن كتب (رضي الله عنه) في عهده له إلى أهل مصر، حين جعله والياً على هذا الإقليم:

«أما بعد، فقد بَعثتُ إليكم عبداً من عباد الله، لا ينام أيّامَ الخوف، ولا يَنكُل عن الأعداء ساعاتِ الرّوع، أشدُّ على الفُجار من حريق النار، وهو مالك بن الحارث أخو مَذْحِج، فاسمَعوا له وأطيعوا أمرَه فيما طابَق الحقّ، فإنه سيفٌ من سيُوف الله، لا كليلُ الظُبّة، ولا نابي الضَّريبة.

---

١ . البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣، ص ١٦٨؛ الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٥٥)، ٣/١٧؛ المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ). معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عيسى البابي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٣٦٣.

٢ . ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).، التقريب، د.م، د.ت، ص ٣٤٤.

٣ . ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٤ . ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٧م). الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، د.ت.

٥ . ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٨١.

٦ . ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٩، ٢/ ١٥٩.

فإن أمَرَكم أن تَنفِروا فانفِروا، وإن أمَرَكم أن تُقيموا فأقيموا؛ فإنّه لا يُقدِم ولا يُحجِم ولا يُؤخِّر ولا يُقدِّم إلاّ عن أمري.»
وكتب (عليه السلام) له يوماً: «وأنت مِن آمَنِ أصحابي، وأوثقِهم في نفسي، وأنصحِهم وأرآهُم عندي».
كما أن الأمام علي ((عليه السلام) ) ذكره بقول يبين رأيه فيه، وهي شهادة على ما كان يتصف به من صفات حيث جاء في كتاب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أميرين من أمراء جيشه: «وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرِ، فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، واجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً، فَإِنّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ، وَلاَ سَقْطَتُهُ، وَلاَ بُطْؤُهُ عَمَّا الإسراع إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلاَ إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطءُ عَنْهُ أَمْثَلُ »[1].

وهذه الأقوال الشريفة أنما هي أمثلة جاءت من مواقف مالك الأشتر المهمة في عصر الأمام علي (عليه السلام)، ومن أبرازها:
أولاً: كان من أوائل الذين بايَعَ الإمامَ علياً (عليه السلام) على خلافته الحقة، ويعرف عن مالك شدته في الحق وتعصبه للإمام علي ومن مظاهر هذه الشدة أنه كان يهدد المترددين والمتوقفين عن بيعة الإمام ويجبرهم على بيعته، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أمره بتركهم ورأيَهُم[2].

ثانياً: زَوَّد أميرَ المؤمنين (عليه السلام) بالمقاتلين والإمدادات من المحاربين في معركة الجمل، مستثمراً زعامته على قبيلة مِذحج خاصة، والنَّخَع عامة، فحشَّد منهم قواتٍ مهمة. فضلاً عن إنه وقف على ميمنة الإمام (عليه السلام) في تلك المعركة[3].

ثالثاً: وفي مقدمات معركة صفين عمل مالك الأشتر على إنشاء جسر على نهر الفرات ليعبر عليه جيش الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فيقاتل جيش معاوية بن أبي سفيان. وكان له بَلاء حَسَن يوم السابع من صفر عام (٣٧ هـ) حين أوقع الهزيمة في جيش معاوية[4].

ولمّا رفع أهل الشام المصاحف، يخدعون بذلك أهل العراق، ويستدركون انكسارهم وهلاكهم المحتوم، انخدع الكثير، بَيْد أن مالكاً لم ينخدع ولم يتراجع حتى اضطرَّهُ أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الرجوع. كما اضطُرّ إلى قبول صحيفة التحكيم – وكان لها رافضاً – خضوعاً إلى رضى إمامه (عليه السلام)[5].

كما كان من المعارضين لوقف القتال في صفين واختاره الإمام حكما بينه وبين معاوية إلا أن الخوارج رفضوا هذا الاختيار لخوفهم من أن يتسبب الأشتر في تفجر الصراع من جديد بعد أن توقف بسبب طلب التحكيم[6].

## مصر في عهد الإمام علي (عليه السلام):

وأثناء الصراع بين الإمام ومعاوية كانت أبصار الإمام تتجه نحو مصر التي بدأ يحرك فيها معاوية أنصاره بدعم من عمرو بن العاص الذي كان قد اتفق مع معاوية على أن يعطيه ولاية مصر مقابل الوقوف إلى جواره ضد الإمام علي (عليه السلام).. وكان الإمام قد عزل عمرو بن العاص عن ولاية مصر وأقام مكانه محمد بن أبي بكر[7].

---

١ . ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، د.م، ١٩٥٩، ٩٥/١٨.
٢ . الطبري، تاريخ، ٤٢٧/٤ وما بعدها.
٣ . ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ). العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٦، ٨٧/١. ويقول البعض أنه كان على الميسرة. ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٨٦/١.
٤ . الطبري، تاريخ، ٥٦٥/٤.
٥ . نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ٨٦؛ الطبري، تاريخ، ٤٨/٥ وما بعدها.
٦ . الطبري، تاريخ،٦٤/٤ وما بعدها.
٧ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٤/٦.

إلا أن الواضح من سير الأحداث أن محمد بن أبي بكر لم تكن لديه القدرة التي تعينه على مواجهة مثيري الفتن والمتآمرين لحساب معاوية[1].

وهنا قرر الإمام أن يرسل مالك الأشتر إلى مصر لحسم الصراع الدائر هناك وتسلم زمام القيادة من محمد بن أبي بكر[2].

وقد أحدث هذا القرار هزة كبيرة لمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص اللذان كانا يخشيان مالك الأشتر أشد الخشية واضعين في حسابهم الآثار المترتبة على وصوله إلى مصر وتسلمه زمام القيادة في حكمها[3].

لقد كان معاوية يدرك تماما أن وصول مالك إلى مصر يعني ضياعها وخروجها عن دائرة نفوذه، ومن ثم سعى عمرو بن العاص إلى تحريضه للعمل على الحيلولة دون وصول مالك الأشتر لمصر[4].

ومن كتاب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلى أهل مصر، لما ولّى عليهم الاشتر: « مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى النفر من المسلمين الَّذِينَ غَضِبُوا لله حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وضَرَبَ الْجَوْرُ بروِاقِهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، فَلاَ حق يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ. سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو. أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ وجهت إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ اللهِ، لاَ يَنَامُ فِي الْخَوْفِ، وَلاَ يَنْكُلُ من الأعداء حذار الدوائر، أَشَدَّ عَلَى الكافرين مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ الأشتر أَخُو مَذْحِجٍ، فَاسْمَعُوا لَهُ أَطِيعُوا، فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ، وَلاَ نَابِي الضَّرِيبَةِ، ولا كليل الحد، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقيمُوا فَأَقِيمُوا، وإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فانْفِرُوا، وإن أمركم أن تحجموا فاحجموا، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ يُحْجِمُ، إِلاَّ بِأَمْرِي، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي، لِنَصِيحَتِه وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّهِ، عصمكم الله بالحق، وثبتكم بالتقوى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[5].

ومن عهد للأمير المؤمنين (عليه السلام) كتبه للأشتر النَّخَعي لمّا ولاه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمّد بن أبي بكر رحمه الله، وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن[6]:

**بسم اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**

هذا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللهِ عَلِيٌّ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ: جِبْوَةَ خَرَاجِهَا، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا، وَاسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا.

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ، وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ: مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ، الَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِيَدِهِ وَقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، فَإِنَّهُ، جَلَّ اسْمُهُ، قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ، وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ.

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ عِنْدَ الشَّهَوَاتِ، وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، إِلاَّ مَا رَحِمَ اللهُ.

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ، أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَد قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ، مِنْ عَدْل وَجَوْر، وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلاَةِ قَبْلَكَ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ،إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ.

فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَامْلِكْ هَوَاكَ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ.

---

١ . الطبري، تاريخ، ٩٥/٥.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . المصدر نفسه.
٤ . الطبري، تاريخ، ٩٥/٥.
٥ . ينظر: شرح نهج البلاغة، ٧٧/٦-٧٨. وهناك رواية أخرى لهذا الكتاب رواها الشعبي عن صعصعة بن صوحان بالمعنى نفسه، مع اختلاف بسيط في اللفظ، وزيادة في بعض الأماكن. المصدر نفسه، ٧٥/٦.
٦ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٣٥/١٧ وما بعدها.

وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ، وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ،يُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلِ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَ وَالِي الأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ! وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلاَكَ بِهِمْ.

وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ، فَإِنَّهُ لاَيَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً، وَلاَ تَقُولَنَّ: إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ.

وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللهِ فَوْقَكَ، وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ،وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ!

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللهِ فِي عَظَمَتِهِ، وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ، فَإِنَّ اللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ، وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ.

أَنْصِفِ اللهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ، وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ، وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوىً مِنْ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللهِ كَانَ اللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ، وَكَانَ لله حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ.

وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ، فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِينَ، وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ.

وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ.

وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ، أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلاَءِ، وَأَكْرَهَ لِلإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالإِلْحَافِ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الإِعْطَاءِ، وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ، وَإِنَّمَا عَمُودُ الدِّينِ، وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْعُدَّةُ لِلأَعْدَاءِ، الْعَامَّةُ مِنَ الأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ، وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ.

وَلْيَكُنْ أَبْعَدَ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ، وَأَشْنَأَهُمْ عِنْدَكَ، أَطْلَبُهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً، الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا، فَلاَ تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ، فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ ما تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ.

أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ، وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ، وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لاَ يَضِحُ لَكَ، وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ، فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ، وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ.

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ، وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ، وَلاَ جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللهِ.

شَرُّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً، وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الآثَامِ، فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً، فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الأَئِمَّةِ، وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ وَ آثَامِهِمْ، مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ، وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ، أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً،

وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً، فَاتَّخِذْ أُولَئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللهُ لأَوْلِيَائِهِ، وَاقِعاً ذَلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ.

وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَلاَّ يُطْرُوكَ وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ، وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ.

وَلاَ يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لأَهْلِ الإِحْسَانِ فِي الإِحْسَانِ،تَدْرِيباً لأَهْلِ الإِسَاءَةِ عَلَى الإِسَاءَةِ، وَأَلْزِمْ كُلاًّ مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ وَالٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ، وَتَخْفِيفِهِ الْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ لَهُ قِبَلَهُمْ، فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلاَؤُكَ عِنْدَهُ.

وَلاَ تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هذِهِ الأُمَّةِ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الأُلْفَةُ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ،لاَ تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ، فَيَكُونَ الأَجْرُ بِمَنْ سَنَّهَا، وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا.

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ، وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ، فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ، وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ، وَلاَ غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْهَا جُنُودُ اللهِ،مِنْهَا كُتَّابُ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ، وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ، وَمِنهَا عُمَّالُ الإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ، وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ، وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ، وَمِنهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ، وَكُلٌّ قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ وَفَرِيضَتِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ(صلى الله عليه وآله)عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً.

فَالْجُنُودُ، بِإِذْنِ اللهِ، حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلاَةِ، وعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا أَصْلَحَهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ.

ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ، لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الأُمُورِ وَعَوَامِّهَا.

وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ ممّا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ.

ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ. وَفِي اللهِ لِكُلّ سَعَةٌ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ.

[وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللهُ مِنْ ذلِكَ إِلاَّ بِالاِهْتِمَامِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ].

فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لله وَلِرَسُولِهِ وَلإِمَامِكَ، [وَأَنْقَاهُمْ]جَيْباً، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِيءُ عَنِ الْغَضَبِ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ، وَيَنْبُو عَلَى الأَقْوِيَاءِ، وَمِمَّنْ لاَ يُثِيرُهُ الْعُنْفُ، وَلاَ يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ.

ثُمَّ الْصَقْ بِذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالأَحْسَابِ، وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ، ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا، وَلاَ يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ، وَلاَ تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ وَإِنْ قَلَّ، فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ.

وَلاَ تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمُ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ.

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ يَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ، حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ.

[وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلاَةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلاَدِ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ، وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ،] وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ، وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ.

فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُوالْبَلاَءِ مِنْهُمْ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ، وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ، إِنْ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِىء مِنْهُمْ مَا أَبْلَى، وَلاَ تَضُمَّنَّ بَلاَءَ امْرِىء إِلَى غَيْرِهِ، وَلاَ تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلاَئِهِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِىء إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلاَئِهِ مَا كَانَ صَغِيراً، وَلاَضَعَةُ امْرِىء إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلاَئِهِ مَاكَانَ عَظِيماً.

وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ، وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الأُمُورِ، فَقَدْ قَالَ اللهُ سبحانه لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ)، فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ: الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ: الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ.

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ فِي نَفْسِكَ، مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ، أَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ، مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ، وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ،أُولئِكَ قَلِيلٌ.

ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ، وافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ، وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ، لِيَأْمَنَ بِذلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ.

فَانْظُرْ فِي ذلِكَ نَظَراً بَلِيغاً، فَإِنَّ هذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي الأَشْرَارِ، يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا.

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ، فَاسْتَعْمِلْهُمُ اخْتِبَراً، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وأَثَرَةً، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ.

وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ، مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ، وَالْقَدَمِ فِي الإِسْلاَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافاً، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الأُمُورِ نَظَراً.

ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، فَإِنَّ ذلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلاَحِ أَنْفُسِهِمْ، وَغِنىً لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ.

ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِعْمَالِ الأَمَانَةِ، وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ.

وَتَحَفَّظْ مِنَ الأَعْوَانِ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ، اكْتَفَيْتَ بِذلِكَ شَاهِداً، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ، وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ، وَ وَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ.

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاَحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ، لأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ.

وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لأَنَّ ذلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ، وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً أَوْ عِلَّةً، أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةً، أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ، أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ، وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ، وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ، مَعَ اسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ، وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ، مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ، بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ، وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ، فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا،إِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلَهَا لإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلاَةِ عَلَى الْجَمْعِ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ.

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ، فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الأَخْلاَقِ مِمَّنْ لاَ تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ، فَيَجْتَرِىءَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلاَفٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلاَ، وَلاَ تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ، وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ، وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ

مَا عُقِدَ عَلَيْكَ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفسِهِ فِي الأمُورِ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أجْهَلَ.

ثُمَّ لاَ يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ، لَيْسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالأمَانَةِ شَيْءٌ، وَلَكِنِ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لأحْسَنِهِمْ كَانَ فِي الْعَامَّةِ أثَراً، وَأعْرَفِهِمْ بِالأمَانَةِ وَجْهاً، فَإِنَّ ذلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لله وَلِمَنْ وَلِيتَ أمْرَهُ.

وَاجْعَلْ لِرَأسِ كُلِّ أمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأساً مِنْهُمْ، لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا، وَلاَ يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا، وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْه أُلْزِمْتَهُ.

ثُمَّ اسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ، وَأوْصِ بِهِمْ خَيْراً: الْمُقِيمِ مِنْهُمْ، وَالْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ، وَالْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ الْمَنَافِعِ، وَأسْبَابُ الْمَرَافِقِ، وَجُلاَبُهَا مِنَ الْمَبَاعِدِ وَالْمَطَارِحِ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ، وَحَيْثُ لاَ يَلْتَئِمُ النَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا، وَلاَ يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لاَ تُخَافُ بَائِقَتُهُ، وَصُلْحٌ لاَ تُخْشَى غَائِلَتُهُ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلاَدِكَ.

وَاعْلَمْ ـ مَعَ ذلِكَ ـ أنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً، وَشُحّاً قَبِيحاً، وَاحْتِكَاراً لِلْمَنَافِعِ، وَتَحَكُّماً فِي الْبِيَاعَاتِ، وَذلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ، وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلاَةِ، فَامْنَعْ مِنَ الاحْتِكَارِ، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله) مَنَعَ مِنْهُ.

وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً: بِمَوَازِينِ عَدْلٍ، وَأسْعَارٍ لاَ تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ، فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ فَنَكِّلْ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إسْرَافٍ.

ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لاَ حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى، فَإِنَّ فِي هذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً، وَاحْفَظْ لله مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ، وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ، وَقِسماً مِنْ غَلاَّتِ صَوَافِي الاسْلاَمِ فِي كُلِّ بَلَدٍ، فَإِنَّ لِلأقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلأدْنَى، وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ، فَلاَ يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِ التَّافِهِ لإحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ.

فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ، وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ، فَفَرِّغْ لاِولَئِكَ ثِقَتَكَ مِنْ أهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالأعْذَارِ إِلَى اللهِ تَعَالَى يَوْمَ تَلْقَاهُ، فَإِنَّ هؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أحْوَجُ إِلَى الانْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ، وَكُلٌّ فَأعْذِرْ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي تَأدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ.

وَتَعَهَّدْ أهْلَ الْيُتْمِ وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ، وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ، وَذلِكَ عَلَى الْوُلاَةِ ثَقِيلٌ، وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ، وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَرُوا أنْفُسَهُمْ، وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ.

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً، فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لله الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأعْوَانَكَ مِنْ أحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (عليه السلام) يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ: ''لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ''.

ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالأنَفَ، يَبْسُطِ اللهُ عَلَيْكَ بِذلِكَ أكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ، وَأعْطِ مَا أعْطَيْتَ هَنِيئاً، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ!

ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا: مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَا عَنْهُ كُتَّابُكَ، وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ عِنْدَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أعْوَانِكَ.

وَأمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى أفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأجْزَلَ تِلْكَ الأقْسَامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لله إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ، وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ.

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ لله بِهِ دِينَكَ: إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً، فَأعْطِ اللهَ مِن بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذلِكَ كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ، بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ.

وَإذَا قُمْتَ فِي صلاَتِكَ لِلنَّاسِ، فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفّراً وَلاَ مُضَيِّعاً، فَإنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ. وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ(صلى الله عليه وآله) حِينَ وَجَّهَنِي إلَى اليمن كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ؟ فَقَالَ: ''صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ، وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً''.

وَأَمَّا بَعْدَ هذا، فَلاَ تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ، فَإنَّ احْتِجَابَ الْوُلاَةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالأُمُورِ، وَالاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ، وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَإنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الأُمُورِ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ، وَإنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ، فَفِيمَ احْتِجَابُكَ مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ، أَوْ فِعْلِ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنعِ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ! مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إلَيْكَ [مـ] مـا لاَ مَؤُونَـةَ فِيـهِ عَلَيْكَ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَة، أَوْ طَلَبِ إنْصَاف فِي مُعَامَلَة.

ثُمَّ إنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وبِطَانَةً، فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ، وَقِلَّةُ إنْصَاف [فِي مُعَامَلَة،]فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الاحْوَالِ، وَلاَ تُقْطِعَنَّ لاَحَد مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً، وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي اعْتِقَادِ عُقْدَة، تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ، فِي شِرْب أَوْ عَمَل مُشْتَرَك، يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذلِكَ لَهُمْ دُونَكَ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالاخِرَةِ.

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، وَكُنْ فِي ذلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً، وَاقِعاً ذلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ خَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ، وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ، فَإنَّ مَغَبَّةَ ذلِكَ مَحْمُودَةٌ.

وَإنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً، فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ، وَاعْدِلْ عَنكَ ظُنُونَهُمْ بِإصْحَارِكَ، فَإنَّ فِي ذلِكَ [رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ، وَ]إعْذَاراً تَبْلُغُ فِيه حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ.

وَلاَ تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إلَيْهِ عَدُوُّ كَ لله فِيهِ رِضىً، فَإنَّ فِي الصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ، وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمْناً لِبِلاَدِكَ، وَلَكِنِ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهِمْ فِي ذلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.

وَإنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوّ لَكَ عُقْدَةً، أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً، فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ، فَإنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ عزوجلّ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِماعاً، مَعَ تَفْرِيق أَهْوَائِهِمْ، وَتَشْتِيتِ آرَائِهِمْ، مِنَ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ، وَقَدْ لَزِمَ ذلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ، فَلاَ تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلاَ تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ، وَلاَ تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإنَّهُ لاَ يَجْتَرِىءُ عَلَى اللهِ إلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ الْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ، وَحَرِيماً يَسْكُنُونَ إلَى مَنَعَتِهِ،يَسْتَفِيضُونَ إلَى جِوَارِهِ، فَلاَ إدْغَالَ، وَلاَ مُدَالَسَةَ، وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ، وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ الْعِلَلُ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ الْقَوْلِ بَعْدَ التَّأْكِيدِ وَالتَّوْثِقَةِ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْر لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ اللهِ، إلَى طَلَبِ انْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَإنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيق تَرْجُو انْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ، خَيْرٌ مِنْ غَدْر تَخَافُ تَبِعَتَهُ، وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ اللهِ فِيهِ طَلِبَةٌ، لاَتَسْتَقِيلُ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ.

إيَّاكَ وَالدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا، فَإنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَة، وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَة، وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَة، وَانْقِطَاعِ مُدَّة، مِنْ سَفْكِ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ، فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَم حَرَام، فَإنَّ ذلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ، بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ، وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمدِ، لاَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ، وَإنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ [أَوْ سَيْفُكَ] أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَة، فَإنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً، فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ.

وَإيَّاكَ وَالاعْجَابَ بِنَفْسِكَ، وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا، وَحُبَّ الاطْرَاءِ، فَإنَّ ذلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ، لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ.

وَإيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإحْسَانِكَ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ، أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ، فَإنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الاحْسَانَ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَاللهِ وَالنَّاسِ، قَالَ اللهُ سبحانه: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ) [و] إيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالأُمُورِ

قَبْلَ أَوَانِهَا، أَوِ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ.
وَإِيَّاكَ وَالاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ، وَالتَّغَابِيَ عَمَّا تُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ، فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ، وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الأُمُورِ، وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ، امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ، وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذلِكَ بِكَفٍّ الْبَادِرَةِ، وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ، حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الاخْتِيَارَ، وَلَنْ تَحْكُمْ ذلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ.
وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ: مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا(صلى الله عليه وآله) أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هذَا، وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ، لِكَيْلاَ تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا، فَلَنْ يَعْصِمَ مِنَ السُّوءِ وَلاَ يُوَفِّقَ لِلْخَيْرِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى.
وَقَدْ كَانَ فِيمَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُهُ(عليه السلام) فِي وَصَايَاهُ: ''تَحضيضاً عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ''، فَبِذلِكَ أَخْتِمُ لَكَ مَا عَهِدَ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَظِيمِ.
ومن هذا العهد وهو آخره: وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ، أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ، وَجَمِيلِ الأَثَرِ فِي الْبِلاَدِ، وَتَمَامِ النِّعْمَةِ، وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ، إِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ كثيراً.
وذكر ابن أبي الحديد أن معاوية بن أبي سفيان كان قد أخذ هذا العهد بعد قتل مالك الأشتر، وكان «ينظر فيه، ويعجب منه، ويفتي به، ويقضي بقضاياه وأحكامه... وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشتر ومات قبل وصوله مصر...، فلما بلغ علياً (عليه السلام) أن ذلك الكتاب صار إلى معاوية اشتد عليه حزناً»[1].

**صفاته:**

و قد كان مالك رضي الله عنه يجمع بين اللين والعنف فيسطوا في موضع السطوة ويرفق في موضع الرفق.[2]

كان طويل القامة، مهيب الطلعة، وقد كان فارساً مغواراً متمرساً على فنون القتال، واتصف بالشجاعة والشهامة، فلم يكن أحد يتجرأ على مبارزته وكان عالماً، شاعراً، وكان سيد قومه بلا منازع.[3]

**استشهاده:**

بعد حياة حافلة بالعز والجهاد، وتاريخ مشرق في نصرة الإسلام والنبوة والإمامة، كتب الله تعالى لهذا المؤمن الكبير خاتمةً مشرّفة، هي الشهادة.
فكان لمعاوية طمع في مصر، لقربها من الشام ولكثرة خراجها، فبادر معاوية بإرسال الجيوش إليها، وعلى رأسها عمرو بن العاص، ومعاوية بن حديج ليحتلّها.
فكان من الخليفة الشرعي الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن أرسل مالكَ الأشتر (رضوان الله عليه) والياً له على مصر.
فاحتال معاوية في قتله (رضوان الله عليه) داسّاً إليه سُمّاً، واختلفت الروايات فيمن نفذ أمر معاوية، فالبعض يرى أنه رجل من أهل الخراج يثق به، وهو الجايستار.

---

١ . شرح نهج البلاغة، ٧٣/٦.
٢ . عبد الواحد المظفر، قائد القوات، ٥٢.
٣ . المصدر نفسه.

وقيل: كان دهقان القُلْزُم، وكان معاوية قد وعد هذا ألا يأخذ منه الخراج طيلة حياته إن نفذ مهمته الخبيثة تلك. فسقاه السم وهو في الطريق إلى مصر. وقيل إن من نفذ المؤامرة نافع مولى عثمان بن عفان[1].

فقضى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) شهيداً عام (٣٨ هـ)[2].

بينما ذكر البعض أنه استشهد سنة (٣٧ هـ)[3].

وهناك من ذكر أنه استشهد سنة (٣٩ هـ)[4].

**موقف الإمام علي من خبر أستشهاد الأشتر**

ذكرت الرواية التاريخية،أن الإمام لما بلغه خبر استشهاد مالك الأشتر، حزن الإمام عليه حزنا شديدا.

فجعل يتلهّف ويتأسف على فقدان الأشتر ويقول: «للهِ دَرُّ مالك! وما مالك ؟! لو كان جَبَلاً لكان فِنْدا، ولو كان حجَراً لكان صَلْدا، أمَا واللهِ ليَهُدّنّ موتُك عالَما، وليُفرحَنّ عالَما، على مِثل مالكٍ فلْتَبكِ البواكي»[5].

وقال (عليه السلام) بعد استشهاد مالك: « رحم الله مالك فلقد كان لي كما كنت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)»[6].

وكانت فرحة معاوية أشد، فقال عمرو بن العاص مُعرباً عن شماتته: إنّ لله جنوداً من عسل[7]!

وقال معاوية: إنّه لكان لعليّ بن أبي طالب يدان يمينان: قُطِعت إحداهما بصِفِّين ـ يعني عمّار بن ياسر ـ وقُطعت الأُخرى اليوم ـ يعني مالك الأشتر[8].

بعد أن امتدّ العمر به فنال ما كان يتمنّاه أن يقضي مظلوماً على أيدي أعداء الله وقد حاربهم جهده، فاستجاب الله دعوته وأمنيته، إذ كان يقول: يا ربِّ جنّبْني سبيلَ الفجرة ولا تُخيّبْني ثوابَ البررة واجعَلْ وفاتي بأكفِّ الكفرة.

ومن كتاب للإمام علي (عليه السلام) إلى محمد بن أبي بكر لما بلغه توجّده من عزله بالاشتر عن مصر، ثم توفي الاشتر في توجهه إلى هناك قبل وصوله إليها: «وَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ، وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ اسْتِبْطَاءً لَكَ فِي الْجَهْدِ، وَلاَ ازْدِيَاداً لَكَ فِي الْجِدِّ، وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ، لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً، وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلاَيَةً. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ رَجُلاً لَنَا نَاصِحاً، وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً، فَرَحِمَهُ اللهُ! فَلَقَدِ اسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ، وَلاَقَى حِمَامَهُ، وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضونَ، أَوْلاَهُ اللهُ رِضْوَانَهُ، وَضَاعَفَ الثَّوَابَ لَهُ. فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَامْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ الاسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ، وَيُعِنْكَ عَلَى مَا يُنْزِلُ بِكَ، إِنْ شَاءَ اللهُ»[9].

---

١ . الطبري، تاريخ، ٩٥/٥؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٣.

٢ . المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٦٤، ٣٩/٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ٤٨٣/٣.

٣ . ينظر: الدميري، ابو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨هـ). حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، د.ت، ٣٠٢/٢.

٤ . ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٣.

٥ . ينظر: ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٧٧/٦. وبالمعنى نفسه وباختلاف بسيط ينظر: ابن الأثير، الكامل، ١٧/٣.

٦ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤٠٧/٣.

٧ . وقيل أن الذي قال هذه العبارة هو معاوية بن أبي سفيان، ينظر: الدميري، حياة الحيوان، ٣٠٢/٢.

٨ . ابن الأثير، الكامل، ١٧/٣.

٩ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢٤/١٦.

أما عن قبره، فذكر أنه دفن في العريش، وقيل بالقلزم، وقيل نقل إلى المدينة فدفن بها، وقيل أنه ببعلبك، ويرجح الشيخ عبد الواحد المظفر أنه نقل إلى المدينة ودفن بها، لأن أصحابه يخافون أن يدفنوه في موضع يصل إليه معاوية، فيمثل به لشدة عداوته له[1].

## الخاتمة:

لقد توصل البحث إلى المجموعة من النتائج عن شخصية مهمة في التاريخ العربي الإسلامي، ألا وهو مالك الأشتر، الساعد الأيمن للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الذي ذكر التاريخ انه حمل كتاب غاية في الأهمية لا يزال يعتمد في السياسة يبين سلوك الحاكم إزاء الرعية، وصفات الحاكم الناجح الذي يريد أن يكون عادلاً ومنصفاً وعلى سبيل الحق.
كما بين البحث المكانة الكبيرة والدور الحاسم لذلك الرجل في حياة الإمام علي (عليه السلام) السياسية والحربية.
ويبدو أن شخصية الاشتر بحاجة إلى دراسة وبحث أكثر من مجرد بحث صغير لأن هناك مواضع كثيرة في حياته، فيها أكثر من رأي وفيها روايات مختلفة، يجب أن يتوقف عندها الباحث، لأنها تعطي توضيح لبعض الحقائق التاريخية التي كان فيها اختلاف.

## قائمة المصادر والمراجع:


١- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م). الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٧).
٢- ابن اعثم، ابو محمد احمد الكوفي (ت ٣١٤هـ/ ٩٢٧م). الفتوح، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية) (الهند، د.ت).
٣- البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م). فتوح البلدان، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٣).
٤- أبن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي ( ت ٨٥٢ هـ ). الإصابة في معرفة الصحابة، دار العلوم الحديثة، القاهرة، ١٣٢٨ هـ.
٥- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).، التقريب، د.م، د.ت.
٦- ابن حجر، شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٩).
٧- ابن أبي الحديد، عز الدين ابو حامد بن هبه الله بن محمد بن محمد بن الحسين المدائني (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (د.م، ١٩٥٩).
٨- الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م). معجم البلدان، دار صادر (بيروت، ١٩٥٥).
٩- الدميري، ابو البقاء كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م). حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر (بيروت، د.ت).
١٠- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ( ت ٣١٠ هـ ). تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة.
١١- أبن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد ( ت ٤٦٣ هـ ). الانباه على قبائل الرواة، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٦.


[1] . قائد القوات العلوية، ص ٤٦.

١٢- ابن عبد ربه، شهاب الدين احمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م). العقد الفريد، دار ومكتبة الهلال (بيروت، ١٩٨٦).
١٣- المرزباني، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ/ ٩٤٤م). معجم الشعراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، عيسى البابي وشركاه (القاهرة، ١٩٦٠).
١٤- المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة (مصر، ١٩٦٤).
١٥- نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، إيران، د.ت، ص ٢٦٠.
١٦- الشيخ عبد الواحد المظفر، قائد القوات العلوية مالك الأشتر النخعي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، ٢٠٠٨.

# البنية الكبرى للنص الخطبة (١١) و (٦٦) و (١٢٤) من نهج البلاغة إنموذجاً

المدرس المساعد: مجيب سعد (جامعة الكوفة ـ مركز دراسات الكوفة)

## المقدمة

يشهد البحث اللغوي تطورًا مذهلاً في عصرنا، إذ تعددت النظريات والاتجاهات والمناهج التي تهتم باللغة وأنظمتها وخصائصها، ويهدف ذلك إلى تقديم أوضح تفسير ممكن لمختلف الظواهر اللغوية من أجل خدمة الإنسان.

ومن أحدث المناهج المقترحة لدراسة اللغة هو (اللسانيات النصية)، وهو منهج يتميز اتجاهه نحو النص باعتباره البنية الكبرى للغة ومن ثمَّ تجاوز حدود الجملة.

ويدين هذا المنهج ـ اللسانيات النصية ـ بوجوده إلى التطور الحاصل في مجالين مختلفين ولكنهما متقاربان كثيرًا:

أما المجال الأول فيتمثل بظهور ما أطلق عليه تون. أ. فان دايك: (علم متداخل الاختصاصات) يهدف أساساً إلى تحليل عام للنصوص.

فـ (اللسانيات النصية) تكون بذلك جزءًا من نزعة طغت على التوجه العام للأبحاث الحاصلة في العلوم المجاورة للدراسات اللغوية والأدبية ولعلَّ أهمها «علم النفس والاجتماع مثلما يكون الشأن في علم الاتصال الجماهيري».

ويذهب اللغوي الأمريكي روبرت دي بوجراند إلى تعميمها إلى كافة العلوم ذات الصلة باللسانيات «كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وعلوم الحاسب الآلي والسيمو طيقا والتربية والدراسات الأدبية».

ويعدُّ منهج تحليل المحتوى أو تحليل المضمون في علم الاجتماع ومنهج تحليل المحادثة أو الحوار في علم النفس وعلم الطب النفسي والعلاج النفسي الأكثر تبلورًا بين مناهج التحليلات النصية التي عرفتها العلوم الإنسانية والاجتماعية، كما إنها شديدة الارتباط بمنهج التحليل النصي للأدب.

وهذا ما ذهب إليه فان دايك الذي يرى أنَّ التحليل اللغوي للنص الأدبي ما هو في الحقيقة إلا تيار مواكب لما تعرفه العلوم المجاورة من تطور .

أما المجال الثاني الذي تدين له علم الدراسات النصية بوجودها فهو التطور الذي شهدته الدراسات اللسانية الحديثة والمعاصرة، ويتمثل هذا التطور بالخصوص في نقل الاهتمام من الجملة إلى النص.

إذ أن «كثيرًا من الظواهر التي تعالج في اطار النص كوحدة كبرى هي في حقيقة الأمر قد كانت محور كثير من البحوث النحوية التي كانت تعدُّ الجملة أكبر وحدة في التحليل، غير أن النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أجرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى جوار القواعد التركيبية، ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للبنية النصية وقواعد ترابطها».

وقد نبع هذا الإحساس من منطق أن نحو الجملة ليس كافياً لدراسة جميع الأبنية اللغوية، فبغضِّ النظر عن إنَّ النصَّ يمكن أنْ يكون مفردًا أو جملةً فهو في الغالب متوالية من الجمل غير إنَّ بنيته ليست صورة مكبرة عن بنية هذه الجمل كما إنَّ معناه ليس هو معاني هذه الجمل مجتمعة «ويمكن أن نلاحظ بوضوح أنَّ معاني جمل بعض النصوص لا علاقة له بالمعنى العام للنص ومع هذا قد تكون هذه الجمل محورية في بنية النص ومعناه، وينطبق الأمر تمامًا على الجملة فهي ليست مجموعة من الكلمات فحسب ولكنها علاقة هذه الكلمات بنيويًا».

واستنادًا إلى هذا القول يمكننا أنَّ نفرَّق بين نحو الجملة ونحو النص، فـ «نحو الجملة يهتم بما هو افتراضي وشكلي بينما نحو النص أشمل وأدق فهو يتسع لكل الظواهر التركيبية بكل

تمظهراتها عبر كامل النص وما ينتج عنه من ظواهر نصية جزئية وأبنية تقابلية وتطابقية وظواهر حذف وإسناد واستبدال والتي تشكل في الأخير الوحدة الكلية للنص».
وقد ذكر الألسنيون كثيرًا من الفروقات بين نحو الجملة ونحو النص لا يسع المجال لذكرها جميعاً هنا ونكتفي بما ذكره روبرت دي بوجراند في تمييزه بينهما قائلا: إنَّ النص نظام فعال والجملة نظام افتراضي. والنص يتصل بموقف يكون فيه.
أما الجملة فهي تتابع العناصر لتصبح الجملة جملة.
والجملة كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو أما النص فحقه أن يعرف المعايير الكلية الكاملة النصية كما إنَّ الحالات النفسية والأعراف الاجتماعية تجدها لصيقة بالنص ومفتقدة في الجملة.
ثم إنَّ نحو الجملة يحدد مجموعة القواعد للدراسة محاولاً إتباعها من خلال النماذج التي يمكن أنْ تصنع من أجل ذلك أما نحو النص فيدرس النص لاستخلاص القواعد منه لا من خارجه، و«لهذا فقضيته الكبرى هي تحديد القواعد الكبرى التي تعترف للنص بنصيته».
فالفروق الجوهرية الموجودة بين الجملة والنص جعلت لسانيات النص تحدد موضوعها ومنهجها وأهدافها فجعلت من النص هدفاً للدراسة والبحث معتمدة على الأدوات التركيبية والمعجمية فـ «الترابط النصي والآليات الدلالية والتداولية التي تؤدي إلى انسجام النص.
والنص يشتمل على البنية التركيبية (السطحية)، والبنية الدلالية (العميقة) والبنية المنطقية (علاقات القضايا) والبنية الموضوعية (البنية الكبرى) كل هذه البنى تبرز النص في حالة من الترابط والتماسك بحيث تجعل القارئ يتفاعل معه أخذاً وعطاء معتمداً على السياق في عملية التفسير والتأويل».
فيكون النص كما يراه فان دايك: «بنية سطحية توجهها وتحفزها بنية دلالية ويتصور البنية العميقة للنص كماً منظماً من التتابعات فهي تعرض البنية المنطقية المجردة للنص وتعد البنية العميقة الدلالية للنص بالنسبة له نوعاً من إعادة صياغة مجردة تتحدد في النواة «البنية الموضوعية للنص».
فلفك شفرة النص عامة وشفرة نهج البلاغة خاصة ارتأى الباحث أن ينحو منحى علماء لغة النص في تحليل الخطبة (١١)، والخطبة (٦٦)، والخطبة (١٢٨) تحليلاً نصياً معاصراً من خلال النظرة الكلية لهن بعدِّهن وحدة كاملة ثم الحكم على تماسكهن والأدوات التي أسهمت في تحقيق هذا التماسك وإثبات وجود التواصل بين منتج النص والنص ومتلقيه.

## مدخل

يلاحظ أنَّ في كلِّ نص ـ في الغالب ـ أمراً جوهرياً يظهر مضمونه في أرجاء النص كلها. وكذلك توجد عناصر مهمة في كلِّ نصٍّ، يستطيع القارئ أن يحددها تبعا لمعارفه واهتماماته.
هذا الأمر الجوهري أو العناصر المهمة تسمى (البنية الكبرى) وتعرَّف بأنها: ( التركيب المقدر الذي يفسر أو يعلل تنظيم النص والخطاب».
وبناءاً على هذا «يعتمد تفكيك النص إلى الوحدات المكونة له على الإدراك السليم لبنيته العليا، مما يعدُّ شرطاً ضرورياً لتحليل علاقاته وضبط خواصه» .
معنى هذا أنَّ تحليل النص يبدأ من معرفة الموضوع الأساس (البنية الكبرى) الذي يعالجه النص، ثم نلاحظ الجوانب المحورية الأساسية أو الشاملة (الأبنية الصغرى) الموظفة لإبراز الموضوع الأساس ثم الربط بين البنية الكبرى والبنى الصغرى من خلال ملاحظة وسائل التماسك المتمثلة بـ الإحالة والتكرار والحذف والتناص والعطف والإشارة والإبدال وغيرها من العناصر النصية التي يُحْدِث تواجدها في النص الترابط النصي فيصبح النص كالكلمة الواحدة من حيث الرسوخ والاستقرار شكلياً ودلالياً.

واتكاء النص على (بنية كبرى) تعدُّ أساساً لإنشاء النص يمكن ملاحظته في صور جلية في جميع الخطب التي نظَّر لها إمام الموحدين وأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) في خطاباته للمسلمين، من ذلك خطاباته في الحرب وتعليم جيشه فنون القتال وحثهم على الجهاد.
إذ اقتصرنا في بحثنا هذا على ثلاث خطب من نهج البلاغة، الأولى كانت خطابا مباشراً لابنه محمد بن الحنفية لمَّا أعطاه الراية في يوم الجمل وهي الخطبة (١١)، والخطبة الثانية فالمشهور فيها أنها كانت لأصحابه ليلة الهرير وهي الخطبة رقم (٦٦)، أما الخطبة الثالثة فهي كما ذكر شرَّاح نهج البلاغة انها وردت قبل معركة صفين وفيها حثَّ (عليه السلام) أصحابه على القتال وهي الخطبة رقم (١٢٤).
**التي تبين أن البنية الكبرى لها هي:**
(أساليب القتال وطرق وأخلاقيات مواجهة الخصم في المعركة) .
ورعآية للإيجاز فإننا سنقتصر في تحليلنا لهذه الخطب بإعتمادنا على اربعة معايير من معايير التماسك النصي وهي كما يأتي:
**أولاً: الجملة الأولى:**
فللجملة الأولى أهمية كبيرة في التحليل النصي «فالإستهلال يحتل مكانة بارزة من حيث الأهمية من ناحية ومن حيث علاقته ببقية أجزاء النص من ناحية أجرى، وتحكمه كذلك في هذه الأجزاء».
ففي الغالب يركز منتج النص كل جهوده في هذه الجملة، إذ يكون ما بعدها تفسيرا لها، وتمثل المحور الذي يدور عليه النص فيما بعد، إذ تتعلق الأجزاء الباقية من النص في الجملة الأولى بوسيلة ما .
وقد أدرك القدماء أهمية الجمة الأولى في النص بل الكلمة الأولى في الجملة وهذا ما لمسناه في تفسيرهم لبدايات السور القرآنية ولاسيما ما يخص الأحرف المقتطعة في أوائل بعض السور القرآنية.
ولم يكن موقف المحدثين مخالفاً لموقف القدماء بل أكدوه، فيذكر أحد الباحثين المحدثين «أن الجملة الأولى في أي نصٍّ تمثل معلماً عليه يقوم أللاحق منها ويعود.
وداخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول منها معلماً تقوم عليه سائر مكوناتها، فالمسند يقتضي المسند إليه، وهذا الأخير يقتضي الأول وهما معاً يقتضيان متممات، فهذه حلقة أولى تنتهي دون أن تنغلق على نفسها، فهي مستقلة من حيث التركيب، ولكنها منطلق في كل شيء لما يأتي بعدها من حلقات هي جمل أجرى».
ونجد مصداق هذا في الجملة الأولى التي افتتح بها الإمام (عليه السلام) خطبته موجهاً بها ابنه محمد بن الحنفية لمَّا أعطاه الراية يوم الجمل قائلا: «تزول الجبال ولا تزُل».
إذ يورد «خبرا يفهم منه معنى الشرط، وتقديره : إن زالت الجبال فلا تزل انت» . فنجده في هذه الجملة «أمره بالثبات في الحرب وعدم الزوال، يعني: إن الجبال إذا زالت عن مكانها لا تّزُل انت عن مكانك، وهذا مبالغة في الثبات والاستقامة ونهي عن الفرار».
وفي هذا إشارة إلى أهم مسألة في ميدان القتال وهي الاستقامة والصمود التي لا يمكن تحقيق النصر بدونها. وهذا ما أكده الإمام (عليه السلام) في بداية الأمر؛ وذلك لما كان للراية من أهمية خاصة في ميدان القتال، ولدورها الفعال في ارتباط الصفوف والتحامها، فحولها يلتف المقاتلون؛ لإعادة تنظيم صفوفهم وشن الحملات.
وإن سقوط الراية يؤدي إلى اضطراب العسكر وربما إلى انهياره، «ولهذا ما انفك الإمام (عليه السلام) عن التأكيد في وصاياه بحفظ الراية حيث أكد من جهة ضرورة ثبوت الراية وان حماتها من أشجع الأفراد».
إذ قال(عليه السلام)في خطبة ١٢٤: «ورايتكم فلا تميلوها ولا تخلوها ولا تجعلوها إلا بأيدي شجعانكم والمانعين الذمار منكم».

ومن جهة أجرى يوصي حملة الراية بعدم التخلي عنها، ومراقبتها من جميع الجهات فلا يتخلفوا عنها ولا يتقدموا عليها، إذ قال (عليه السلام): «لا يتأخرون عنها فيُسْلِموها، ولا يتقدمون عليها فيُفردوها».
فإن «انتصاب الراية دليل على القدرة وسبب قوة وعزيمة المقاتلين وحلقة اتصالهم مع بعضهم».
فلما كانت الراية لها هذه الأهمية في المعركة فهذا يعني أنَّ حامل الراية لا بدَّ أنْ يتمتع بالسمات والصفات التي تؤهله لحملها.
فنجد الإمام (عليه السلام) يوضح «خطوات الإقدام لتكون الروح المعنوية بأرفع حال لها لدى المقاتل وبمستوى عمق الثبات لنفسي».
وأول هذه الصفات هي الثبات وعدم التزلزل، وبذلك «تضمنت الجملة الأولى الأوامر الكلية بشأن المقاومة والصمود في ميدان الحرب» .
ثم يبين الإمام (عليه السلام) الطرق التي يكتسب من خلالها حامل الراية الثبات والصمود أمام ما يعصف به من لهوات المعركة، وهذا ما سنلاحظه في المعيار الثاني من معايير التماسك النصي.

## ثانياً: الإحالة :

للعلاقات الدلالية المبنية في النص الأثر الأكبر في عملية الانسجام النصي من خلال تحقيقها مبدأ الاستمرارية الدلالية إذ أن جمل النص تخضع لعملية بناء منظمة ومترابطة تركيبياً ودلالياً، كل جملة تؤدي إلى جملة.
وقد تحقق هذا التعالق بواسطة أدوات ووسائل لغوية منها (الإحالة) التي تعد من العناصر المهمة في تحقيق الترابط النصي.
هذا الترابط المنظَّم بين الجمل يعرف بالاتساق؛ وهو الذي يضمن تماسك النص وتمييزه عن اللا نص.
وقد ساهمت في عملية الاتساق مجموعة من الوسائل والأدوات النحوية والدلالية وهذا ما جعل الاتساق يكون تركيبياً ودلالياً.
فالاتساق التركيبي تمَّ عبر عملية الوصل بين الجمل إما بالعطف بـ (و ، أو، ثم، الفاء)أو الأسماء الموصلة (الذي، التي، الذين) وحروف التفسير (أي، أعني، أقصد) فيتحقق الربط عبر عملية الوصل بين متواليات النص.
وأما الاتساق الدلالي فيتحقق بالإحالة وهي علاقة دلالية بين عنصر محيل وعنصر محال إليه.
والإحالة عند روبرت دي بوجراند «العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي يدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائلي في نص ما».
وترتبط الإحالة بالعلاقة بين الكلمات والعبارات من جهة وبين الأسماء والمسميات من جهة أجرى . والإحالة **تكون على نوعين:**
١ـ إحالة داخلية: تتم داخل النص؛ أي بين عباراته وكلماته، «فالإحالة الداخلية تتطلب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النص للبحث عن الشيء المحال إليه».
ولا يخفى ما في الإحالة الداخلية من دور في إحداث التماسك النصي، إذ يتعلق الأمر بارتباط جزء بجزء آخر واعتماده عليه في تحديد ماهيته.
والإحالة الداخلية تكون على نوعين:
أ ـ إحالة قبلية: إذا كانت تحيل إلى عنصر سابق.
ب ـ إحالة بعدية: إذا كانت تحيل إلى عنصر لاحق.
٢ـ إحالة خارجية تقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص.
وتعدُّ الإحالة من أكثر الظواهر اللغوية انتشارا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نص؛ لأنها تقوم على التحكم في مسارات الرسالة المبثوثة.

وفي بحثنا هذا سنقتصر على نموذج واحد لكل نوع من أنواع الإحالة وعلى النحو الآتي:

**١ـ الإحالة الداخلية (القبلية):**

إن رصد حركات الإحالة في النص ومعرفة أدواتها تعدُّ من أهم مفاتيح المحلل اللغوي للولوج إلى بنية النص وتحليله، ومن ذلك حركة الضمائر على سطح النص وتنوعها وتحولها واحتواء بعضها البعض وما ينتج عن ذلك من حركات دلالية في النص نفسه تعدُّ انعكاسا لحركة الضمائر وكذا الجمل المحورية وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة. «إذ تختصر الإحالة العناصر الاشارية وتجنب مستعملها إعادتها وتكرارها».

وتتجسد الإحالة الداخلية القبلية في قول الإمام (عليه السلام) في تتمة خطبته لابنه محمد بن الحنفية:

«تزول الجبال ولا تزل، عض على ناجذك، أعر الله جمجمتك، تد في الأرض قدمك، ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه».

فالبنية السطحية لهذه الجملة تظهر النص بصورة مفككة من السطح لكننا لا نلبث أن نثبت أن وراءه بنية عميقة محكمة في تماسكها تفسر تشاكل الاجزاء وتضمن اتساقها «فقد نجد عددا من الجمل المتراصة لا يجمعها اطار شكلي أو رابط لفظي ولكن حين النظر إلى الاطار الدلالي الذي يتحكم في هذه الجمل المتجاورة يتبين الخيط الذي يظم حبات هذا العقد فيما بينها وهذا يرتبط بأدوات التماسك الدلالية وبالرجوع إلى السياق المحيط بالنص». فمن خلال ذلك تدرك الصلة بين الجمل التي لا تبدو بينها صلة.

ومن وسائل التماسك الدلالية (الضمير)، «فليست وظيفة الضمير هي الإحلال فقط أو التعويض عن الاسم الظاهر ولكن تتعداها إلى كونه رابطاً يحقق التماسك النصي، وله أهميته القصوى في التحليل النصي».

فمن خلال عود الضمير ندرك الصلة بين هذه الجمل والجملة الأولى«فمن الممكن أنْ يأتي المسند إليه في الجملة الأولى ثم تأتي المسندات المتعددة في الجمل التالية للجملة الأولى».

من ذلك قوله تعالى: «**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإنسان * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**»[١] فالمسند إليه هو (الرحمن) سبحانه وتعالى والمسندات تتمثل في (علم ، خلق، علمه) وهذه الرابطة نحوية دلالية فالمسند إليه في جمل النهج هو ذات المخاطب في الجملة الأولى وهو: محمد بن الحنفية، إذ اشترط النصيون في مثل هذه الجمل التطابق الإحالي أي: أن يكون الشخص نفسه الذي تتحدث عنه جميع الجمل، واشترطوا أيضا تعالق الوقائع التي تشير إليها الجمل. ولما كانت هذه الجمل تحيل إلى ذات المخاطب في الجملة الأولى وقد توافقت الوقائع التي تشير إليها هذه الجمل مع الجملة الأولى فقد تحقق التماسك النصي بين هذه الجمل وصار لهذه البنى السطحية بنية عميقة محكمة في تماسكها وتفسر تشاكل الأجزاء وتضمن اتساقها وانسجامها.

فالمسند إليه هو ذات المخاطب في الجملة الأولى والمسندات (عضَّ، أعر، تِدْ، إرم، غض، إعلم) جميعها ترجع إلى المسند إليه في الجمة الأولى فرغم غياب الروابط الشكلية (اللفظية) الا أن التجاور بين متتاليات تتمتع ألفاظها بالانتماء إلى حقل دلالي واحد تجعل الترابط العام يبدو واضحا بما يسميه جوهين كوهين: «بالربط الضمني في مقابل الربط الواضح».

فالبنية العميقة لهذه الجمل هي : الثبات في المعركة وعدم التزلزل أو النكوص.

وهذا الأمر يحتاج إلى توافر عدة أمور بيَّنها الإمام (عليه السلام) بجمل مختصرة تحمل دلالات مكتنزة منها قوله (عليه السلام): «عضَّ على ناجذك».

التي ستظهر دلالاتها في تحليلنا للمعيار الثالث من معايير التماسك النصي وهو (التكرار).

ثم قال له(عليه السلام): «أعر الله جمجمتك»، أي: «استعد للتضحية والفداء والشهادة في سبيل الله، فإن الاستعداد أساس الشهادة والاستبسال». وقد ذهب بعض شرَّاح النهج «أن في ذلك

---

١ . الرحمن،١-٧.

إشعار له أنه لا يقتل في تلك الحرب لان العارية مردودة، ولو قال له: بع الله جمجمتك، لكان ذلك اشعار له بالشهادة فيها».
ثم يواصل الإمام(عليه السلام) ذكر الوسائل التي تمكن المقاتل من الثبات في المعركة بجمل مقتضبة وهو يعضُ ابنه قائلا له: «تد في الأرض قدمك» علما أنه (عليه السلام) وعضه في الجملة الأولى بقوله :«تزول الجبال ولا تزل» فهل هذا يعني أن هناك فرقاً في دلالة الجملتين أم انهما يدلان على دلالة واحدة ؟ وهذا ما سنوضحه لاحقا. ثم قال له (عليه السلام): «ارم ببصرك أقصى القوم، وغض بصرك» وهنا قد يظن المتلقي لأول وهلة أن منتج النص قد وقع في تناقض ـ حاشاه ـ إذ كيف يرمي ببصره ويغضه في آن واحد؟ وهذا ما سنبينه في تناولنا للمعيار الثالث من معايير الماسك النصي وهو (التكرار).
ثم يختم الإمام(عليه السلام) خطبته بقوله: «واعلم أن النصر من عند الله سبحانه » .
التي سنقف على كنهها في تناولنا للمعيار الرابع من معايير النصية وهو التناص.

**٢ـ الإحالة الخارجية:**

ذكرنا آنفا أن الإحالة وسيلة لغوية مهمة من وسائل تحقيق التسلسل أو التتابع الخطي للجمل في المستوى التركيبي. فالعناصر المحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها بل تعتمد على التأويل، إذ لابد من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، «وينبغي أن يكون هناك تطابقا في الخصائص الدلالية بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه».
ولمَّا كانت الإحالة الخارجية تحيل إلى ما هو خارج النص ظهرت الحاجة إلى إعمال الفكر، إذ أن من طبيعة التماسك ارتباطه بالتفكير؛ ذلك لأنه«أداة و وسيلة أساسية للتفكير البشري»، ولوجود صلة قوية بين اللغة والتفكير.
وهذا ما يتجسد في الإحالة الخارجية التي تتطلب من المتلقي الالتفات إلى خارج النص حتى يتمكن من معرفة المحال إليه من بين المواقف والأحداث والملابسات المحيطة بالنص.
أي ان الإحالة الخارجية تتمثل في «الأنماط اللغوية التي تشير إلى الموقف خارج اللغة غير ان الموقف يشارك الأقوال اللغوية».
فهي عملية ربط «ما هو لغوي وداخل النص مع ما هو لغوي وخارج النص».
ومن البديهي أنَّ التحديد السليم لمعنى كلمة ما داخل التركيب لابد أن يمرَّ عبر مراعاة السياق الذي وردت فيه، فمن الطبيعي أنْ يمثل السياق دوراً بارزًا في تحديد معنى النص ومن ثمَّ تماسكه.
ويكتسي السياق أهميةً بالغةً في اثناء التحليل النصي، لدوره في تحديد مضمون النص وكذا لأن «بعض المواقف الاتصالية تحتاج إلى معرفة بالسياق لفهم وجه الربط بين المتتاليات الجملية».
فالسياق يعين المحلل في تحديد معنى الكلمة «وتحديد معنى الكلمات يؤدي إلى بيان دلالة الجمل ومن ثم يحدث التماسك الدلالي».
ولهذا فإننا «حينما نقول إن لإحدى الكلمات أكثر من معنى في وقت واحد إنما نكون ضحايا الانخداع إلى حد غير قليل، إذ لا يطغو في الشعور من المعاني المختلفة التي عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعنيه السياق».
ونجد مصداق هذا في قول الإمام (عليه السلام) وهو يشير إلى طائفة من فنون القتال: «وعليكم بهذا السواد الأعظم، والرواق المطنَّب، فاضربوا ثبجه فإنَّ الشيطان كامن في كسره» .
١ـ لفظة (السواد) تحمل دلالة عامة تنطبق على أكثر من مصداق ولا يمكن الاقتصار على معنى اللفظ وحده بالتوصل إلى دلالة المقصود منها. وبهذا ظهرت الحاجة إلى سياق النص لتحديد المراد من المشار إليه بهذه اللفظة.
فالإحالة في هذا الاستعمال إحالة خارجية، إذ إن المراد من (السواد) هنا عسكر معاوية وقد توافرت في النص أكثر من قرينة تثبت ذلك منها وصفه بـ (الأعظم)، وعطف عليه جملة (الرواق المطنب) التي تعني الخيمة الكبيرة ذات الأطناب، فضلا عن ذلك عود الضمير عليه في كلمة (ثبجه) في قول الإمام (عليه السلام): «فاضربوا ثبجه» التي تعني وسط الشيء.

فهذا يدل على أنَّ المراد من (السواد) هو تجمهر القادة والجند حول خيمة معاوية.
فـ (السواد الأعظم) هنا كناية عن التجمع الكبير الذي يبدو اسودا من بعيد . وفي هذا يأمر الإمام (عليه السلام) جيشه بالإطاحة والإجهاز على خيمة معاوية.
وهنا يبرز الدور القيادي للإمام (عليه السلام) وتمرسه بالمعركة وخبرته بالفنون القتالية وهو يأمر جيشه بالهجوم على قلب العدو ومركز قيادته.
إذ أن الهجوم على العدو وبخطى متعثرة مراعية الحذر والاحتياط باحثة عن مواطن الضعف في الخصم للإجهاز عليه مجتنبة مواطن القوة منها يؤدي إلى اشتداد شوكة العدو وقوة عزيمته في التمكن من الخصم. «وعلى العكس من ذلك لو كانت الحملة موجهة إلى قلب عسكر العدو لانهارت روحية العدو وتحطمت معنوياته».
إذ أن الهجوم على قلب العدو ومركز القيادة فيه يكشف عن مدى القوة والاقتدار. فلله درك يا أمير المؤمنين وأنت قائد في الحرب وواعظ للجند وباذل نفسك في مرضاة الله.
٢ـ لفظة (الشيطان) في قول الإمام(عليه السلام): «فإن الشيطان كامن في كسره، قد قدم للوثبة يدا وأخَّر للنكوص رجلا».
فلفظة (الشيطان) بمعزل عن النص تعني الشيطان الحقيقي(ابليس) بيد أن المراد منها في هذا النص غير الشيطان الحقيقي بل انها تحيل إلى شخص آخر مارس الأعمال والأفكار الشيطانية التي كادت تودي بحياة الدين وتميت السنة وتحي البدعة.
وما يدل على ذلك عدة أمور منها :
١ـ أدوات الربط الشكلية والدلالية كعائدية الضمائر المتمثلة بـ (الهاء) في لفظة (كسره) فإنها تحيل إحالة داخلية قبلية إلى (الرواق المطنب) التي تعني (الخيمة) فهو مستقر فيها. فضلا عن وصفه ببعض الصفات الإنسانية من اليد التي يبطش بها إذا انتصر جيشه على جيش الإمام(عليه السلام)، و(الرجل) التي يهرب بها إذا اندحر جيشه.
٢ـ السياق الذي وردت فيه لفظة (الشيطان) في هذا النص، إذ أن الإمام (عليه السلام) أمر الجيش أن يجهز على الخيمة التي تحتل مركز الصدارة في جيش العدو وان يضربوا من هو كامن في وسطها.
٣ـ إن لفظة (الشيطان) قد تكررت في النهج في أكثر من مورد ولم تكن مشيرة إلى (الشيطان الحقيقي، وهذا ما نلمسه في قوله (عليه السلام): «اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكاً، واتخذهم له أشراكاً، فباض وفرخ في صدورهم، ودب ودرج في حجورهم؛ فنظر بأعينهم، ونطق بألسنتهم، فركب بهم الزلل، وزين لهم الخطل، فعل من قد شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه».
فإنها لا تشير إلى الشيطان الحقيقي وانما إلى شيطان من شياطين الإنس وما أظنه عنى به إلا معاوية.
ومثل هذا نجده في قوله(عليه السلام): «الا وإن الشيطان قد ذمر حزبه، واستجلب جلبه، ليعود الجور إلى أوطانه، ويرجع الباطل إلى نصابه». وفيها صرح القطب الراوندي أن هذه الخطبة متعلقة بمعركة صفين وقد عنت عباراتها معاوية .
وبهذا يمكن الرد على رأي من يرى أن المراد من الشيطان هنا: الشيطان الحقيقي؛ لأن الإمام(عليه السلام) أمر جيشه بالإجهاز على الخيمة وضربه في ثبجه، فلابد أن يكون المضروب شخصيا له صفات مادية محسوسة يمكن أن يرى ويكون له جسم كي يضرب في وسطه.
ونرد على رأي من يرى أن المراد منه عمرو بن العاص؛ لأنا وإن ضربناه في ثبجه وأردیناه فإن هذا لا ينهي القضية؛ لأن القائد المنفذ باقٍ على قيد الحياة وهو معاوية.
وهنا تظهر حنكة الإمام (عليه السلام) وتكتيكه في الحرب وطول باعه فيها وهو يوجه جيشه بالإجهاز على قلب العدو ومركز القيادة فيه؛ الذي يؤدي إلى حسم المعركة بتحقيق النصر السريع على العدو وبأكثر النتائج واقل الخسائر.

## ثالثاً: التكرار

لمَّا كان التحليل النصي في جوهره يعدُّ بحثاً عن المضمون من أجل النص نفسه واعتماداً على النص ومكوناته لذا فقد استولت فكرة أداء التكرار لوظائف دلالية معينة على اهتمامات علماء النصية؛ وذلك بعدِّ التكرار ملمحاً اسلوبياً بارزاً يعيننا على فك شفرة النص .

وبناءاً على هذا لقي التكرار عناية فائقة من قبل علماء لغة النص فأعتبره تون فان دايك وسيلة من وسائل التماسك النصي. وقد جعل زتسيسلاف واورزنياك «التكرارات أو الإعادات لعناصر وعلاقات لغوية ضمن التشكيل النصي وثيقة الصلة» ومن جهة أجرى «يمكن أن يصير الاسم اسماً مسيَّداً في النص أي: موضوع النص».

ويرى دي بوجراند أن «التكرار يبقى محصوراً في إعادة وحدة معجمية بعينها»، وهو ما يذهب إليه هاليداي ورقية حسن في كتابهما (الاتساق في الانجليزية).

وغير بعيد عن هذا الاتجاه سارت دراسات الباحثين النصيين العرب، فيذكر د. سعيد بحيري أن «الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة، وتتمثل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قيد التأكيد». وهو الرأي الذي أكده د.الزهر الزناد ود. جميل عبد المجيد.

وقد عرف د.الفقي التكرار على أنه: «إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة».

فالتكرار يلعب دوراً مهماً في سبك النص وتحديد معناه واستكناه مضمونه؛ وهذا بناءاً على أن التكرار إلحاحٌ على جهة هامة من العبارة، يقول ناصر يعقوب: «ويمثل تكرار التركيب اللغوي بؤرة دلالية مهمة في النص».

ويعتمد التكرار في إحداثه للتماسك على عنصر آخر من عناصر التحليل وهو الإحالة إلى سابق، وهنا تظهر فائدة إصرار علماء النص على وحدة المرجع في المكرر، يقول د. جميل عبد المجيد: «والمقصود بالتكرار هنا: تكرار لفظتين مرجعهما واحد، فمثل هذا التكرار يعدُّ ضرباً من ضروب الإحالة إلى سابق بمعنى أن الثاني يحيل إلى الأول ومن ثم يحدث التماسك بينهما وبالتالي بين الجملة والجملة».

إذن فتكرار لفظ معجمي يحيل إلى لفظ آخر قد يكون في جملة أخرى وقد يكون في مقطع آخر، ونظراً لوحدة الشحنة الدلالية فإنَّ هذا التكرار يربط الجملة الثانية بالأولى أو المقطع الثاني بالأول فيه دليل على الاستمرار والانتماء إلى النص نفسه، وإن ارتفاع معدل التكرار يزيد من درجة التماسك وتحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص.

وقد ذكر النصيون أكثر من نوع للتكرار يمكن ايجازها بالنحو الآتي:

١ـ التكرار التام، وهو نوعان:

أ ـ تكرار مع وحدة المرجع، أي: يكون المسمى واحداً.

ب ـ تكرار مع اختلاف المرجع(أي: يكون المسمى متعدداً).

٢ـ التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في فئات وأشكال مختلفة، ومن أشكال التكرار الجزئي الاستبدال ويعني: استبدال مفردةً بمفردةٍ أخرى.

وقد نال التكرار حظاً وافراً في خطب الإمام(عليه السلام) وحكمه ورسائله، ويمكن ملاحظته بما يلي:

١ـ التكرار التام:

ونلحظ فيه تكراراً للفعل (عَضَّ) الذي تكرر ذكره في ثلاثة خطب، كلها بصيغة الأمر، اثنان متصلان بواو الجماعة(عَضُّوا) وفاعلهما ضمير المخاطب الغائب (انتم)، وواحد مجرد (عَضَّ) وفاعله ضمير المخاطب الغائب (أنت) ومدخولهما في الحالات الثلاثة هو نفسه يتكرر ولكن بصياغات مختلفة:

١ـ (عَضَّ على ناجذك)

٢ـ (عضوا على النواجذ، فإنه انبى للسيوف عن الهام)

٣ـ (عضوا على الأضراس، فإنه انبى للسيوف عن الهام)
يتضح من خلال تتبع الاسم المجرور في الحالات الثلاث أنه واحد وهذه حالاته المختلفة، فـ (النواجذ) ومفردها: (ناجذ) تعني أقاصي الأضراس في الفم، وهي أربعة أضراس تنبت بعد أن يشب الغلام، وتسميها العامة :أضراس العقل.
ثم يستعمل الإمام(عليه السلام) أحد أنواع التكرار الجزئي وهو الاستبدال أو الترادف فيورد بدل لفظة (النواجذ): (الأضراس) ومفردها: (ضرس)، وهي الأسنان الطاحنة.
وهناك فرق في الدلالة بين اللفظتين، فـ (النواجذ) دلالتها خاصة على الأضراس الأربعة التي تنبت في أقصى الفم بعد أن يشب الغلام أمَّا (الأضراس) فدلالتها عامة بكل ما يتصف بالقوة من الأسنان؛ لان لفظة (ضرس) كما يقول ابن فارس: «يدلُّ على قوة وخشونة». وهنا يبين لنا الإمام(عليه السلام) طريقة فذة في مواجهة الخصم تتضمن فائدتين:
الأولى: إنه يزيل الخوف والقلق والاضطراب ومن هنا يعضُّ الإنسان على أسنانه في مواطن الخوف؛ ليهدأ وتسكن فورته.
الثانية: إنَّ العاضَّ على نواجذه ينبو السيف عن هامته نبواً، «وهذا مما يساعد التعليل الطبيعي عليه؛ وذلك انه إذا عَضَّ على ناجذه تصلبت الأعصاب والعضلات المتصلة بدماغه وزال عنها الاسترخاء فكانت على مقاومة السيف أقدر وكان تأثير السيف فيها أقل».
وهذا ما يبينه الإمام (عليه السلام) في الخطبة (٦٦) من قوله: «وعضوا على النواجذ فإنه أنبى للسيوف عن الهام».
ويظهر ملمحاً آخر للتكرار نلمسه في قوله (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية: «غُضَّ بصرك».
وفي قوله(عليه السلام) في الخطبة (١٢٤): «وغُضُّوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب»
فالفعل (غض) جاء مرتين بصيغة الأمر، الأولى: جاء مجردا دالا على الإفراد والثانية جاء مجردا دالا على الجمع. ويتضح من خلال تتبع المفعول به إنه واحد في كلا الحالتين وهو (البصر).
وهنا يخوض الإمام (عليه السلام) برفع معنويات جنده في ساحة المعركة فيمنحهم الثبات والصمود تجاه العدو؛ وذلك لأن أدنى اضطراب في ميدان القتال أمام العدو إنما يكشف عن الضعف والعجز، وهذا ما يجعل العدو في مطمع من اقتحام الميدان واللجوء إلى الهجوم.
فالأمير(عليه السلام) هنا يوصي المقاتل بأن ينظر إليهم نظر المستقلُّ لهم غير المبالي بكثرتهم، فيغضَّ بصره عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم لئلا يبرق بصره ويُدْهَش فيستشعره الخوف.
فهذه الوصية تشتمل على بعد نفسيٍّ، إذ كلما كانت روحية الجنود مرتفعة كان الأمل بالنصر أكثر، لذا تجد الإمام (عليه السلام) يبيِّن ذلك في تتمة الخطبة(١٢٤) قائلاً: «وغُضُّوا الأبصار فإنه أربط للجأش وأسكن للقلوب».
٢ـ التكرار الجزئي:
ذكرنا آنفاً أن معنى التكرار الجزئي أنْ يعيد المنتج جزءا من الصيغة لا الصيغة كلها، وهذا ما نلمسه في قول الإمام (عليه السلام) في الخطبة(١١) من قوله: «إرم ببصرك أقصى القوم» التي تكررت في الخطبة (٦٦) ولكن بصيغة مختلفة، إذا قال (عليه السلام): «والحظوا الخزر» وهذا الاختلاف في بنية الصيغتين يعطي دلالة باختلاف النظرة إلى العدو. فهو في الأولى يوصي بأن ينظر المقاتل إلى العدو نظرة تجعله يحيط بالميدان والسيطرة على حركة الجنود بحيث يتعرف على نقاط الضعف والقوة، فيصيب في الدفاع والهجوم والكر والفر.
وفي قول الإمام(عليه السلام): «والحظوا الخزر» يوصي الإمام(عليه السلام) المقاتل أن ينظر بمؤخر عينه وهي إمارة الغضب، كما تستعمل أحياناً عند عدم الاكتراث، وفائدة مثل هذا الاسلوب في ميدان القتال إشعال وتأجيج نيران الغضب في الباطن بحيث تشحذ كافة القوى الداخلية وتتضاعف طاقة الإنسان وقدرته.

وأن لا ينظر إليه بكامل العين؛ لأن ذلك يدل على الخوف والوهن والعجز الأمر الذي يجعل العدو أكثر جرأة وجسارة في الانقضاض عليه.
ويظهر بذلك أن لا تناقض بين قول الإمام(عليه السلام) في خطبة(١١): «ارم ببصرك أقصى القوم، وغُضَّ بصرك».
لأنه كما أوضحت آنفاً «أمره أن يفتح عينه ويرفع طرفه ويحدق إلى أقاصي العدو ببصره فعل الشجاع المقدام غير المكترث ولا المبالي؛ لأن الجبان تضعف نفسه ويخفق قلبه فيقصر بصره ولا يرتفع طرفه ولا يمتد عنقه، ويكون ناكس الرأس غضيض الطرف .
وفي الثانية أن يغض بصره عن بريق سيوفهم؛ لأن لا تضعف نفسه يصيبه الجبن.

## رابعًا: التناص:

يعدُّ التناص واحداً من المعايير التي يُصيَّر بها الملفوظ نصاً، وقد بدأت بواكير الالتفات النقدي إلى مصطلح (التناصية) مع بداية الثمانينيات بعد الانتشار السريع لمفهوم الحوارية الباختيني مع ارهاصات تكونه مع الباحث الروسي(ميخائيل باختين)، وانه قد شهد تطوراً مهماً بظهور كتاب (تطريسات) لجيرار جينيت). ويمكن القول إنَّ ابتداع هذا المصطلح كان على يد البلغارية (جوليا كرستيفيا) في دراستها النقدية معرِّفة إياه بأنه: «ترحال للنصوص وتداخل نصي في فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوضات عديدة مقتطعة من نصوص أجرى».
أو هو كما ذهب إليه روبرت دي بوجراند «أنْ يتضمن العلاقات بين نصٍّ ما ونصوص أجرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بوساطة أم بغير وساطة».
والتناصية عند عبد المالك مرتاض«تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ونصوص أدبية أجرى». فعبد المالك مرتاض يرى أن التناصية «عبارة عن استبدال للنصوص، ذلك بأن في حيز النص مجموعة من العبارات مأخوذة من نصوص أجرى تتلاقى لتغتدي محايدة».
وقد أشار إلى إن فكرة «تبادل التأثر والعلاقات بين نص أدبي ما ونصوص أدبية أجرى فكرة كان الفكر النقدي العربي عرفها معرفة عميقة».
وقد أكد محمد مفتاح «أن التناص ظاهرة لغوية معقدة تستعصي على الضبط أو التقنين، إذ يعتمد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح».
ومما يلاحظ أن «كل تعريفات التناص تظهر هذا التفاعل والتعالق والالتقاء والتداخل (اللفظي أو المعنوي) بين نص ما ونصوص أخرى سبقته استفاد منها المراد دراسته».
وقد عدَّ احمد الزعبي مصطلحات (الاقتباس)، (التضمين)، (الاستشهاد) نماذج من التناص يستحضرها الكاتب إلى نصه الأصلي لوظيفة فنية أو فكرية منسجمة مع السياق الروائي سواء أكان هذا التناص نصاً تأريخياً أو أدبياً أو دينياً مشيراً إلى أن الاقتباس إذا كان بلغة النص نفسها التي وردت فيها سُمِيَ (التناص المباشر)، وإن كان ما يقتبس بروحه أو مضمونه عن طريق التلميح أو الإشارة أو الرمز فهو (التناص غير المباشر).
وقد ذكر رجاء عيد (التضمين) وعدَّه الصق من غيره بالتناص . ويراه حاملا لوظائف عدّة، منها توثيق الدلالة أو تأكيد موقف أو ترسيخ المعنى أو لمؤازرة نص رفضاً لمقدمة أو نفياً لمعتقد.
وإذا رجعنا إلى نهج البلاغة وجدنا التناص المباشر والتناص غير المباشر منتشراً في خطبه وعلى النحو الآتي:

**١ـ التناص المباشر:**

وفيه يلجأ منتج النص في بناء نصه إلى محاورة نصوص أجرى سالفة بعينها لتصبح متضمنة فيه من خلالها يبني القارئ «استراتيجيات قرائية وتأويلية، ومهما اختلفت آلياتها الاستدلالية والاستقرائية والاستنباطية والفرضية الاستكشافية فإنها تشترك جميعها في اتخاذ المعلوم وسيلة لمعرفة المجهول» بحيث تشكل النصوص نسيجاً نصياً واحداً يتعالق بعضها مع بعض محدثة بناءً متراصاً».

وتتميز خطب الإمام (عليه السلام) ـ موضع البحث ـ بسمة سائدة متمثلة بتناص مفرداتها مع سور القرآن الكريم، وهذا ما نلمسه في قول الإمام (عليه السلام) لابنه محمد بن الحنفية: «واعلم ان النصر من عند الله سبحانه».
هذا الترتيب في ظهور المفردات يشابه ترتيب ظهورها في قوله تعالى: «**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**»[1].

وبما انها مرتبطة ومسبكة سبكا محكما في السورة فإنها تنعكس على الخطبة وتعطيها شكلا من الانسباك والاستمرارية. وبذلك فهي تنطوي على نقطة مهمة وأساسية تكون تلخيصاً لما أورده الإمام (عليه السلام) في هذه الخطبة، فهي تنطوي على أبعاد روحية معنوية تُطَمْئِن النفوس وتحدوها بالتطلع إلى الله مشيرة إلى أن العنصر الأساس الذي يقف وراء النصر والغلبة إنما يكمن في الصبر والثبات، «فالنصر لا يستند إلى الاسباب والمقدمات الظاهرية بل المهم إرادة الله سبحانه ونصره» .
وهو يوجه ابنه أن يتوكل على الله ويثق بعونه ويسأله الغلبة، فهو القادر على كل شيء وهو الرحمن الرحيم بعباده المؤمنين المجاهدين.
وإذا انتقلنا إلى الخطبة(٦٦) نجد إن قول الإمام(عليه السلام): «واعلموا انكم بعين الله» وفيها يرفع الإمام(عليه السلام) معنويات جيشه ويوصيهم بالثبات في ساحة الوغى وميدان القتال بغية استئصال شأفة العدو قائلا لهم: «واعلموا انكم بعين الله»، فإذا علم الإنسان«أنه بعين سيده القادر على كل شيء والمحيط به فإنه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة من جانب ومن جانب آخر يلفت نظره إلى عظم المسؤولية والوظيفة التي ينبغي أن ينهض بعبئها». وبذلك فهي تتناص مع قوله تعالى في قصة نوح حين أمره بصنع السفينة:«**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**»[2].

وهو يشير إلى ما كان نبي الله نوح يواجهه من السخرية والاستهزاء وما يرافقه من ضغوط نفسية عندما كان يصنع السفينة ، فتأتي هذه الآية لتشد من عضده وتقوي عزمه مشيرة عليه بأن لا يكترث لهذه الامور ولا يحزن ؛ لأنه يعمل وفق المشيئة الالهية الغالبة .
وهو ذات المعنى الى المحت إليه الآية الشريفة: «**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**»[3] في إطار رباطة جأش النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) عندما تكالبت عليه الأعداء.
ثمَّ نلحظ ظهور هذه المجموعة من الكلمات: (انتم الاعلون، الله معكم، لن يتركم اعمالكم) في قول الإمام(عليه السلام) في الخطبة ذاتها: «فصمداً صمداً حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم».
فبعد أن انتهى الإمام (عليه السلام) من بيان أساليب الحرب وفنون القتال في ساحة المعركة وما ينبغي لها من التأكيد على القيم الروحية والمثل المعنوية التي تشكل الدافع للقتال وتشوِّق المقاتلين إلى التضحية في سبيل الله ينتهي هنا إلى قضية مهمة تعدُّ نتيجة لما أورده الإمام (عليه السلام) ودعا إليه صحبه، وهي انه «ما عليكم الا الثبات والصمود والمقاومة لاندحار الباطل وانتصار الحق، ثمَّ يعدهم بالنصر استناداً إلى البشارة التي تضمنتها الآية ٣٥من سورة محمد وهي قوله تعالى: «**فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**»[4].

---

١ . آل عمران من الآية١٢٦.

٢ . هود/٣٧.

٣ . الطور/٤٨.

٤ . محمد/٣٥.

والتناص يؤدي دوراً كبيراً في حبك المفاهيم وترابطها في الخطبة؛ لأن معانيها في السورة تعطي هذه المفردات المشتركة أبعاداً أجرى غير ما يظهر من معانيها منعزلة، كما تعمل بشكل عكسي، فاستخدام المفردات المشتركة في تراكيب ومعان جديدة في الخطبة أكسبها رونقاً وجمالاً وشيئاً من الإبهار والإثارة للمتلقي.

فعلى مستوى المعاني مثلاً نجد كلمة (الشيطان) التي ما إن يقرأها القارئ في إطار قول الإمام(عليه السلام): «فإن الشيطان كامن في كسره، وقد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلا» حتى يقفز قوله تعالى: «**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**»[1] إلى حيز الوجود ، لكن ....! هنا تحدث الإثارة حينما يسند إلى (الشيطان) الكمون في الخيمة في قول الإمام(عليه السلام) : (ان الشيطان كامن في كسره)، ويصفه بأنه: (قد قدم للوثبة يداً، وأخر للنكوص رجلا).

والتناص بين (الشيطان) في هذه الخطبة وبين (الشيطان) الذي في الآية يعطي ابعاداً معنوية ونفسية؛ لهذا الذي في الخطبة ويمهد لفهم واستيعاب دلالاته بصورة لا يمكن الوقوف على كنهها بهذه العجالة. آملين الوقوف على الفرق بينهما في بحث مستقل إن شاء الله.

ومن مواطن التناص الأخرى قول الإمام(عليه السلام): «اليومَ تُبلى الأخبار» .

التي تناصت مع قوله تعالى: «**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**»[2] مشيرا إلى أن كل أعمال وأخبار كل فرد تبلى ويتعرض فيها الفرد للإختبار والتمحيص ليتميز منها الغث من السمين.

فانتشار هذه الكلمات في الخطب بترتيب يشبه إلى حدٍ ما تلك الموجودة في السورة يسهم في خلق نوع من التوازي بين النصين، فتكون السورة جاهزة نشطة في عالم النص تقفز مفاهيمها بين الحين والآخر لتنعكس على الخطب فتُكسبها أثراً موازياً في السبك والانسجام.

أما مواطن التناص مع كلام العرب فنجده في قول الإمام (عليه السلام): «وصلوا السيوف بالخُطا) فإنها تناصت مع قول الشاعر:

**وإن قصرت أسيافنا كان وصلوها خطانا إلى أعدائنا فتطول**

ومثل هذا قول حميد بن نور الهلالي :

**ووصل الخطا بالسيف والسيف إذا ظُن أن المرء ذا السيف قاصر بالخطا**

مشيرا(عليه السلام) إلى أن اليد «قد لا تكفي أحياناً لضرب العدو بالسيف فلا بد من التقدم بضع خطوات وضربه بالسيف».

**٢ـ التناص غير المباشر:**

ذكرت آنفاً أن ما كان يقتبس بروحه أو مضمونه عن طريق التلميح أو الإشارة أو الرمز تكمن له عدة فوائد منها إزالة شيء من الغموض والإبهام، وهذا ما نلمسه في قول الإمام(عليه السلام): «إن الفارَّ لغير مزيدٍ في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه» الذي يتناص مع قوله تعالى:

«قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ »[3].

---

١ . الأنفال/٤٨.

٢ . محمد/٣١.

٣ . آل عمران/١٥٤.

ويدفعنا هذا إلى محاولة تفسير هذا القول ومدى تأثيره على نفسية الإمام (عليه السلام)، فهذا القول يبين محاولات بعض جيش الإمام(عليه السلام) للنكوص والفرار، وهذا يحيلنا إلى العوامل الخارجية المحيطة بهذا النص ومنتجه، وتبدو فيه محاولات تجرها محاولات من بعض جيش الإمام (عليه السلام) للفرار وكيف أنهم كانوا يقفون بوجهه ويفسدون عليه رأيه ويؤلبون الناس ضده، بل ويفرضون عليه رأيهم. وهذا يفسر لنا شكاية الإمام (عليه السلام) وتذمره من بعض جنوده وهو يقول: «أيتها النفوس المختلفة، والقلوب المتشتتة، الشاهدة أبدانهم، والغائبة عنهم عقولهم، أظأركم على الحق وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد! هيهات أن أطلع بكم سرار العدل، أو أقيم أعوجاج الحق».

فيذكر الإمام(عليه السلام) كيف يحثهم على الجهاد ويتلوعليهم الحكم والمواعظ فيجابه بالصد والرد قائلا: «شهود كغياب، وعبيد كأرباب. أتلو عليكم الحكم فتنفرون منها، وأعظكم بالموعظة البالغة فتتفرقون عنها، وأحثكم على جهاد أهل البغي فما آتي على أخر قولي حتى أراكم متفرقين أيادي سبأ. ترجعون إلى مجالسكم، وتتخادعون عن مواعظكم. أقومكم غدوة وترجعون إلي عشية، كظهر الحنية عجز المقوم وأعضل المقوم».

فيقارن بين جيشه وجيش معاوية قائلاً:

«وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمنت أحدكم على قعبٍ لخشيت أن يذهب بعلاقته.

اللهم إني قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني! اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء. أما والله لوددت أن لي بكم ألف فارسٍ من بني فراس بن غنمٍ» .

فهم معه بدنا لا عقلا لذا تجده يتمنى لو أنه يستبدل كل عشرة من جنده بجندي واحد من جنود معاوية قائلاً «أيها القوم، الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلى بهم امراؤهم صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل ألشام يعصي الله وهم يطيعونه لوددت والله أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم يا أهل ألكوفة، منيت منكم بثلاث وأثنتين: صم ذوو أسماع، وبكم ذوو كلام، وعمي ذوو أبصار لا أحرار صدق عند اللقاء، ولا إخوان ثقة عند البلاء.

تربت أيديكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها كلما جمعت من جانب تفرقت من آخر.

والله لكأني بكم فيما» .

ومن موارد التناص قول الإمام (عليه السلام): «فعاودوا الكر واستحيوا من الفر، فإنه عار في الاعقاب ونار يوم الحساب» التي تناصت مع قوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**»[1].

إذ نلاحظ أن ما جاء في مضمون هذه الخطبة يعد تتمةً لمضمون ما جاء في الخطبة (١٢٤) المذكورة في أعلاه وفيه يذكّر (عليه السلام) جيشه بعواقب الفرار من جبهات القتال وما يترتب عليه من آثار دنيوية وأخروية.

## الخلاصة واهم النتائج

يعدُّ موضوع الخطاب آلية من آليات الانسجام النصي، إذ بفضله يتماسك النص ككلٍّ، بحيث إنَّ المواضع الجزئية المتشكلة له تتجمع وتنتظم لتؤدي في النتيجة إلى موضوع أساس يدور حوله الخطاب.

---

١ . الأنفال/١٥، ١٦.

وعلى هذا الأساس نجد أنَّ هذه الخطب الثلاثة موزعةٌ على أربعة مقاطع متفاوتة في عدد سطورها وكل مقطع يتناول موضوع جزئيٍّ قد يصلح أنَّ يكون خطبةً مستقلةً.
إلاَّ أن المتعمق لحركة النص في هذه الخطب الثلاثة أفقياً وعمودياً يرى أنَّ محاورها تتآزر فيما بينها لتشكل بنية كلية كبرى.
وقد بيَّنت في أول البحث أنَّ الموضوع الأساس الذي تدور عليه هذه الخطب الثلاثة هو:
(فن القتال وطرق مواجهة الخصم) ولتحقيق هذا الموضوع المركزي سنقوم بعملية استقراء وتصنيف للمقاطع وذلك بعدِّ كلِّ مقطع يعبر عن موضوع واضح وعلى النحو الآتي:
١ـ المقطع الأول: ويتعلق باستعدادات المقاتل قبل نشوب المعركة، وتتطلب هذه الاستعدادات توافر عدَّة أمور منها:
أ ـ ما يتعلق بآلة الحرب من سيف وخنجر ورمح وخوذة ودرع، وقد عبر عنها الإمام (عليه السلام) مجتمعة بـ (اللامة) في قوله في الخطبة (٦٦) قائلاً: «وأكملوا اللاَّمة».
ب ـ التأكد من سلاح المقاتل من سيف وخنجر ورمح وإدامته وتحريكه وسله من غمده قبل الولوج إلى المعركة؛ لئلا يفاجأ بحدوث خلل وقت نشوب المعركة. وهذا ما عبَّر عنه الإمام (عليه السلام) بقوله في الخطبة ذاتها: «وقلقلوا السيوف في أغمادها قبل سلها.... ونافحوا بالظبا وصلوا السيوف بالخطا».
ج ـ أن يعمل النظر في جيش العدو فيرفع طرفه ويحدق إلى أقاصي القوم كي يتمكن من الإحاطة بالميدان والسيطرة على حركة جنود العدو ويتعرف على نقاط الضعف والقوة، وهذا ما جسده قول الإمام (عليه السلام) في الخطبة (١١): «ارمِ ببصرك أقصى القوم».
د ـ أن يغضَّ بصره عن بريق سيوفهم ولمعان دروعهم لئلا يبرق بصره ويستشعره الخوف فيصيبه الجبن ولا يتمكن من مواجهة الخصم وما يستتبعه من نتائج لا تحمد عقباها وهذا ما وقف عليه الإمام في الخطبة(١٢٤) قائلا: «وغضُّوا الأبصار فإنه اربط للجأش واسكن للقلوب، وأميتوا الأصوات فإنه أطرد للفشل».
٢ـ المقطع الثاني: وهو خاص بالراية لما لها من أهمية خاصة في ميدان الحرب ولدورها الفعال في ارتباط الصفوف والتحامها ولأن سقوطها يؤدي إلى اضطراب العسكر وربما إلى انهياره لذا أوصى الإمام بالراية وصاحبها قائلاً: «ورايتكم فلا تميلوها ولا تُخِلُّوهَا الا بأيدي شجعانكم».
٣ـ المقطع الثالث: الثبات في الحرب وعدم التزلزل أو الفرار التي تشكل واحدة من أهم المسائل في ميدان القتال، والتي لا يمكن تحقيق النصر بدونها، ولأن فرار عدَّة أفراد قد يؤدي إلى هزيمة عسكر جرار ويقود حضارة عريقة إلى الانهيار. وهذا ما بينه الإمام (عليه السلام) بقوله: «تزول الجبال ولا تَزُل... تد في الأرض قدمك)، و«استحيوا من الفر.... وامشوا إلى الموت مشيا سجحا»، و«لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة».
٤ ـ المقطع الرابع: ثقة الإنسان العالية بالله تعالى واستعداده للتضحية في سبيله، فإن هذا الاستعداد أساس الشجاعة والاستبسال. فإذا علم الإنسان أنه بعين سيده القادر على كل شيء والمحيط به فإنه يستلهم منه العزم والقوة وعدم الشعور بالوحدة، وهذا ما نلمس في قول الإمام (عليه السلام) في الخطبة(١١):«واعلم ان النصر من عند الله»، وقوله في خطبه (٦٦): «فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق وانتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم»، وقوله في الخطبة(١٢٤): «من الرائح إلى الله كالضمآن يرد الماء».
فلتحديد البنية الكبرى للنص في هذه الخطب الثلاثة نتبع الخطوات التي وضعها فان دايك الذي يرى أننا «كي نحصل على البنية الكبرى لأية متوالية يجب علينا أن ننفذ مجموعة من العمليات، وصيغة هذه العمليات كلها حذفية تنفذ من أجل اختزال النص إلى بنية دلالية كلية». وقد حدد فان دايك هذه العمليات بالنحو الآتي:
العملية الأولى: تتعلق بحذف المعلومات العرضية.
العملية الثانية: وتتعلق بحذف معلومات مكونة (أساسية).
العملية الثالثة: تتعلق هذه العملية المسماة التعميم البسيط بحذف المعلومات الأساسية.

وانسجاماً مع إشارتنا السابقة إلى إن لكل خطاب بنية كلية يمكن أن نقسم هذه الخطب الثلاثة إلى أربعة محاور تعدَّ موضوعات يحمل عليها النص محمولات عدَّة:
المحور الأول: إن المعلومة الأساسية في المقطع الأول هي ما ينبغي للمقاتل ان يفعله قبل نشوب المعركة، وما تلاها من الأمور التي ذكرت في النقاط الأربعة تعدَّ معلومات ثانوية جاءت نتيجة له.
المحور الثاني: وفيه ينتقل التوجيه إلى الاهتمام بالراية وبيان أهميتها في المعركة. وما تلاها يعد معلومات عرضية.
المحور الثالث: ركز المحور الثالث على أهمية الثبات في المعركة وعدم التزلزل. وقد جاءت كثير من الألفاظ تشير إلى ذلك: (تزل الجبال ولا تزل..... فالمعلومة الأساسية في هذا المحور هي الثبات في المعركة.
المحور الرابع: وقد ركز على أهمية ثقة الإنسان بربه ودورها في صنع النصر.
إن هذه المحاور الأربعة قد أعطتنا المخطط البياني التالي:

**استعداد المقاتل قبل المعركة**

الراية النصر في المعركة الثبات في المعركة

**ثقة الإنسان بالله تعالى**

إنَّ تمحور النص في هذه الخطب الثلاثة حول هذه المحاور الأربعة ضمن له الانسجام نظرا للعلاقات المتداخلة مبيناً أنَّ اجتماع هذه المحاور يؤدي بالنتيجة إلى صنع النصر في المعركة .
وما النصر إلاَّ من عند الله .

# العدالة الاجتماعية والسياسية في عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر

المدرس المساعد: ضرغام خالد عبد الوهاب أبو كلل الطائي (جامعة الكوفة / كلية الآداب قسم المجتمع المدني)

**المقدمة:**

احتاط الإمام علي(عليه السلام) أشدّ ما يكون الاحتياط في الولاة والعمّال، فلم يستعمل أحداً على قطر من الأقطار الإسلامية أو يعهد إليه بعمل إلا بعد إحراز الثقة بدينه، والكفاءة بقدراته الإدارية.

ولم يستعمل (عليه السلام) أحداً مُحاباة، وإنما استعمل خيار المسلمين، أمثال مالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وسهل بن حنيف، وحبر الأمة عبد الله بن عباس، ونظرائهم من الذين توفّرت فيهم الخبرة التامة في شؤون الحكم والإدارة.

وقد زوّدهم (عليه السلام) برسائل مهمّة عرض فيها لشؤون الحكم وسياسة الدولة، كما حدّد من صلاحياتهم ومسؤولياتهم.

وكان من أروع تلك الوثائق السياسية عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر، فقد حفل بتشريع ضخم لإصلاح الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهو أرقى وثيقة سياسية تهدف إلى ارتقاء المجتمع وتحقيق مصالحه.

ويعد كتاب نهج البلاغة، الذي جمع بين دفتيه من خطب ومواعظ وحكم ورسائل لسيد الفصحاء والبلغاء الذي تربى منذ نعومة إظفاره في حجر الرسالة وغذي بلبن النبوة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، من الكتب القيمة التي تضمنت ما اختاره الشريف الرضي رحمه الله) من كلام امير المؤمنين (عليه السلام).

وبهذا الاجراء الذي راعى فيه المبادئ الاسلامية و مصلحة الامة، قضى على مبدأ القرابة والعشيرة الذي كان سائدا أيام الخليفة عثمان والذي أدى آخر المطاف إلى إثارة النقمة عليه وقتله.

وقد حاول المتضررون من اجراءات أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تعكس صورة الاسلام الأصيل، حاولوا التفاوض معه، فأرسلوا إليه الوليد بن عقبة بن أبي معيط مندوبا فجاء إليه، وهكذا كان القوم الموتورون من عدالة علي (عليه السلام) يحاولون أن يثنوا الإمام عن تنفيذ خطته الاصلاحية الكبرى، خصوصا بشأن الأموال التي نهبوها أيام الخليفة الثالث، وراحوا يذكرونه بأنهم قرشيون مثله، وهددوا إن لم يستجب لمطالبهم فسيلتحقون ببلاد الشام لينضموا إلى جبهة معاوية هناك، فلم يعرهم الإمام (عليه السلام) انتباها بل فضحهم عند ما اعتلى المنبر.

وكان (عليه السلام) يتفقّد شؤون ولاته وعمّاله، ويرسل العيون لتحري أعمالهم، فإن رأى منهم خيانة أو تقصيراً في واجبات أحد منهم عزله، وأنزل به أقصى العقوبات.

وقد تحرّى (عليه السلام) كل بادرة تصدر من ولاته، وقد بلغه أن عامله على البصرة قد دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فكتب إليه يلومه على ذلك، وقد جاء في رسالته (عليه السلام) لابن حنيف: (أما بعد: يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مَجفو، وغَنيّهم مَدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فَالفُظْهُ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه).

ولم يقرّب الإمام (عليه السلام) أحداً من الانتهازيين الذين لا يخلصون للحق، وإنما يسعون وراء أطماعهم ومصالحهم، ولا يفقهون المصالح العامة، فإنهم عون للسلطة على الباطل لا على العدل.وكان المجتمع الكوفي يضم طائفة كبيرة منهم كالأشعث، وعمرو بن حريث، وشبث بن ربعي، وأمثالهم من الذين ضربت مصالحهم في عهد الإمام (عليه السلام).فاتصلوا بحكومة

دمشق، وقاموا بدور العمالة لها، فراحوا يعقدون المؤامرات لإفساد جيش الإمام (عليه السلام) وشعبه، مستهدفين من ذلك الإطاحة بحكومته.

كتاب نهج البلاغة الأثر الخالد

إنّ من أبرز سمات الفكر المتحضّر شموليته، بحيث لا يضيق ذرعاً بجانب ما وإن أبدع في سائر الجوانب الحياتية الأخرى، ومرونته بإمكان الاستفادة منه في علاج ما يستجد من مشاكل الحياة المعاصرة، وانسجامه مع طموحات الإنسان وتلبية حاجاته في كلّ عصر وجيل. وسلامة مبادئه من العصبية والتطرف على حساب جنس أو لون، مع قوّته في ذاته بسلامة حجته، ومتانة دليله، ووضوح منطقه، ومن الواضح ان فكراً عالمياً بهذه المواصفات لا يمكن أن يكون من نتاج عقلية بشرية، وإن بلغت من السموّ والارتقاء إلى أقصى ما يمكن أن تبلغه العقول من درجات، كما لا يمكن العثور عليه حتى في نطاق الأديان السماوية التي جاءت لقوم دون آخرين لتعالج مشاكل أمة معينة في مرحلة من مراحل عتوّها وجبروتها، ولاشكّ أنّ الدين الوحيد الذي لم يحصر خطابه بأمة معينة، وإنما خاطب الناس كافة هو الإسلام الذي جاء متمّماً لدعوة الأنبياء جميعاً، وبكماله وتمامه انقطع وحي السماء، وهذا يعني تمامية فكره وانسجامه مع الحياة في كلّ زمان ومكان، إذ لا يعقل أن يرتضيه الله ديناً لجميع العباد ويتركه ناقصاً ليتمّمه البشر ! وقد نبّه القرآن الكريم على هذه الحقيقة بآيات كثيرة، كما طفحت بها السنّة النبوية، وفاضت على جنبات مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ونهج البلاغة كتاب تضمن ما اختاره الشريف الرضي(رحمه الله) (٣٥٩هـ - ٤٠٤هـ) من كلام امير المؤمنين (عليه السلام) وهو غني عن التعريف في اخلاقه وسيرته وشجاعته وبلاغته، ولا تتأتى سواه باستثناء الرسول الكريم (صلى الله عليه وعلى اله وسلم).

إما بلاغته وفصاحته فلسنا بقادرين ان نقول فيه أكثر مما قاله معاوية: (والله ما سن الفصاحة لقريش غيره). فالذي يحفظ كلام علي (عليه السلام) فقد احتفظ باثمن الكلام وابلغه وأفصحه، لهذا وجدنا الناس تحفظه وترويه منذ القدم، فقد قال المسعودي: والذي حفظه الناس عنه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك قولا وعملا).

ولهذا صارت كلمات أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أمثله ومعاني للشعراء والكتاب على مر الزمن يستلهمونها ويضمونها أدبهم وشعرهم. ويقول ابن نباته: (حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق الا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب).

وقد ورد إن المصادر التي وجدت فيها خطب الإمام علي (عليه السلام) عند قيام الشريف الرضي بجمعها فضلا عن المحفوظ بلغت مائة واثني عشر كتابا ينتمي زمن تأليفها إلى ما قبل عصر الشريف الرضي.

اذا لا نستطيع ان نقول في نهج البلاغة اكثر مما قال فيه الدكتور زكي مبارك(٧): ومهما تكن حال (نهج البلاغة) فهو وثيقة ادبية وتاريخية وسياسية قليلة الامثال، وهو ثروة ادبية ولغوية تؤرخ اللغة في ذلك العهد او تؤرخ ما فهم الناس انها كانت عليه في ذلك العهد).

وانطلاقا من قيمة الكتاب وأهميته فقد حظي باهتمام العلماء من القدامى والمحدثين، فمن الشريف الرضي وابن ابي الحديد والجاحظ الى عباس محمود العقاد وطه حسين وجورج جرادق ومحمد جواد مغنية وعبد الفتاح مقصود.. امتد شوط من الفهم العميق للنص، وفاصلة مسكونة بالوعي، تتمازج في ذلك عناصر قراءة النص والتجربة والواقع والمستقبل فكثرت شروحه ودراساته وتداولها الناس في كل أقطار العرب والمسلمين، وانتشر أخيرا فتوسعت رقعة وجوده خارج العرب.

فكانت شروح هذا الكتاب كما يقول هبة الدين الشهرستاني: (وشروح هذا الكتاب تنوف على الخمسين، ونسخها منتشرة في الممالك الإسلامية مطبوعة ومحفظة).

ولازال إلى اليوم كتاب نهج البلاغة، ذلك الكتاب المعرفي القيم الذي شغف به الباحثون والعلماء والأدباء، مادة إبداعية للإشعاع والإضاءة وانشعاب الرؤى وتكاثر مبانيها... نمر عليه كل يوم وكأننا معصوبو الأعين إمام الرؤية والرؤيا اللتين تخبئهما سطور نصوصه الذهبية.

## أهمية عهد الإمام علي (عليه السلام) إلى مالك الاشتر(رضي الله عنه)

إن عهد الإمام علي (عليه السلام) الموجه إلى مالك الاشتر حين ولاه على مصر وإعمالها(٣)، يكتسب أهمية من خلال تحشيد الإمام (عليه السلام) للرؤى والأفكار وعلاجات الواقع فيه، الواقع حينما يكون بؤرة للصراع تتمركز حولها سياسات ومصالح وتواريخ وأحداث...
فالتولية حصلت حينما اضطربت سياسة مصر في عهد أميرها محمد بن أبي بكر، والعهد جاء ليؤسس خطابا ليس معاصراً ومعانقا لحاضره فحسب، بل هو خطة منزوعة الخصوصيات، مطلقة الأفكار، صالحة الانطباق والتطبيق على أية مرحلة مستقبلية يواجهها أصحاب الرؤى المبدئية في خضم تجاذبات الواقع السياسية والاجتماعية والفكرية.
وقراءة هذا العهد بشكل تفصيلي يحتاج الى دراسة مستقلة، فهو (أطول عهد كتبه عليه السلام واجمعه للمحاسن) كما نصّ على ذلك ابن ابي الحديد في شرحه (لنهج البلاغة)، لكننا بصدد ربطه بموضوعة بحثنا حول العدالة الاجتماعية والسياسية وما يرتبط بهما من أمور تهم المجتمع الإسلامي في كل وقت.
وكذلك بلورة الرؤية الإسلامية تجاه موضوع الحقوق المدنية في جانبها الحكومي والإداري والسياسي، وبنائية نظرها تجاه موضوع نظام الحكم العادل...
المبحث الأول: مؤهلات الإمام علي (عليه السلام) للخلافة:
اهتمَّ الرسول (صلى الله عليه وآله) اهتماما بالغاً بتكييف حالة المسلمين، وتقرير مصيرهم، واستمرار حياتهم في طريقها إلى التطور في المجالات الاجتماعية والسياسية.
ورسم لها الطريق على أساس من المنهج التجريبي الذي لا يخضع بأي حال لعوامل العاطفة أو المؤثرات الخارجية.
فَعَيَّن (صلى الله عليه وآله) لها الإمام علي (عليه السلام) لقيادتها الروحية، وذلك لِمَا يَتَمَتَّعُ به (عليه السلام) من القابليَّات الفَذَّة، والتي هي بإجماع المسلمين لم تتوفر في غيره (عليه السلام).
ولعل من أهمّها ما يلي:
**أولها: الإحاطة بالقضاء:**
فقد كان (عليه السلام) المرجع الأعلى للعالم الإسلامي في ذلك. وقد اشتهرت مقالة عُمَر في الإمام علي (عليه السلام): (لولا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَر).
ولم ينازعه أحد من الصحابة في هذه الموهبة، فقد أجمعوا على أنه (عليه السلام) أعلم الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبصرهم بأمور الدين وشؤون الشريعة، وأوفرهم دراية في الشؤون السياسية والإدارية.
وعهده (عليه السلام) لمالك الأشتر من أوثق الأدلة على هذا القول، فقد حفل هذا العهد بما لم يحفل به أي دستور سياسي في الإسلام وغيره.
فقد عنى بواجبات الدولة تجاه المواطنين، ومسؤولياتها بتوفير العدل السياسي والاجتماعي لهم.
كما حدّد (عليه السلام) صلاحيات الحُكَّام ومسؤولياتهم، ونصَّ على الشروط التي يجب أن تتوفر في الموظف في جهاز الحكم من الكفاءة، والدراية التامة بشؤون العمل الذي يعهد إليه، وأن يتحلّى بالخُلق والإيمان، والحريجة في الدين، وإلى غير ذلك من البنود المشرقة التي حفل بها هذا العهد، والتي لا غنى للأمة حكومة وشعباً عنها.
وكما أنه (عليه السلام) كان أعلم المسلمين بهذه الأمور فقد كان من أعلمهم بسائر العلوم الأخرى، كعلم الكلام والفلسفة، وعلم الحساب وغيرها.
ومع هذه الثروات العلمية الهائلة التي يَتَمَتَّع بها كيف لا ينتخبه الرسول (صلى الله عليه وآله)، أو يرشّحه لمنصب الخلافة التي هي المحور الذي تدور عليه سيادة الأمة وأمْنها.

فإن الطاقات العلمية الضخمة التي يملكها الإمام تقتضى بحكم المنطق الإسلامي أن يكون هو المرشح للقيادة العامة دون غيره.
فإن الله تعالى يقول: (هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ)[1].

**ثانيها: الشجاعة:**

إن الإمام علي (عليه السلام) كان من أشجع الناس وأثبتِهم قلباً، وقد استوعبت شجاعته النادرة جميع لغات الأرض، وهو القائل (عليه السلام): (لَو تَظَافَرَتْ العَرَبُ عَلى قِتَالِي لَمَا وَلَّيتُ عَنْهَا).
وكان ابوه ابو طالب يجمع له اولاده واولاد اخوته ويامرهم بمصارعته فكان الامام يصارع الكبير منهم والصغير، وقد ورد عن رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) انه قال: لو انجب عمي ابو طالب ذكوراً لكانوا كلهم شجعانا.
وقد قام هذا الدين بسيفه (عليه السلام)، وبُنِيَ على جهاده وجهوده، وهو صاحب المواقف المشهورة يوم بَدر وحُنَين والأحزاب.
فقد حصد (عليه السلام) رؤوس المشركين، وَأَبَادَ ضروسهم، وأشاع فيهم القتل، فلم تنفتح ثغرة على الإسلام إلا تَصَدَّى إلى إسكاتها.
فَقَدَّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أميراً في جميع المواقف والمشاهد، وأسند إليه قيادة جيوشه العامة.
فإنه (عليه السلام) ما وَلجَ حرباً إلا فتح الله على يَدِه، فهو الذي قَهَر اليهود، وفتح حصون خَيْبَر، وَكَسَر شوكتهم، وأخمد نارهم.
والشجاعة من العناصر الأساسية التي تتوقف عليها القيادة العامة، فان الأمة أذا منيت بالأزمات والنكسات، وكان زعيمها ضعيف الإرادة، خائر القوى جبان القلب، فإنها تصاب حتما بالكوارث والخطوب، وتلاحقها الضربات والنكبات.
ومع توفر هذه الصفة بأسمى معانيها في الإمام علي (عليه السلام) كيف لا يرشّحه النبي (صلى الله عليه وآله) للخلافة الإسلامية !.
فإنه (عليه السلام) بحكم شجاعته الفَذَّة التي تصحبها جميع الصفات الفاضلة، والمثل الكريمة، كان مُتَعَيَّناً لقيادة الأمة وإدارة شؤونها، حتى لو لم يكن هناك نَصٌّ من النبي (صلى الله عليه وآله) عليه.

**ثالثها: نُكرَان الذات:**

وأهم صفة لا بُدَّ من توفرها عند من يتصدى زعامة الأمة هي نكران الذات، وإيثار مصلحة الأمة على كل شيء، وعدم الاستئثار بالفيء وغيره من أموال المسلمين.
وكانت هذه الظاهرة من أبرز ما عُرف به الإمام (عليه السلام) أيام حكومته، فلم يعرف المسلمون ولا غيرهم حاكماً تَنَكَّر لجميع مصالحه الخاصة كالإمام (عليه السلام)، فلم يَدَّخِر لنفسه ولا لأهل بيته (عليهم السلام) شيئاً من أموال الدولة، وتَحرَّجَ فيها تَحَرُّجاً شديداً.
وقد أجهد نفسه (عليه السلام) على أن يسير بين المسلمين بسيرة قُوَامُها الحقُّ المَحِض والعدل الخالص.

**رابعا: العدالة:**

وهي من أبرز الصفات الماثلة في شخصية الإمام (عليه السلام)، فقد أترعت نفسه الشريفة بتقوى الله، والتجنب عن معاصيه، فلم يؤثر أي شيء على طاعة الله، وقد تَحرَّج أشدَّ التَحَرُّج عن كل ما لا يُقرُّه الدين، وتَأبَاهُ شريعة الله، وهو القائل:
(وَاللهِ لو أُعطِيتُ الأَقَالِيمَ السَّبع بما تَحت أفلاكِهَا عَلى أنْ أعصِي اللهَ فِي جَلْبِ شَعِيرَة أسلُبُها مِن فَمِ جَرَادَةٍ مَا فَعَلتُ).

---

١ . الزمر: ٩ .

وكان من مظاهر عدالته النادرة أنه امتنع من إجابة عبد الرحمن بن عوف حينما ألحَّ عليه أن يُقلِّده الخلافة شريطة الالتزام بسياسة الشيخين - أبي بكر وعُمَر - فأبى (عليه السلام) إلا أن يسير على وفق سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فحسب.
ولو كان (عليه السلام) من طلاب الدنيا، وعشّاق السلطان لأجابه إلى ذلك، ثم يسير على وفق ما يراه، ولكنّه لا يلتزم بشيء لا يُقِرُّه، فلم يسلك أي طريق فيه التواء أو انحراف عن مُثُل الإسلام وهَدْيِهِ.
فقد توفرت العدالة بأرحب مفاهيمها في شخصية الإمام (عليه السلام)، وهي من العناصر الرئيسية التي يجب أن يَتَحَلَّى بها من يَتَقَلَّد زمام الحكم، ويَلي أمور المسلمين.
قد لازمت شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) السامية جوهرةُ العدالة الثمينة، واقترن اسمه المقدس بالعدالة، فقد كان عادلاً يأنس بالعدالة ويهتم بها.
إن كل مجتمع أو جماعة أو فرد مناد بالعدالة، ويأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط والعدل، يضع عدل علي (عليه السلام) نصب عينه، ويتخذ أسلوبه في تطبيق العدالة كقدوة في برنامجه الذي يسعى إلى تطبيقه.
فحقاً لم يعرف تاريخ الإنسانية شخصاً كعلي (عليه السلام) خلد اسمه إلى الأبد، وارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر، فقد كان عاشقاً للعدالة، مولعاً بها إلى غايتها القصوى.
إن الإمام علي (عليه السلام) مصداقٌ بارز لآية: (**كُونُوا قوَّامِينَ بالقِسطِ**)[1].

نعم، لقد كانت هذه العدالة ضالته، وكان كالظامىء الذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه، ساعياً إلى معين العدالة العذب.
لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يرضى بالكف عن تطبيق العدالة، والتراجع عنها مهما كلف الثمن، ولم يرض أن يتخطى العدالة خطوة، حتى من أجل تثبيت أركان حكومته الفتية، وأبى أن يساوم أو يتبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن.
كما أنه لم يرض أن يضحي بالعدالة ويقع تحت تأثير الرحمة والتحرق والشفقة، فيعرض بذلك هذا الركن المقدس للتزلزل والانهيار.
فإن عدالته (عليه السلام) كانت ذكراً يلهج به لسان الخاص والعام، والعدو والصديق، حتى كانت كثرة عدله هي السبب في قتله (عليه السلام).
ونحن إذا أردنا التعرض لنماذج لعدالته (عليه السلام) لاحتجنا إلى مجلدات طوال، ولكن نقول:
إن العدالة كانت نصب عينه، وملأت وجوده وكيانه، فقد كان (عليه السلام) يرى أنه: (في العدل صلاح البرية).
وقد كان (عليه السلام) يسد جوعته بكسرة خبز يابسة، ويأتدم الملح ليكون مستوى معيشته كأضعف الناس، ويقول: (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره).
فإن مثل هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير علي (عليه السلام)، فهو نتاج تربية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فإن عدالة علي (عليه السلام) نشأت من العدل الإلهي وسعى لتطبيقها.
ولذا أصبحت عدالته (عليه السلام) نموذجاً واضحاً لكل القادة وطلاب العدالة على مرِّ القرون، ومصداقاً مشرِّفاً للإنسان المسلم المتكامل الذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات.

## المبحث الثاني: الإمام علي (عليه السلام) والحقوق الاجتماعية

تقوم فلسفة الإمام علي (عليه السلام) الاجتماعية على الإيمان بأن الحقوق المفروضة في أموال الأغنياء لصالح الفقراء كافيةٌ لِرَفع الحاجة في المجتمع.

---

١ . سورة النساء: الآية ١٣٥.

فهو (عليه السلام) يقول: (إنَّ الله سبحانهُ فَرضَ في أموالِ الأغنياءِ أقواتُ الفقراء، فما جَاعَ فقيرٌ إلا بما مَتَّع به غَني، أو بما مَنِعَ منه غَني، واللهُ تَعالى سَائِلُهُم عن ذلك).
ومن هنا فإنه يكفي أن يدفع الأغنياء التزاماتهم الشرعية المفروضة عليهم، حتى يكتفي الفقراء، وليس فقط لِيَتَبَلَّغُوا أو لِيَتَقَوَّتُوا، وهذا يفهم بشكل واضح من وصاياه (عليه السلام) لِعُمَّاله.
فهو يقول لعبد الله بن العباس، عَامِلُهُ على البصرة: (أمَّا بعد، فانظُر ما اجتمع عِندَكَ من غُلاَّتِ المسلمين وَفَيْئِهم، فاقسِمْهُ فيمن قِبَلِكَ حتى تُغنِيَهُم، وابعثْ إلينا بما فَضُلَ نُقسِمُه فيمَن قِبَلَنَا، والسَّلام).
فهذه النظرة تتناقض مع الاشتراكية، التي تلغي الملكية الفردية، فينعدم الأغنياء المكلفون، كما تختلف عن الرأسمالية الليبرالية التي تمنح الحرية الاقتصادية للقوى الجَبَّارة كي تنافس القوى الأقل كفاءة، وتنتهي بسَحق الفِئات الدنيا.
ثم هي لا تتفق تماماً مع التَدَخُّلِيَّة الحديثة، التي تؤمِّن بعض حاجات الفئات المَعُوزَة من المجتمع، لأن الإمام (عليه السلام) يعتبر أن جميع الناس يجب أن توفر لهم حاجاتهم الضرورية، حتى ليأمر بالبحث عن أفراد الطبقة السُّفلى في المجتمع، لا سِيَّما أولئك الذين لا يَمُدُّون أيديهم، ويقنعون بأقل الأشياء، لِيُعَامَلُوا على قَدَم المساواة مع غيرهم من الفقراء.
وحتى يتمكن الوالي من ذلك فإن عليه أن يُكلِّف أهل التواضع بالبحث عن هؤلاء ورفع حوائجهم، وكذلك حوائج الأيتام والعجزة.
فيقول الإمام (عليه السلام) في عهده إلى مالك الأشتر عندما وَلاَّهُ مصر: (ثُمَّ الله الله فِي الطبقة السُّفلى من الذين لا حِيلَة لهم مِنَ المساكين والمحتاجينَ وأهلِ البُؤس والزَّمنَى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومُعترّاً).
فالإسلام خصَّ فئات من الناس بموارد محددة، كالزكاة مثلاً، التي تُوزَّع على الفقراء والمساكين، وفي سبيل عتق الرقاب، وفك دين العاجزين عن الوفاء، وللمسافرين الذين تنقطع بهم السبيل.
ومن جملة من تُوَزَّعُ عليهم ذُكروا في قوله تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[1].

كما أن أخْمَاس الغنائم تُوزَّع أيضاً فيمن تُوزَّع الزكاة عَليهم، فعلى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فقد جاء في قوله تعالى: (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)[2].

**ـ الحالات الاستثنائية:**
تعتبر الدولة الحديثة هي دولة القانون، وتكون الدسَاتير والقوانين الجزائية تضمن الحريات العامة والحقوق الفردية.
وأن هذه الضمانة ليست مطلقة، بل هي تخرق في الحالات الاستثنائية، بحيث تبيح القوانين إقامة الديكتاتورية، أو إعلان حالة الطوارئ، أو حالة الحصار.
فمن جهة يتمتع رئيس الدولة - إذا ما تعرض النظام للخطر - بصلاحيات ديكتاتورية، تسمح له بأن يتخذ جميع الاحتياطات، بما فيها الحلول محل السلطات العامة جميعاً، ومصادرة الحُرِّيَّات العامة، حتى يتمكن من إعادة الأمور إلى مجراها الأساسي، وهذا ما تعترف به مواد من الدستور الفرنسي والأمريكي والألماني.
وهذه الحكومات بموجب الدستُور تستطيع إعلان حالة الطوارئ، أو حالة الحصار، فتسمح لنفسها ضمن مهلة معينة أن تعلق إمكانية التمتع بما تراه من الحقوق والحُرِّيَّات، فتصادر

---

١ . التوبة: ٦٠.
٢ . الأنفال: ٤١.

الأموال والأشخاص، وتمنع التجمعات، وتحدد إقامة الأشخاص الذين تعتبرهم خطرين، وتَحلُّ السُلْطة العسكرية مَحَل السُلْطة المدنية.
كل ذلك إذا كان الخطر داهماً، أما تقدير هذا الأمر فيعود إلى السلطة التنفيذية نفسها، فإذا وافقتها السلطة التشريعية فإنها تستطيع أن تستمر في ممارسة هذه الصلاحيات لفترة طويلة.
وكل هذا في القرن العشرين، بعد كل ما عَانَتْهُ الإنسانية حتى تَوصَّلَتْ إلى إقرار الحقوق والحُرِّيَّات المعروفة.
أما الإمام علي (عليه السلام) فقد اعتبر أن حُرِّيَّات الإنسان وحقوقه لا يمكن المساس بها، لا في زمن الحرب ولا في السلم. وقد علمنا أن فترة حكمه كانت كلها حالة استثنائية تُبَرِّرُ في أنظمة اليوم اللجوء إلى الديكتاتورية، وتسمح بإعلان حالة الطوارئ، ولكنه (عليه السلام) لم يغير أي شيء، ولم يُعطِ نَفسَهُ أية صلاحيات إضافية.
فهو عندما بُويعَ كانت الأحوال مضطربة، وما أن هدأت شيئاً ما حتى أعلن معاوية تمرده في الشام. وفي هذا الجو أبلغه طلحة والزبير بأنهما مغادران المدينة لقضاء العمرة في مكة، وكان ذلك بعدما تقدما إليه بلوائح مطالبهما غير المقبولة، وكان (عليه السلام) يدرك أنهما سيتحركان ضده، ولكنه لم يمنعهما من السفر.
ولو أن الأمر حصل اليوم في أية دولة ديمقراطية في حالة حرب، لَمَنَعَتْهُمَا، أو حَدَّدَتْ إقامتهما.
والخوارج عندما تركوا الكوفة والبصرة، وراحوا يتجمعون فيما الإمام (عليه السلام) يجهز الجيش للمسير إلى الشام للحرب الفاصلة، لم يقاتلهم رغم إلحاح قادته، ورغم توفر إمكانية أن ينقضوا على الكوفة، بعد مغادرة الجيش إلى الشام.
ولكن الإمام (عليه السلام) رفض معتبراً أن ما يسمح له بحربهم غير متوفر، ولم يتعلل بالظروف الاستثنائية.
وهو (عليه السلام) لم يقاتلهم إلا بعد أن أفسدوا في الأرض، وقتلوا النفس التي حَرَّمَ الله، وبعد معركة النهْرَوَان.
وبعد مُعاوَدَة الخوارج لِتَركِ الكوفةِ لم يقاتلهم الإمام (عليه السلام) أيضاً إلا بعد أن أفسدوا في الأرض من جديد.
أما مسألة المصادرة، فقد رأينا أن الإمام (عليه السلام) كان يرفضها بشكل مطلق، فهو كان يأمر قادته بعدم إرغام الناس على العمل، أو استخدام وسائل النقل المتوفرة لديهم - الدواب - إلا برضاهم ومقابل أجر.
كما أنه (عليه السلام) لم يسمح بأي نوع آخر من الاستيلاء، حتى أنه منع جيشه من شرب الماء إلا برضا أصحابه كما رأينا.
فكل هذا يدل على إيمان مطلق بالأوامر والنواهي الإلهية، وتلك كانت معجزة أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فعلاً، وهي تُشكِّل تَحَدِّياً لكل الحضارات، وفي مقدمها الحضارة المعاصرة، التي اعتبرت الإنسان هو القيمة الأساس في الكون، التي تُسَخِّرُ كُلُّ الإمكانات من أجلها، فهل تستطيع هذه الحضارة أن تفكر بالالتزام بما التزم به أمير المؤمنين (عليه السلام) تجاه الإنسان.

## المبحث الثالث: سياسة الإمام علي (عليه السلام) مع وُلاته وعُمّاله

احتاط الإمام (عليه السلام) أشدّ ما يكون الاحتياط في الولاة والعمّال، فلم يستعمل أحداً على قطر من الأقطار الإسلامية أو يعهد إليه بعمل إلا بعد إحراز الثقة بدينه، والكفاءة بقدراته الإدارية.
ولم يستعمل (عليه السلام) أحداً مُحاباة، وإنما استعمل خيار المسلمين، أمثال مالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وسهل بن حنيف، وحبر الأمة عبد الله بن عباس، ونظرائهم من الذين توفّرت فيهم الخبرة التامة في شؤون الحكم والإدارة.
وقد زوّدهم (عليه السلام) برسائل مهمّة عرض فيها لشؤون الحكم وسياسة الدولة، كما حدّد من صلاحياتهم ومسؤولياتهم.

وكان من أروع تلك الوثائق السياسية عهده (عليه السلام) لمالك الأشتر، فقد حفل بتشريع ضخم لإصلاح الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية، وهو أرقى وثيقة سياسية تهدف إلى ارتقاء المجتمع وتحقيق مصالحه.

**١ـ مراقبة الولاة:**

وكان (عليه السلام) يتفقّد شؤون ولاته وعمّاله، ويرسل العيون لتحري أعمالهم، فإن رأى منهم خيانة أو تقصيراً في واجبات أحد منهم عزله، وأنزل به أقصى العقوبات.

وقد تحرّى (عليه السلام) كل بادرة تصدر من ولاته، وقد بلغه أن عامله على البصرة قد دعي إلى وليمة قوم من أهلها، فكتب إليه يلومه على ذلك.

وقد جاء في رسالته (عليه السلام) لابن حنيف: (أما بعد: يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجنان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مَجفو، وغَنيّهم مَدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فَالفُظْهُ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه).

**٢ـ إقصاء الانتهازيّين:**

ولم يقرّب الإمام (عليه السلام) أحداً من الانتهازيين الذين لا يخلصون للحق، وإنما يسعون وراء أطماعهم ومصالحهم، ولا يفقهون المصالح العامة، فإنهم عون للسلطة على الباطل لا على العدل.

وكان المجتمع الكوفي يضم طائفة كبيرة منهم كالأشعث، وعمرو بن حريث، وشبث بن ربعي، وأمثالهم من الذين ضربت مصالحهم في عهد الإمام (عليه السلام).

فاتصلوا بحكومة دمشق، وقاموا بدور العمالة لها، فراحوا يعقدون المؤامرات لإفساد جيش الإمام (عليه السلام) وشعبه، مستهدفين من ذلك الإطاحة بحكومته.

وقد كانوا – فيما يقول المؤرّخون – قادة الجيش الذي اقترف أبشع جريمة في التاريخ، وهي قتل سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام)، فقد أيقنوا أنه إذا اسْتَتَبّ له الأمر فإنه سيدمّر مصالحهم.

فإن سياسته (عليه السلام) إنما هي امتداد لسياسة أبيه (عليه السلام) التي لا ظل فيها للخونة والمجرمين.

**٣ـ إبعاد الطامعين:**

ويرى الإمام (عليه السلام) أن الإمارة وسيلة من وسائل الإصلاح الاجتماعي، ولا يجوز أن تمنح إلا للمتحرّجين في دينهم، والذين لا يخضعون للرغبات والأهواء، ويجب أن تُستغلّ لتحقيق ما ينفع الناس، فلا يجوز أن تمنح مُحاباة.

يقول الإمام (عليه السلام) في رسالته لقاضيه رفاعة بن شدّاد: (واعلم يا رفاعة، أن هذه الإمارة أمانة، فمن جعلها خيانة فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة، ومن استعمل خائناً فإن محمدا (صلى الله عليه وآله) بريء منه في الدنيا والآخرة).

وكان (عليه السلام) إذا شعر من أحد أن له ميل أو هوى في الإمارة فلا يرشحه لها، لأنه يتخذ الحكم وسيلة لتحقيق مآربه وأطماعه.

ولما أعلن طلحة والزبير عن رغبتهما المُلحّة في الولاية امتنع (عليه السلام) عن إجابتهما.

**٤ـ الصراحة والصدق:**

والشيء البارز في سياسة الإمام (عليه السلام) هو التزام الصراحة والصدق في جميع شؤونه السياسية، فلم يوارب، ولم يخادع، وإنما سلك الطريق الواضح الذي لا التِواء فيه، وسار على منهج ابن عمه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومضى على طريقته، وواكب جميع خطواته.

ولو أنه التزم بالأعراف السياسية التي تبيح وسائل الغدر والنفاق في سبيل الوصول إلى الحكم لما آلت الخلافة إلى عثمان.

فقد ألحّ عليه عبد الرحمن بن عوف أن يبايعه شريطة أن يسير على سيرة الشيخين، فامتنع (عليه السلام) من إجابته، وصارحه (عليه السلام) أنه يسيّر الأمة على ضوء كتاب الله الذي

وعاه، وعلى ضوء سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس غيرهما رصيد يعتمد عليه في عالم التشريع، والسياسة في الإسلام.
فيقول (عليه السلام): (لولا أن المكر والخداع في النار لكنتُ أمكر الناس).
وأنكر (عليه السلام) على من قال فيه أنه لا دراية له بالشؤون السياسية، وأن معاوية خبير بها، فقال (عليه السلام): (والله ما معاوية بأدهَى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس).
وتحدّث (عليه السلام) عن الوسائل المنكرة التي يعتمد عليها بعض الناس في سبيل الوصول إلى أهدافهم، من الغدر وما شَاكَلَهُ من المكر والنفاق، وأنكر على الذين يبرّرون هذه الوسائل ويصفونها بحسن الحيلة.
على هذا الخلق بنى الإمام (عليه السلام) سياسته التي أضاءت في دنيا الإسلام، وكان السبب في خلوده (عليه السلام)، واعتِزَاز الإنسانية به في جميع الأجيال والآباد.

## المبحث الرابع: إصلاحات الإمام علي (عليه السلام)

### السياسية والإدارية

استلم الإمام علي (عليه السلام) الخلافة بعد مقتل عثمان بسبعة أيام، ذلك في (٢٥) ذي الحجة عام (٣٥ هـ)، فوجد الأوضاع متردّية بشكل عام، وعلى أثر ذلك وضع خطّة إصلاحية شاملة، ركّز فيها على شؤون الإدارة، والاقتصاد، والحكم، وفي السطور القادمة سنتناول شواهد على ذلك البرنامج الإصلاحي بشكل مختصر:
الأول: تطهير جهاز الدولة: أول عمل قام به الإمام (عليه السلام) فور توليته لمنصب رئاسة الدولة هو عَزل وُلاة عثمان الذين سَخّروا جهاز الحكم لمصالحهم الخاصة، وأثروا ثراءً فاحشاً مما اختلسوه من بيوت المال، وعزل (عليه السلام) معاوية بن أبي سفيان أيضاً.
ويقول المؤرخون: إنه أشار عليه جماعة من المخلصين بإبقائه في منصبه ريثما تستقر الأوضاع السياسية ثم يعزله فأبى الإمام (عليه السلام)، وأعلن أن ذلك من المداهنة في دينه، وهو مما لا يُقرّه ضميره الحي، الذي لا يسلك أي طريق يبعده عن الحق ولو أبقاه ساعة لكان ذلك تزكية له، وإقرارا بعدالته، وصلاحيته للحكم.
الثاني: تأميم الأموال المختلسة: أصدر الإمام (عليه السلام) قراره الحاسم بتأميم الأموال المختلسة التي نهبها الحكم المُباد.
فبادرت السلطة التنفيذية بوضع اليد على القطائع التي أقطعها عثمان لذوي قُرباه، والأموال التي استأثر بها عثمان، وقد صودِرت أمواله حتى سيفه ودرعه، وأضافها الإمام (عليه السلام) إلى بيت المال.
وقد فزع بنو أمية كأشد ما يكون الفزع، فهم يرون الإمام (عليه السلام) هو الذي قام بالحركة الانقلابية التي أطاحت بحكومة عثمان، وهم يطالبون الهاشميين برد سيف عثمان ودرعه وسائر ممتلكاته التي صادرتها حكومة الإمام (عليه السلام).
وفزعت القبائل القرشية وأصابها الذهول، فقد أيقنت أن الإمام سيصادر الأموال التي منحها لهم عثمان بغير حق. فقد كتب عمرو بن العاص رسالة إلى معاوية جاء فيها: ما كنتُ صانعاً فاصنع إذا قشّرك ابن أبي طالب من كل مال تملكه كما تقشر عن العصا لحاها. لقد راح الحسد ينهش قلوب القرشيين، والأحقاد تنخر ضمائرهم، فاندفعوا إلى إعلان العصيان والتمرد على حكومة الإمام (عليه السلام).
الثالث: اِتباع الإمام (عليه السلام): وامتُحِن الإمام (عليه السلام) امتحاناً عسيراً من الأُسَر القرشية، وعانى منها أشدّ ألوان المِحن والخُطوب في جميع أدوار حياته.
فيقول (عليه السلام): (لقد أخافَتني قُريش صغيراً، وأنصبتني كبيراً، حتى قبض الله رسوله (صلى الله عليه وآله)، فكانت الطامّة الكبرى، والله المُستعان على ما تَصِفون).

ولم يعرهم الإمام (عليه السلام) اهتماماً، وانطلق يؤسس معالم سياسته العادلة، ويحقق للأمة ما تصبوا إليه من العدالة الاجتماعية.
وقد أجمع رأيه (عليه السلام) على أن يقابل قريش بالمِثل، ويسدد لهم الضربات القاصمة إن خلعوا الطاعة، وأظهروا البغي.
فيقول (عليه السلام): (مَالي وَلِقُريش، لقد قتلتُهم كافرين، ولأقلتنهم مَفتونين، والله لأبقرنَّ الباطل حتى يظهر الحق من خَاصِرَتِه، فَقُلْ لقريش فَلتضجّ ضَجيجَها).
الرابع: سياسة الإمام (عليه السلام):
فيما يلي عرضاً موجزاً للسياسة الإصلاحية التي اتبعها الإمام (عليه السلام) لإدارة الدولة الإسلامية وهي كما يلي:
أولاً: السياسة المالية: كانت السياسة المالية التي انتهجها الإمام (عليه السلام) امتداد لسياسة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي عنى بتطوير الحياة الاقتصادية، وإنعاش الحياة العامة في جميع أنحاء البلاد، بحيث لا يبقى فقير أو بائس أو محتاج.
وذلك بتوزيع ثروات الأمة توزيعاً عادلاً على الجميع.
**ومن مظاهر هذه السياسة هي:**
١ - المساواة في التوزيع والعطاء، فليس لأحد على أحد فضل أو امتياز، وإنما الجميع على حدٍّ سواء.
فلا فضل للمهاجرين على الأنصار، ولا لأسرة النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه على غيرهم، ولا للعربي على غيره.
وقد أثارت هذه العدالة في التوزيع غضب الرأسماليين من القرشيين وغيرهم، فأعلنوا سخطهم على الإمام (عليه السلام).
وقد خفت إليه جموع من أصحابه تطالبه بالعدول عن سياسته فأجابهم الإمام (عليه السلام):
(لو كان المال لي لَسوّيتُ بينهم فكيف، وإنما المال مال الله، ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا، ويضعه في الآخرة، ويُكرّمه في الناس، ويهينه عند الله).
فكان الإمام (عليه السلام) يهدف في سياسته المالية إلى إيجاد مجتمع لا تطغى فيه الرأسمالية، ولا تحدث فيه الأزمات الاقتصادية، ولا يواجه المجتمع أي حِرمان أو ضيق في حياته المعاشية.
وقد أدت هذه السياسة المشرقة المستمدة من واقع الإسلام وهَدْيِهِ إلى إجماع القوى الباغية على الإسلام أن تعمل جاهدة على إشاعة الفوضى والاضطراب في البلاد، مستهدفة بذلك الإطاحة بحكومة الإمام (عليه السلام).
٢ - الإنفاق على تطوير الحياة الاقتصادية، وإنشاء المشاريع الزراعية، والعمل على زيادة الإنتاج الزراعي الذي كان من أصول الاقتصاد العام في تلك العصور.
وقد أكد الإمام (عليه السلام) في عهده لمالك الأشتر على رعاية إصلاح الأرض قبل أخذ الخراج منها.
فيقول (عليه السلام): (وليكُن نظرك في عِمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً).
لقد كان أهم ما يعني به الإمام (عليه السلام) لزوم الإنفاق على تطوير الاقتصاد العام، حتى لا يبقى أي شبح للفقر والحرمان في البلاد.
٣ - عدم الاستئثار بأي شيء من أموال الدولة، فقد تحرج الإمام (عليه السلام) فيها كأشد ما يكون التحرّج.
وقد أثبتت المصادر الإسلامية بوادر كثيرة من احتياط البالغ فيها، فقد وفد عليه أخوه عقيل طالباً منه أن يمنحه الصلة ويُرَقّهُ عليه حياته المعاشية، فأخبره الإمام (عليه السلام) أن ما في بيت المال للمسلمين، وليس له أن يأخذ منه قليلاً ولا كثيراً، وإذا منحه شيء فإنه يكون مختلساً.

وعلى أي حال فإن السياسة الاقتصادية التي تَبنّاها الإمام (عليه السلام) قد ثقلت على القوى المنحرفة عن الإسلام، فانصرفوا عن الإمام وأهل بيته (عليهم السلام)، والتحقوا بالمعسكر الأموي الذي يضمن لهم الاستغلال، والنهب، وسلب قوت الشعب، والتلاعب باقتصاد البلاد.
ثانياً: السياسة الداخلية: عنى الإمام (عليه السلام) بإزالة جميع أسباب التخلف والانحطاط، وتحقيق حياة كريمة يجد فيها الإنسان جميع متطلبات حياته، من الأمن والرخاء والاستقرار، ونشير فيما يلي إلى بعض مظاهرها:
١ - المساواة: وتجسّدت فيما يأتي:
أ - المساواة في الحقوق والواجبات.
ب - المساواة في العطاء.
ج - المساواة أمام القانون.
وقد ألزم الإمام (عليه السلام) عُمّاله وَوُلاته بتطبيق المساواة بين الناس على اختلاف قوميّاتهم وأديانهم.
فيقول (عليه السلام) في بعض رسائله إلى عماله: (واخفضْ للرعيّة جناحك، وابسط لهم وجهك، وألِنْ لهم جنابك، وآسِ بينهم في اللحظة والنظرة، والإشارة والتحية، حتى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك).
٢ - الحرية:
أما الحرية عند الإمام (عليه السلام) فهي من الحقوق الذاتية لكل إنسان، ويجب أن تتوفر للجميع، شريطة أن لا تستغلّ في الاعتداء والإضرار بالناس، وكان من أبرز معالمها هي الحُرّية السياسية.
ونعني بها أن تُتَاح للناس الحرية التامة في اعتناق أي مذهب سياسي دون أن تفرض عليهم السلطة رأيا معاكساً لما يذهبون إليه.
وقد منح الإمام (عليه السلام) هذه الحرية بأرحب مفاهيمها للناس، وقد منحها لأعدائه وخصومه الذين تخلفوا عن بيعته.
فلم يجبرهم الإمام (عليه السلام)، ولم يتخذ معهم أي إجراء حاسم كما اتخذه أبو بكر ضده حينما تَخلّف عن بيعته.
فكان الإمام (عليه السلام) يرى أن الناس أحرار، ويجب على الدولة أن توفر لهم حريتهم ما دام لم يخلوا بالأمن، ولم يعلنوا التمرد والخروج على الحكم القائم.
وقد منح (عليه السلام) الحرية للخوارج، ولم يحرمهم عطاءهم مع العلم أنهم كانوا يشكلون أقوى حزب معارض لحكومته.
فلما سَعوا في الأرض فساداً، وأذاعوا الذعر والخوف بين الناس انبرى إلى قتالهم حفظاً على النظام العام، وحفظاً على سلامة الشعب.
ثالثاً: الدعوة إلى وحدة الأمة:
وجهد الإمام كأكثر ما يكون الجهد والعناء على العمل على توحيد صفوف الأمة ونشر الألفة والمحبة بين أبنائها.
واعتبر (عليه السلام) الألفة الإسلامية من نعم الله الكبرى على هذه الأمة.
فيقول (عليه السلام): (إنّ الله سبحانه قد امتَنّ على جماعة هذه الأمة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة التي ينتقلون في ظلها، ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة، لأنها أرجح من كل ثمن، وأجلُّ من كل خطر).
فقد عنى الإمام (عليه السلام) بوحدة الأمة، وتبنّي جميع الأسباب التي تؤدي إلى تماسكها واجتماع كلمتها، وقد حافظ على هذه الوحدة في جميع أدوار حياته.
فقد ترك (عليه السلام) حَقّه وسَالم الخلفاء صِيانة للأمة من الفرقة والاختلاف.
رابعاً: تربية الأمة:

لم يعهد عن أحد من الخلفاء أنه عنى بالناحية التربوية أو بشؤون التعليم كالإمام (عليه السلام)، وإنما عنوا بالشؤون العسكرية، وعمليات الحروب، وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية، وبسط نفوذها على أنحاء العالم.
وقد أولى أمير المؤمنين (عليه السلام) المزيد من اهتمامه بهذه الناحية، فاتخذ جامع الكوفة معهداً يلقي فيه محاضراته الدينية والتوجيهية.
وكان (عليه السلام) يشغل أكثر أوقاته بالدعوة إلى الله ، وإظهار فلسفة التوحيد، وبَثّ الآداب والأخلاق الإسلامية مستهدفا من ذلك نشر الوعي الديني، وخلق جيل يؤمن بالله إيمانا عقائدياً لا تقليدياً.
فقد كان الإمام (عليه السلام) المؤسس الأعلى للعلوم والمعارف في دنيا الإسلام، وقد بذل جميع جهوده على إشاعة العلم ونشر الآداب والثقافة بين المسلمين، وكان دوماً يذيع بين أصحابه قوله: (سَلوني قَبلَ أن تفقدوني، سَلوني عن طُرق السَّماء، فإني أبصَرُ بها من طُرُق الأرض).

## الخلاصة:

لقد إستعان الإمام (عليه السلام) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفة الحياة الاسلامية، يعد أفراده نموذجا في مستواهم الروحي والفكري والالتزامي:كعثمان بن حنيف، و محمد بن أبي بكر، و مالك الأشتر وسواهم.
وبهذا الاجراء الذي راعى فيه المبادئ الاسلامية ومصلحة الامة، قضى على مبدأ القرابة والعشيرة الذي كان سائدا أيام الخليفة عثمان والذي أدى آخر المطاف إلى إثارة النقمة عليه وقتله.
أما منهاج أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي سلكه في أهل بيته و قرابته فلم يكن بعيدا عن منهاجه مع نفسه إلا من حيث الدرجة، فقد كان مبنيا على أساس مساواتهم بالامة في الحقوق والواجبات، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة الاسلامية أكثر بكثير مما ينالون من حقوق.
فقد كان الإمام (عليه السلام) حريصا على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم، بعطاء، ولا يميزهم بحق، وسلك معهم اسلوب التدريب والإعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل كان يبدو شديدا مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه لمتعلقيه وأهل قرابته.
وقد لازمت شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) السامية جوهرةُ العدالة الثمينة، واقترن اسمه المقدس بالعدالة، فقد كان عادلاً يأنس بالعدالة ويهتم بها.
إن كل مجتمع أو جماعة أو فرد مناد بالعدالة، ويأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط والعدل، يضع عدل علي (عليه السلام) نصب عينه، ويتخذ أسلوبه في تطبيق العدالة كقدوة في برنامجه الذي يسعى إلى تطبيقه. فحقاً لم يعرف تاريخ الإنسانية شخصاً كعلي (عليه السلام) خلد اسمه إلى الأبد، وارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر، فقد كان عاشقاً للعدالة، مولعاً بها إلى غايتها القصوى.
إن الإمام علي (عليه السلام) مصداقٌ بارز لآية: (كُونُوا قَوَّامِينَ بِالقِسطِ). نعم، لقد كانت هذه العدالة ضالته، وكان كالظامىء الذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه، ساعياً إلى معين العدالة العذب. لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) يرضى بالكف عن تطبيق العدالة، والتراجع عنها مهما كلف الثمن، ولم يرض أن يتخطى العدالة خطوة، حتى من أجل تثبيت أركان حكومته الفتية، وأبى أن يساوم أو يتبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن.
كما أنه لم يرض أن يضحي بالعدالة ويقع تحت تأثير الرحمة والتحرق والشفقة، فيعرض بذلك هذا الركن المقدس للتزلزل والانهيار.
فإن عدالته (عليه السلام) كانت ذكراً يلهج به لسان الخاص والعام، والعدو والصديق، حتى كانت كثرة عدله هي السبب في قتله (عليه السلام).

ونحن إذا أردنا التعرض لنماذج لعدالته (عليه السلام) لاحتجنا إلى مجلدات طوال، ولكن نقول: إن العدالة كانت نصب عينه، وملأت وجوده وكيانه، فقد كان (عليه السلام) يرى أنه: (في العدل صلاح البرية).

وقد كان (عليه السلام) يسد جوعته بكسرة خبز يابسة، ويأتدم الملح ليكون مستوى معيشته كأضعف الناس، ويقول: (إن الله فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره).

فإن مثل هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير علي (عليه السلام)، فهو نتاج تربية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، فإن عدالة علي (عليه السلام) نشأت من العدل الإلهي وسعى لتطبيقها.

ولذا أصبحت عدالته (عليه السلام) نموذجاً واضحاً لكل القادة وطلاب العدالة على مرِّ القرون، ومصداقاً مشرِّفاً للإنسان المسلم المتكامل الذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات.

الملامح التربوية في نهج البلاغة.

# وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الإمام الحسن (ع) إنموذجاً

**الشيخ: عماد الكاظمي (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية – لندن)**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد المصطفى وعلى آله الطيبين الطاهرين ..

يُعَدُّ كتابُ «نهج البلاغة» من أمهاتِ مصادرِ التراثِ الإسلاميِّ الخالد، حيث تضمَّنَ كلامَ سيدِ البلغاءِ والمتكلمينَ أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ (عليه السلام)، والذي هو صِنْوُ النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وربيبُهُ والمتَتَبِّعُ أثَرَهُ وآثارَهُ، حتى غَدَاهُ من علمهِ ألفَ بابٍ يُفتح له من كُلِّ بابٍ ألفُ باب، ومَنْ تتبَّعَ هذا السفرَ الخالدَ يعلمُ حقيقة تلكَ المدرسةِ المحمديَّةِ العلويَّةِ التي خَلَّدَتْ مدى تلكَ السنينَ وستبقى إلى آخرِ الدهر، لذا نرى أنَّ كلماتِ كبارِ المفكرينَ قاصرةٌ عن وَصْفِ هذا «النهجِ العلوي»، حيث يقول المستر (كربنكو) في خلالِ حديثِهِ عن إعجازِ القرآن: (إنَّ للقرآنِ أخاً صَغيراً يُسمى نهجُ البلاغةِ فهلْ في إمكانِ أحدٍ أنْ يأتي بمثلِ هذا الأخِ الصغيرِ حتى يسوغَ لنا البحثُ عن الأخِ الكبير)[1] ، ويقولُ الشيخ (ناصيف اليازجي) في وصيتِهِ لولدِهِ:

(إذا شِئْتَ أنْ تفوقَ أقرانَكَ في العلمِ والأدَبِ وصناعَةِ الإنشاءِ فعليكَ بحفظِ القرآنِ ونهجِ البلاغة)[2]، نعم لقد أصبحَ «نهج البلاغة» يُقْرَنُ بالقرآنِ وهذا جزءٌ من حقيقتِهِ وَسِرٌّ خلودِهِ لمَنْ يتطلعُ ألفاظَهُ ومعانيهِ الراقية، حيثُ فيهِ من الكلماتِ التي يَراها الباحثونَ منهجاً إنسانياً أو منهجاً ثقافياً أو قانوناً مدنياً أو تربوياً وهكذا...، ففي جميعِ مفرداتِهِ نرى الملامِحَ التربوية التي يريدُ أنْ يؤكِّدَ عليها من خلالِ خطبِهِ ووصاياهُ وحِكَمِهِ بل حتى في حروبِهِ وقتالِه (عليه السلام).

وسوفَ نحاولُ في بحثِنا –المتواضع- أنْ نسلطَ الضوءَ على دُرَرٍ من كلامِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام) في وصيتِهِ لولدِهِ الإمامِ الحسن (عليه السلام) وما تضمَّنَتْهُ هذهِ الوصيةُ العظيمةُ من الملامِحِ الفريدةِ في التربيةِ على مستوياتٍ عدةٍ سواءٌ على مستوى النفسِ الإنسانيَّةِ في تعامُلِها مع الخالِقِ والمنعِمِ العظيم، أم معَ غيرِهِ تعالى من الخَلْقِ ومحافظتِها على الفطرةِ السليمةِ للإنسانِ والسيرِ به نحوَ التكامُلِ الروحيِّ والخُلُقِيِّ الذي تبتغيهِ الشريعةُ المقدسة.

وإنَّ هذا المؤتمرَ لمبادرَةٌ كريمَةٌ ورائدةٌ يقومُ بها (مركز دراسات الكوفة) في جامعةِ الكوفَةِ في إقامَةِ هذا المؤتمرَ العلميَّ حولَ «نهج البلاغة» حيثُ أنَّ هذا النهجَ العلويَّ يحتاج إلى مؤتمرات ومؤتمرات من أجل استخراج كنوزه للبشرية من خلال البحث والدراسة والمقارنة مع المناهج الفكرية الأخرى، بل يستحقُّ أنْ يُؤسَّسَ له مركزٌ علميٌّ خاصٌّ به.

نتقدم بالشكر والثناء لجامعة الكوفة على هذا النشاط الفكري والثقافي من خلال إقامتها المؤتمرات العلمية المتتالية التي لها أكبر الأثر في النهوض بالواقع العلمي في البلاد، وكذلك الأساتذة الأفاضل في (مركز دراسات الكوفة) الذين يتسابقون مع الزمن من أجل إظهار الصورة الناصعة للتراث الإسلامي العظيم من خلال تلك المؤتمرات العلمية الكبيرة التي تشهدها هذه الجامعة في مدينة علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي كانت وستبقى مركزاً للعلم والعلماء والباحثين .. بارك الله بهم وفيهم ولهم إنه جوادٌ كريم.

## التمهيد

إنَّ تربية الأبناء من المسائل المهمة التي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال تعاليمها وذلك من أجل إيجاد مجتمعٍ إسلاميٍّ متكاملٍ تسوده المودة والمحبة والألفة، ولا يكون ذلك إلا بالجدِّ

---

١ . المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، ص ١٧.
٢ . المصدر نفسه ص ٦.

والاجتهادِ من أجل المحافظة على جميع الروابط التي لها دور في تربية الذات والمجتمع، لذا نرى أنَّ القرآن الكريم بيَّنَ منهجه في التكريم حيث شمل تكريمه العام جميع أفراد البشر ابتداء قال تعالى: (**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**)[1]، وأما تكريمه الخاص فإنه يكون وفقاً لتربيةٍ خاصةٍ يصل إليها الإنسان بعد مجاهدة نفسه والوصول بها إلى درجة التقوى حيث قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)[2] فالتقوى هي مرحلة من مراحل التكريم الخاص لعباده ومرحلة من مراحل التربية نحو الكمال والتكامل الإنساني.

ولكي يصل الإنسان إلى هذه المرحلة هناك عوامل عدة لها أثر في ذلك منها ما يجب على الآباء القيام به تجاه أبنائهم والمحافظة عليهم من كل ما يُبعدهم عن الصراط القويم والتكامل الذاتي لهم، حيث أنها من مسؤوليتهم إضافة لما يولونهم من الحب والعناية والاهتمام، وقد قدَّمَ أمير المؤمنين (عليه السلام) مثالاً راقياً من أمثلة حب الآباء لأبنائهم والتفاني من أجلهم، حيث يبيِّن ذلك بألفاظٍ ملؤها الحب والحنان والعناية، فيجب علينا ونحن في طور التربية أنْ نجمع بين الحب والحنان وبين التربية الصالحة، حيث أنَّ الحب والعاطفة دون الاهتمام بالتربية الصالحة وطرقها قد يؤدي في الأغلب إلى الانحراف، وخصوصاً في أعمار معينة حيث تكون من أخطر مراحل التربية وهذه المرحلة هي التي أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله (قلب الحدث)[3] فمَنْ يتأمل في كلماتِ مقدمةِ هذه الوصية الخالدة يلتمس الأبوة العظيمة التي يجب أنْ تكون في الآباء تجاه أبنائهم، فليست الوصية وكلام المعصومين (عليهم السلام) هو خاص في الأفراد المخاطبين، بل هو درسٌ وعبرةٌ للجميع، فعلى الآباء والمربِّيين أنْ يتأمَّلوا في هذه الوصية التي هي بمثابة دستورٍ تربويٍّ متكاملٍ، حيث يقول (عليه السلام): (مِنَ الوَالِدِ الفَانِ المُقِرِّ لِلزَّمَانِ المُدْبِرِ العُمُرِ المُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ ... وَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي وَكَأَنَّ المَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ).

فهذه الكلمات تظهر جزء من حقيقة منزلة الأبناء عند الآباء، وكذا كيفية الحرص الذي يجب أنْ يكون عند الآباء على أبنائهم، فالإسلام كونه نظاماً تكاملياً شاملاً كان له اهتمام بالغ بالفرد والأسرة وللشريعة في ذلك مواقف كثيرة ابتداء من اختيار الزوجة الصالحة التي تكون وعاءً للمولود، ففي الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إياكم وخضراء الدِّمَنْ ؟ قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأةُ الحسناءُ في منبتِ السوء)[4] وفي حديث: (إياكُمْ وتزوُّج الحمقاء فإنَّ صُحبتها بلاءٌ، وولدها ضياعٌ)[5] ثم بيَّن الإسلام أنَّ للمولود بعد ولادته أيضاً من الحقوق الكثيرة ابتداء من اختيار الاسم له قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (حق الولد على

---

١ . الإسراء: ٧٠.

٢ . الحجرات: ١٣.

٣ . أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لولده بقوله (قلب الحدث) ولكننا نعلم أنَّ هذه الوصية كانت منه لولده عند انصرافه من معركة صفين فيكون عمر الإمام الحسن (عليه السلام) أكثر من ثلاثين سنة، ولا يمكن أنْ يكون (حدثاً)؟ فعلينا أنْ نتأمل أنَّ الخطاب ليس بالضرورة أنْ يكون خاصاً بالمخاطب دون غيره، وهذا الأسلوب واضح عند العرب فكثير من خطابات القرآن يكون المخاطب فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمراد به غيره، فهذه الوصية من هذا النوع من الخطاب فليس هو خاص للإمام الحسن (عليه السلام) بل لكل مسلمٍ مسؤولٍ عن تربية أبنائه يبين له الإمام (عليه السلام) ملامح التربية منذ بداية تلقيه للمعارف (قلب الحدث) إلى أنْ يبلغ مبلغاً من العمر.

٤ . الحقوق الاجتماعية في الإسلام، عباس ذهبيات، ص٧٢.

٥ . الكافي، الكليني ٣٥٣/٥.

الوالد أنْ يحسنَ اسمه، ويحسنَ أدبه، ويعلمهُ القرآن)[1] وغير ذلك من الروايات التي لها أحسن الأثر في التربية.

من خلال ذلك نرى أهمية الأسرة في الإسلام، فالأسرة كما قيل هي المحيط التربوي الأساس المسؤول عن إعداد الطفل للدخول في الحياة الاجتماعية ليكون عنصراً فعالاً في إدامتها على أساس الصلاح والخير والبناء الفعال، وهي مسؤولة بالدرجة الأولى عن النشأة والترعرع، ولأهمية الأسرة في البناء التربوي أبدى أهل البيت (عليهم السلام) أهمية خاصة بها، لذلك نرى أنَّ الإمام (عليه السلام) في هذه الوصية الخالدة يؤكد على كل المعاني السامية التي لها بالغ الأثر في التربية، لذلك نستمع إليه وهو يخاطب ابنه بقوله: (فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي) وفي هذا درسٌ تربويٌّ كبيرٌ من جهتي الحنان والاهتمام يجب على الآباء أنْ يلتفتوا إليه بأنَّ الاهتمام بتربية الأبناء هو جزء من اهتمام المرء بنفسه، وستظهر آثاره لاحقاً في الدنيا بل تتبعه كذلك في الآخرة، وخير من أكد على هذا الحق من بعده (عليه السلام) حفيده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالة الحقوق حيث يقول: (وأما حَقُّ ولدكَ فأنْ تعلم أنه منكَ ومضافٌ إليكَ في عاجِلِ الدنيا بخيرِهِ وشرِّهِ، وأنكَ مسؤولٌ عما ولَّيتَهُ مِنْ حسنِ الأدبِ والدلالةِ على ربه والمعونةِ له على طاعته فيك، فاعملْ في أمرِهِ عملَ المتزيِّن بحسن أثرِهِ عليه في عاجل الدنيا المعذور إلى ربهِ فيما بينكَ وبينهُ بحسن القيام عليهِ والأخذِ له منه ولا قوة إلا بالله).[2]

من خلال ما تقدم كان لنا إطلالة سريعة على بعض الملامح التربوية في هذه الوصية الخالدة والتي تعد من أعظم مناهج التربية الإنسانية والإسلامية التي تضمنتها صفحات هذا السفر العظيم (نهج البلاغة). وقد قسم البحث على ثلاثة محاور إضافة للمقدمة والتمهيد ثم الخاتمة.

- المحور الأول: العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على تربية الذات.
- المحور الثاني: تهذيب النفس عن مساوئ الأخلاق وأثره على السلوك الفردي.
- المحور الثالث: العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية في ذلك.

حيثُ سيتمُّ في المورد الأول تناولُ السُّبُلَ الكفيلة في تكوين هذه العلاقةِ وتوثيقِها وأثر ذلك من خلال مفردات الوصية ودور ذلك وأثره على الفرد حيث أنها أُولى العلاقاتِ وأعظمُها كما أشارَ إلى ذلك الإمامُ زين العابدين (عليه السلام) في رسالةِ الحقوق.

وأما في المحور الثاني فسوف نتحدثُ عن كيفيةِ تهذيبِ النفس من كُلِّ عوائق تربيتِها، وبيان تلك العوائق التي تحولُ دونَ وصولِها إلى كمالِها، وعلاقةِ هذا المورِدِ الثاني – الوسط – مع المحورَيْن الأول والثالث.

وأخيراً سيتمُّ بيانُ كيفيةِ بناءِ الروابطِ الإنسانيَّةِ في المجتمع من خلال بناءِ العلاقاتِ الصحيحةِ التي لا تشوبُها المصلحةُ الشخصيةُ أو تتوقفُ عليها.

فإنِّي أظِنُّ أنَّ هذهِ الوصية مِنْ غُرَرِ الكَلِمِ ودُرَرِهِ التي يجبُ علينا أنْ نشملها بالدراساتِ التربويةِ الحديثةِ لِنُبيِّنَ بالتالي منهجَ أهل البيتِ (عليهم السلام) في هذا المجال..

## نهج البلاغة والمنهج الإسلامي في الأخلاق والتربية

إننا عندما نريد أنْ نتحدث عن المعاني الكبيرة التي تتضمنها كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة وغيره فإننا نتحدث عن ألفاظٍ ومعانٍ مرادفة للقرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين، وكذلك إنَّ كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) وصنوه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من قبل هي كذلك منهاجاً ودستوراً إنسانياً متكاملاً سواء في السلم أو الحرب، ومع أوليائه أو مع أعدائه، وهذا في الحقيقة هو الخلق والمنهج القرآني، لذا فإنَّ أيَّ كلمة من كلمات قواميس اللغة لا يمكنها أنْ تبين حقيقة هذا القرآن الناطق كما ورد في الروايات، لذا قد حار أعداؤه في كُنهه ووصفه إضافة لمحبيه

---

١ . ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٨ / ٣٦٧٩.
٢ . رسالة الحقوق، الإمام زين العابدين.

حيث قال ابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٥هـ) في مقدمة شرح نهج البلاغة: (وما أقولُ في رجلٍ أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعدوا مادحيه، بل حبسوهم، وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أنْ يُسمى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلا رفعةً وسمواً، و كان كالمسك كلما ستر انتشر عرفه، وكلما كتم تضوَّع نشره، وكالشمس لا تُستر بالراح، وكضوءِ النهارِ إنْ حجبتَ عنه عينٌ واحدة أدركته عيونٌ كثيرة. وما أقول في رجلٍ تُعزى إليه كُلُّ فضيلةٍ، وتنتهي إليه كُلُّ فرقةٍ، وتتجاذبه كُلُّ طائفةٍ، فهو رئيسُ الفضائلِ وينبوعُها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، ومُجلي حلبتها، كُلُّ مَنْ بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله اقتفى، وعلى مثاله احتذى ...)[١]، فهذا هو عليٌّ، وتلك هي كلماته في نهجه العظيم، ومن كلماته الخالدة تلك الوثيقة أو الوصية التربوية ..

إنَّ الحديث عن هذا الوصية وما تنطوي عليها من مفاهيمَ أخلاقيةٍ وتربويةٍ متكاملةٍ إنما هو حديثٌ عن مثالٍ إسلاميٍّ متكاملٍ يُبين للإنسان سبل الهدية والصلاح والفوز والسعادة في الدنيا والآخرة، فالدين هو المنهج الذي يكفل للإنسان سعادته وتحقيق صلاحه وتكامله ولا يمكن تحقيق ذلك بدون الدين إطلاقاً، لأنَّ المشرعَ لهذا المنهج هو الله تعالى الغني والحكيم المطلق الذي لا يضره شيء في السموات والأرض، بخلاف غيره ممن يَدَّعون أنهم مشرِّعون، فمهما بلغوا من العلو والرفعة فإنهم يبقون من صنف البشر الفقير المحتاج الذي لا يمكنه تحقيق كماله بذاته، وقد جَرَّبت الأمم أنواع الأنظمة التي تَدَّعي أنها المُخَلِّصة لها من شقائها ولكن رأينا ولمسنا فشل تلك النظريات والأنظمة، فإنه لا يتعدى سوى الخروج من أزمةٍ أو مصيبةٍ والوقوع في غيرها، ولذا قال الشهيد الصدر (قدس سره) في وصف المشكلة الإنسانية التي تعاني منها البشرية: (إنَّ مشكلة العالم التي تملأ فكر الإنسانية اليوم، وتمس واقعها بالصميم، هي مشكلة النظام الاجتماعي التي تتلخص في إعطاء أصدق إجابةٍ عن السؤال الآتي: ما هو النظام الذي يصلح للإنسانية وتسعد به في حياتها الاجتماعية ؟ ومن الطبيعي أنْ تحتل هذه المشكلة مقامها الخطير، وأنْ تكون في تعقيدها وتنوع ألوان الاجتهاد في عملها مصدراً للخطر على الإنسانية ذاتها.

لأنَّ النظامَ داخلٌ في حساب الحياة الإنسانية، ومؤثر في كيانها الاجتماعي بالصميم. وقد دفعت هذه المشكلة بالإنسانية في ميادينها الفكرية والسياسية إلى خوض جهادٍ طويلٍ وكفاحٍ حافلٍ بمختلف ألوان الصراع، وبشتى مذاهب العقل البشري، التي ترمي إلى إقامة الصرح الاجتماعي وهندسته، ورسم خططه ووضع ركائزه. وكان جهاداً مرهقاً يضج بالمآسي والمظالم، ويزخر بالضحكات والدموع، وتقترن فيه السعادة بالشقاء. كل ذلك لما كان يتمثل في تلك الألوان الاجتماعية من مظاهر الشذوذ والانحراف عن الوضع الاجتماعي الصحيح، ولولا ومضات شعت في لحظاتٍ من تأريخ هذا الكوكب لكان المجتمع الإنساني يعيش في مأساةٍ مستمرةٍ وسبحٍ دائمٍ في الأمواج الزاخرة)[٢]، فإنَّ للإنسان دوراً كبيراً في تكوين نوعية المجتمع، حيث أنَّ المجتمعَ تجمعٌ بشريٌّ تتكون تشكيلته واتجاهاته من مجموعة أولئك البشر الذين يمثلون مجتمعهم، والإسلام كان رائداً في تحصين الإنسان من كل أنواع الانحرافات وبالتالي كان يهدف إلى إيجاد مجتمع متكامل، وقد وصفت الشخصية الإسلامية وتحديد علاقاتها بعدة أوصاف ففي أحدها يقول مؤلف «التوازن في الشخصية الإسلامية»: (اهتم الإسلام كثيراً بعلاقة المسلم مع مجتمعه، فقد حدد في تعاليمه ومناهجه الإلهية الصيغ المطلوبة لهذه العلاقة التي تهدف إلى تعزيز الرابطة الاجتماعية بين المسلمين وصناعة المجتمع الإسلامي المتماسك في علاقاته وأسسه وعناصره، وقد رسم خطاً تصاعدياً في هذا الخصوص يبدأ من الإنسان ثم ينتهي

---

١ . شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، ينظر ص ٦

٢ . المدرسة الإسلامية، السيد محمد باقر الصدر، ص ١١-١٢.

بالمجتمع، فالفرد لا ينفصل في تصرفاته وسلوكه عن المحيط الذي يعيش فيه، فهو وحدته الأساسية وقد تتحول هذه الوحدة إلى عنصر بناءٍ، أو ربما تصبح عامل هدمٍ، وفي كلتا الحالتين يرتبط السلوك الفردي بالحصيلة الاجتماعية للمحيط الذي يعيش فيه).[١]

إذاً فالإسلام في تشريعاته لم يبتغ تربية الفرد والذات من أجلها فقط بل من أجل نشر الفضيلة والمكارم في المجتمع الإنساني المتكامل، ولذا ورد عدة كلمات للمربِّين التربويين في ذلك منها قولهم: (الإسلام ليس منهج اعتقاد وشعور في القلب فحسب، بل هو منهج حياة إنسانية واقعية .. وقد جعل الإسلام كل مسلم مسؤولاً في بيئته الاجتماعية يمارس دوره الاجتماعي البنّاء من موقعه قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته» ... فالقرآنُ الكريم دستورُ البشرية الخالدة يمتاز بالشمول والإحاطة الكاملة بجميع شؤون الحياة وقد وضع أُسُساً عامة في علاقة الفرد بالمجتمع، ووضع لكل طرفٍ حقوقه وواجباته للنهوض من أجل إتمام مكارم الأخلاق وإشاعة الودِّ والحبِّ والوئام في ربوع المجتمع الإنساني ... ومن حقوق المجتمع على الفرد أنْ يقوم بواجب الإصلاح والتغيير للحفاظ على سلامة المجتمع من الانحراف العقائدي والاجتماعي والأخلاقي).[٢]

فالإسلام أراد أنْ يخلِّص البشرية من كُلِّ هذا العناء والشقاء وقد أكد القرآن الكريم على ذلك في كثيرٍ من آياته المباركة، ومن أوضحها قوله تعالى: **(وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقاً)**[٣] والغَدَق هو الغزير كما ورد في مفردات الراغب، وفي ذلك كناية عن العطاء الرباني الكبير واللامحدود من النِّعَم على الإنسان الذي يتمسك بهذا المنهج، حيث نعلم أنَّ الإنسان يحاول أنْ يتعرَّفَ على كُلِّ شيء ويحصل على كل ما يريده، وهذا ليس أمرٌ مستحيلاً لو اطمأنَّ الإنسانُ بأنه يعتمد في مشروعية متطلباته على الله تعالى الذي لا يقف أمام عطائه شيءٌ أو حَدٌّ.
يصف العلامة الشيخ «محمد مهدي الآصفي» هذا الشعور عند الإنسان بقوله: (فالدين إذن هو المجال الطبيعي الملائم لاهتمامات الإنسان وتطلعاته وطموحه المتناهي والمتسامي، ولا شيء في هذا الكون يستطيع أنْ يحلَّ محلَّ الدين في حياة الإنسان في إرضاءِ طموحهِ واهتماماته وضميره ولا شيء يستطيع أنْ يحقق شخصية الإنسان وكماله الإنساني الخاص به وقيمته الحقيقية في هذا الكون كالدين والإيمان بالله سبحانه وتعالى).[٤]

وهذه حقيقة لا يمكن للإنسان أنْ يتعالى عليها لو رجع إلى الفطرة السليمة التي جُبِل عليها أو أي دينٍ يؤمن به لأنَّ المفروض بالدين أو بمَنْ يريد تشريعُ نظامه أنْ يصبو إلى تهذيبِ الإنسان والوصول إلى كماله، وقد أكد ذلك عدد من الفلاسفة الغربيين كذلك فمثلاً يذكر الشيخ الآصفي في هذا المجال: (ويقول ريموندبيج «ليس في مقدورِ الإنسان أنْ يسلكَ طريقاً إلى الفضائل الأخلاقية بمعزلٍ عن الدين والأخلاق من دون دين جسد بلا روح» «ومن دون الدين لا قيمة للأخلاق، ومن دون الدين تتحول الأخلاق إلى محاسبة جافة، ويزل الإحساس بالمسؤولية» «ويقول ديويدهيوم: فإنَّ الإيمان بالله هو منطلق كل الفضائل والغايات السامية في حياة الإنسان، ومبدأ كل الفضائل الأخلاقية والإنسانية»).[٥]

إنَّ المنهج التربوي الإسلامي يمتاز عن غيره من المناهج الأخرى مما يُضمن فيه النجاح والابتعاد عن الشقاء لأنه لا يعتمد المصدر الإنساني وجهده الذي هو في معرض الخطأ وحب الذات بل يعتمد مصادر فوق ذلك بكثير حيث الكمال فيها والتكامل وهي:

---

١ . التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي، ص ٥٣.
٢ . آداب الأسرة في الإسلام، السيد سعيد كاظم العذاري،ص ١١٣.
٣ . الجن: ١٦.
٤ . دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ص١٨٣.
٥ . المصدر نفسه ص١٨٤.

- أولاً: القرآن الكريم، حيث هو المصدر الأول الذي يستمد الباحث التربوي الإسلامي نظرياته ومعانيه وأفكاره منه.
- ثانياً: السنة النبوية الشريفة، والتي تمثل المصدر الثاني للتشريع الإسلامي في كُلِّ مجالاته من حيث التأكيد على الأسس العظيمة لمناهج التربية الإسلامية.
- ثالثاً: نصوص الأئمة (عليهم السلام) والتي هي امتداد لأحاديث النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) التي تجلت فيها المعاني السامية لسيرة الأئمة على مدى أكثر من قرنين تستمد الأمة من عطائهم وتراثهم حتى غدا كنزاً عظيماً من كنوز العلم والمعرفة يرجع إليها الباحث التربوي الإسلامي في مجالي النظرية والتطبيق للمناهج التربوية.[1]

فهذا هو المنهج الإسلامي وإنَّ نهج البلاغة قد تضمَّن كثيراً من المفاهيم الإنسانية الإسلامية العظيمة التي لها دور كبير في سعادة البشرية وبيان أفق العلاقات الخاصة والعامة في شتى نواحي الحياة، وهذه الوصية المباركة هي جزء من تلك المعاني الكبيرة التي اشتملها عليها هذا السفر الخالد في التأريخ الإنساني والفكري والثقافي.

## المحور الأول / العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على تربية الذات.

بعد أنْ بينا فيما تقدم مميزات المنهج التربوي الإسلامي عن سواه نحاول في هذا المحور من البحث أنْ نسلط الضوء على بعض المفردات التي تضمنتها هذه الوصية الخالدة والتي لها دور أساس في تربية النفس الإنسانية والحفاظ على العلاقة الوثيقة بين الإنسان وخالقه بحكم الفطرة السلمية التي لم تلوِّثها الأهواء والشكوك والظنون، وهذه المفردات السامية تتضمن في الفقرة التالية إجمالاً حيث قال (عليه السلام):
(فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيَّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِه).
فهذه مقدمة لأمرٍ عظيمٍ وهو الاهتمام بالقلب وتهذيبه عن الرذائل وكل ما يطفىء نور الفطرة والمحافظة عليه، وهذا لا يكون إلا باللجوء إلى الله تعالى وتقواه في السر والعلانية، وإنَّ الوصول إلى ذلك هو مدخل لتهذيب النفس وإيجاد العلاقة الجديدة الوثيقة مع الله تعالى، لذا فالإمام (عليه السلام) يوصي ولده الإمام الحسن (عليه السلام) بالمحافظة على هذا القلب من أعدائه في الظاهر والباطن فيبيِّن له صلاح هذا القلب من خلال فقرات عدة لها دور بالغ في هذا المجال، ولها أثر نافع في التربية النفسية وتهذيبها من أمراض حب الدنيا والانغماس فيها، وهذه الفقرات التي تناولت هذه العلاقة هي ثلاث نحاول تسليط الضوء عليها إجمالاً لنكون على بينةٍ من هذه الدروس التربوية للذات في سلوكها مع الله تعالى.

**أولاً / تقوى الله تعالى (فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيَّ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ) .**

إنَّ الإمام علياً قد أشار إلى التقوى في كثير من خطبه وكلماته سواء في نهج البلاغة أو غيرها، بل حتى في هذه الوصية الخالدة فقد أشار إليها في موارد عدة، حيث يقول بعد ذكر جملة من الوصايا: (وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللهِ...) والوصول إلى هذه المنزلة الرفيعة (التقوى) التي طالما مدحها الله تعالى في كتابه المجيد من حيث المعية لله تعالى هذا الصنف قال تعالى: **(وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)**[2] أو حبه تعالى لهم فقال تعالى: **(إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ)**[3] أو من حيث انحصار قبول الدعاء فيهم قال تعالى: **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)**[4] وغيرها من الآيات التي تبين مقامهم.

---

١ . التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مدن، ينظر ص ٣٣.
٢ . التوبة: ٣٦.
٣ . التوبة: ٧.
٤ . المائدة: ٢٧.

إنَّ تقوى الله تعالى من أعظم الصفات التي يجب على المؤمن أنْ يصل إليها. والتقوى كما في المفردات: (جعل النفس في وقاية مما يخاف، وصار التقوى في تعارف الشرع حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحضور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات لما روي الحلالُ بَيِّنٌ، والحرامُ بَيِّنٌ، ومَنْ رتعَ حول الحمى فحقيق أنْ يقع فيه).[1]

وهذا المصطلح أو هذا الصنف من الناس كان مورد عناية الشريعة المقدسة في جوانب عدة كما هو ظاهر من آيات القرآن الكريم، يقول السيد السبزواري في تفسيره: (والمتقين من الاتقاء، والاسم التقوى ومعناها الحجز والمنع، وهي من أعلى الصفات التي اعتنى بها الله تبارك وتعالى، كما أنها من أجلِّ المقامات الإنسانية وأرفعها، والتقوى تدور مدار الإيمان والعمل الصالح ... والتقوى فوق الإيمان بدرجة وقد وردت جملة من الأخبار فعن الرضا (عليه السلام) «الإيمان فوق الإسلام بدرجة، والتقوى فوق الإيمان بدرجة، واليقين فوق التقوى بدرجة، وما قسم في الناس شيء أقل من التقوى»)[2] فالتمسك والوصول إلى هذه المنزلة هو من المطالب القرآنية العظيمة، والأحاديث الشريفة قد أكدت على ذلك من خلال كثير من الروايات المباركة وذلك لأهميته وعظمته وما فيه من الآثار على النفس، فقد ورد من آثار التقوى أنها حصن للمتقين من الوقوع في المحرمات فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أمنعُ حصون الدين التقوى)[3]، وأنها مفتاح الصلاح والخير فقد ورد عنه (عليه السلام): (سببُ صلاح الإيمان التقوى)[4]، وأنها مفتاح الهداية كما ورد عنه (عليه السلام): (مَنْ غرسَ أشجار التقى جنى ثمار الهدى)[5]، وأنها الشرف كما ورد فيها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (شرف الدنيا الغنى، وشرف الآخرة التقوى)[6]، وأنها داء القلوب والعروة الوثقى ومورد قبول الأعمال وبها المخرج من كل عسر وغيرها من الآثار.[7]

وخير ما ورد في عظيم هذه المنزلة وصفات أصحابها ما ورد في خطبة أمير المؤمنين في «صفات المتقين» فإنَّ فيها من المعاني ما لا تدرك حقيقة وصفه الأقلام ...[8]

**ثانياً / عمارة القلب بذكر الله (وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ)**

في هذا المقطع من الوصية المباركة نرى ثلاث كلمات هي (العمارة) و(القلب) و(ذكر الله) ولكل كلمته معنىً كبيراً وعظيماً ينطوي فيها لمَنْ يتأمل ويتدبر ذلك، حيث يريد الإمام (عليه السلام) لولده أنْ يكون بناءه بناءً رصيناً باعتماده الأسس القوية التي لا تنهار أمام أدنى بلاءٍ أو اختبارٍ في ساحة الجهاد الأكبر للإنسان مع النفس[9] فيتغلب عليها لتكون أسيرة طَوْعَ أسره وأمره في كل آنٍ، فإنَّ هذا الدور له أثرٌ كبيرٌ على إيجاد العلاقة الوثيقة بين العبد وربه حيث لا يكون القلب عامراً ما لم يكن مطمئناً، وهذا لا يكون إلا بذكره تعالى في كُلِّ أحواله، حيث لا يرى شيء إلا ويرى الله تعالى فيه موجود حاضر، فلا يغيب الله تعالى عنه آناً فيكون العبد ين يديه دائماً وتحت رعايته أبداً، ولذا قال تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ**

---

١ . مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٥٥٥.
٢ . مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى السبزواري، ج١ ص٦٣.
٣ . غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد محمد الآمدي، الحكمة (٥٨٨٨).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٥٩١١).
٥ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٦٢٨.
٦ . المصدر نفسه ٨ / ٣٦٣٠.
٧ . للتفصيل يراجع ميزان الحكمة ج٨ ص ٣٦٢٣.
٨ . يراجع الخطبة (١٨٨) في صفات المتقين والتي أولها: (أما بعد، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً غنياً عن طاعته، آمناً من معصيته).
٩ . فقد ورد في الحديث الشريف أنَّ جهاد النفس هو الجهاد الأكبر كما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): عندما خاطب سرية رجعوا من الجهاد فقال: (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس).

**تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)**[1]، وأما مَنْ يكون الذكر عنه غائباً أو معرضاً عنه فإنه يعيش حياة الذل والهوان والافتقار إلى الراحة النفسية من خلال هموم طلب اللذات والشهوات، قال تعالى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)**[2]، وقال تعالى: **(وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)**[3] وغيرها من الآيات المباركة، فهذه مرحلة مهمة من مراحل تربية النفس للحفاظ عليها من الزلل يريد أنْ يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام)، ولذلك ورد عند تفسير هذه الآية المباركة: (الذكر كما يقول الراغب في مفرداته حفظ المعاني والعلوم ويستعمل الحفظ للبدء به، بينما الذكر الاستمرار فيه، ويأتي في معنىً آخر هو ذكر الشيء باللسان أو القلب، لذلك قالوا إنَّ الذكر نوعان (ذكر القلب) و (ذكر اللسان) وعلى أية حال ليس المقصود من الذكر -في الآية أعلاه- هو ذكره باللسان فقط فنقوم بتسبيحه وتهليله وتكبيره، بل المقصود هو التوجه القلبي له وإدراك علمه، وبأنه الحاضر والناظر، وهذا التوجه هو مبدأ الحركة والعمل والجهاد والسعي نحو الخير وهذا سدٌّ منيعٌ عن الذنوب)[4]، إذاً فليس المراد بالذكر كما يفهمه بعضٌ أنه مجردُ أذكارٍ ترد على اللسان بل هو أعمق من ذلك وأدق، وقد ورد هذا المعنى في وصية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) حيث يقول: (يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة: المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يُحَرَّمُ عليه خاف الله عزوجل عنده وتركه)[5] وإنَّ الإمام (عليه السلام) يدرك حقيقة هذا الأمر وأثره في العلاقة مع الله تعالى لذا نراه يؤكد في وصيته بالمحافظة على الذكر لعلمه ما لمقام الذاكرين، حيث ورد أنَّ للذكر ثمرات كثيرة تضمنتها الروايات عن المعصومين (عليه السلام) ولأهمية ذلك نذكر بعضاً من ثمرات الذكر:

١- إنه مفتاحُ الصلاح كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (أصلُ صلاحِ القلبِ اشتغالُهُ بذكرِ الله).[6]

٢- إنه حياةُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ ذكرَ الله سبحانه أحيا الله قلبه ونوَّر عقله ولُبَّه).[7]

٣- إنه قوتُ النفوس كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذِكْرُ اللهِ قوتُ النفوسِ ومجالسةُ المحبوب).[8]

٤- إنه نورُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (دوامُ الذكرِ ينيرُ القلبَ والذكرَ).[9]

٥- إنه جلاءُ القلوب كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنَّ الله سبحانه جعل الذكرَ للقلوب، تسمعُ به بعد الوقرة، وتبصرُ به بعد العشوة، وتنقادُ به بعد المعاندة).[10]

٦- إنه شفاءُ القلوب كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):(عليكم بذكرِ اللهِ فإنه شفاءٌ، وإياكم وذكر الناس فإنه داء).[1]

---

١ . الرعد: ٢٨.
٢ . طه: ١٢٤.
٣ . الزخرف: ٣٦.
٤ . الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٧ / ٢٩٣.
٥ . المصدر نفسه.
٦ . غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة (٣٦٠٨).
٧ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٦٤٥).
٨ . ميزان الحكمة، ٣ / ٩٦٩.
٩ . المصدر نفسه.
١٠ . نهج البلاغة الخطبة (٢١٧).

٧- إنه مفتاحُ الأنس كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكرُ اللهِ ينيرُ البصائرَ ويؤنسُ الضمائرَ).[٢]

٨- إنه مطردةٌ للشيطان كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (ذكرُ اللهِ رأسُ مالِ كُلِّ مؤمنٍ، وربحه السلامة من الشيطان).[٣]

٩- إنه أمانٌ من النفاق كما ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنْ أكثرَ ذكرَ اللهِ فقد بريء من النفاق).[٤]

١٠- إنَّ ثمرته الحب كما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ أكثرَ ذكرَ الله أحبه).[٥]

فتلك عشرة كاملة من آثار ذكر الله وأثره على عمارة القلب، وإحياء النفس وتربيتها وتزكيتها، لذا ورد في الدعاء (يا من ذكره شرف للذاكرين)، فهذه أهم آثار مداومة الذكر التي يؤكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، وما لها من الأثر التربوي على الذات.

## ثالثاً / الاعتصام بحبل الله تعالى (وَالاعْتِصَامِ بِحَبْلِه)

في هذا المقطع يؤكد الإمام (عليه السلام) أيضاً – كما سبق – على أمر عظيمٍ آخرٍ له دور في مراحل التكامل النفسي والروحي للإنسان وهو الاعتصام بحبل الله تعالى فيُبين أنَّ هذا التمسك هو من أقوى سبل الارتباط بالله تعالى وما فيه من الآثار على العبد.
فالاعتصام والتمسك بحبل الله هو السبيل للهداية الإنسانية، وحبل الله كما ورد عن الراغب في المفردات قوله: (فحبله هو الذي معه التوصُّلُ به إليه من القرآن والعقل وغير ذلك مما إذا اعتصمتَ به أدّاكَ إلى جواره)[٦]، ولمعرفة مراده (عليه السلام) من (حبل الله) يمكن أنْ نرجع إلى تفسير قوله تعالى: **(وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ)**[٧] فهناك علاقة بين هذا المقطع من الوصية والآية المباركة، يقول العلامة الطبرسي في تفسيره: (والحبلُ السببُ الذي يوصِلُ إلى البُغية، كالحبل الذي يتمسكُ به للنجاةِ من بئرٍ أو نحوها، ومنه الحبل للأمان لأنه سبب النجاة... «واعتصموا بحبل الله» أي تمسكوا به، وقيل امتنعوا به من غيره، وقيل في معنى حبل الله أقوال أحدها: إنه القرآن عن أبي سعيد الخدري وعبد الله وقتادة والسدى ويروى ذلك مرفوعاً. وثانيها: إنه دين الله الإسلام عن ابن عباس وأبي زيد. وثالثها: ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال نحن حبل الله الذي قال: «واعتصموا بحبل الله جميعاً» والأولى حمله على الجمع والذي يؤيد ما رواه أبو سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «أيها الناس إني قد تركت فيكم حَبْلين إنْ أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»).[٨]

إذاً فيمكن أنْ نعرف إرادة (عليه السلام) من ذلك الحبل الذي أوصى بالاعتصام به حيث أنَّ وصيته هي وصية الله تعالى في كتابه، وإنَّ استعماله لهذا المقطع المماثل للآية الكريمة فيه غاية البُعد والدقة على اقتران العترة بالقرآن الكريم، وللبلاغيّين كلام لطيف في بيان الإعجاز البلاغي

---

١ . ميزان الحكمة، ٣ / ٩٦٩.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٣٦٤٠).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٦٢١).
٤ . ميزان الحكمة / ٩٧٠٣.
٥ . المصدر نفسه.
٦ . المفردات، الراغب الأصفهاني، ص١١٢.
٧ . آل عمران: ١٠٣.
٨ . مجمع البيان، الطبرسي، ١ / ٣٥٢- ٣٥٦.

لألفاظ القرآن الكريم ومنه هذه الآية، حيث ورد: (الاعتصام الالتجاء والتمسك وأنَّ معتصم بفلان، ومستعصم به، ومعتصم بحبله، ونحن في عصمة الله، وكل ما عصم به الشيء أي: حفظ وصين – فهو عصام، وللعين والصاد –إذا كانتا فاءً وعيناً للكلمة- خصائص لغوية رائعة، منها تدلان على الشدة والمنعة وما هو بمعناهما من الحفظ والتأبي ... الاستعارة التمثيلية في الاعتصام بحبل الله، فقد شبه الوثوق بالله والاعتماد على حمايته بحال مَنْ يمسكُ بحبلٍ وثيقٍ وقد تدلى من مكان عالٍ، فهو آمنٌ من انقطاعه وانبتاته، وقد أراد بالحبل هنا القرآن الكريم لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه، ولا يُخلق عن كثرة الرد، مَنْ قال به صدق، ومَنْ عمل به رشد، ومَن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم).[1] فهذا نزر يسير من سِرِّ استعمال الألفاظ الدقيقة في هذه الوصية الخالدة المباركة.

إضافة إلى ذلك فقد أكدت كثير من الروايات المباركة على عظمة الاعتصام بالله وآثاره ففي الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَن اعتصمَ بالله نجّاه)[2] وقوله: (مَن اعتصمَ بالله لم يضرُّه الشيطان)[3] وقوله: (اعتصمْ في أحوالك كلها بالله، فإنك تعتصم منه سبحانه بمانعٍ عزيزٍ).[4] عزيزٍ).[4]

فهذه من أهم آثار الاعتصام بالله تعالى بالنسبة للإنسان. إنَّ هذه الأمور الثلاثة التي مضت (تقوى الله، عمارة القلب بذكر الله، والاعتصام بحبل الله) هي من أعظم المفردات التي تترجم المبادئ السامية في القرآن الكريم حيث إنَّ الانطلاق نراه يكون من كتاب الله تعالى وإليه، لأنَّ به نصل إلى النجاة والصراط المستقيم بعد معرفته المعرفة الحقيقية التي تتمثل بكلام أئمة المسلمين (عليهم السلام) الذين هم عدله[5] فهذا المقطع من الوصية الخالدة هو ترجمان لقوله تعالى في كتابه المجيد: (**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**)[6]، وقال تعالى: (أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[7]، وقال تعالى: (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً).[8]

إذاً فهذه المفردات لها أثرٌ بالغٌ في العلاقة بين العبد وربه وأثر ذلك على السلوك والتربية النفسية لأنَّ الإنسان إذا وصل إلى تلك المنزلة العظيمة (التقوى) وقام بإعمار القلب بذكره واعتصم بحبل الله وتوكّل وألجأ أمره إليه لا لسواه كان بذلك على منزلةٍ رفيعةٍ من سموٍّ النفس وعلوِّها وتذلُّلِها بين يدي الله تعالى، وهذا ما يريد أنْ يؤكد عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المقطع وهذا ما حاولنا بيانه بهذه العجالة في المحور الأول من بحثنا المتواضع.

## المحور الثاني / تهذيب النفس وأثره على السلوك الفردي

إنَّ لتهذيب النفس مناهج متعددة يختلف بعضها عن بعض، وأفضل تلك المنهج هو المنهج القرآني الذي يعتمد الجانب المادي والروحي للإنسان والذي مصدره الخالق الحكيم الأعرف بمصالح العباد وما ينفعهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من آياته المباركة، ومنها قوله تعالى بعد عدةِ أقسامٍ يقسمُ بها في سورة الشمس: (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**)[9] حيث جعل تزكية النفس

---

١ . إعراب القرآن، محي الدين الدرويش، ينظر ص ٤٩٤- ٤٩٧.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٣٩٢١).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٩٢٢).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٩٢٠).
٥ . إشارة إلى حديث الثقلين المتواتر بين المسلمين (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً).
٦ . النحل: ١٢٨.
٧ . الرعد: ٢٨.
٨ . آل عمران: ١٠٣.
٩ . الشمس: ٧ – ١٠.

وتطهيرها طريق الفوز والفلاح، فمَنْ يبحث عن الفلاح عليه بتزكية نفسه ومعرفة الحقيقة التي تنطوي فيها من أسرارٍ ومواهب لا تحصى، فتزكية النفس وتهذيبها هو سبيل المؤمنين الذين يبغون الوصول إلى الله تعالى عن طريق هذا الجهاد الأكبر.

وفي هذه الوصية المباركة الخالدة ملامح هذا الطريق أراد الإمام (عليه السلام) أنْ يبين ذلك من خلال المقطع الآتي: (أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ).

فلو تأملنا في هذا المقطع من الوصية لرأينا أنه (عليه السلام) يؤكد على القلب وما تنطوي فيه من حقائق ومعارف إلهية، إضافة للفطرة السليمة التي فطر الله عليها عباده، فهو بمثابة جوهرة ثمينة تحتاج إلى المحافظة عليها مما يؤثر في صفاتها وبريقها، وآفة ذلك حب الدنيا والابتعاد عن الله تعالى.

ولتحصين القلب مما يبعده عن طهارته وسلامته يبيِّن الإمام (عليه السلام) عشرة أمور لها دور أساس في ذلك، وبالتالي لها دور كبير في تهذيب النفس والحفاظ على كُنهها، وأثر ذلك على سلوك الإنسان النظري والعملي. وهذه الأمور العشرة التي تضمنتها الوصية بهذا المقطع هي أبواب إلى القلب يجب علينا أنْ نُحكمها لتكون حصناً حصيناً للقلب، وهذه الأبواب هي:

- أولاً / الموعظة فإنَّ فيها حياة القلوب.
- ثانياً / الزهد فإنَّ فيه موت القلب عن الشهوات واللذات المحرمة.
- ثالثاً / اليقين فإنَّ فيه قوة القلب أمام كل حادثة.
- رابعاً / الحكمة فإنَّ فيها نور القلب لرؤية حقائق الأشياء.
- خامساً / الموت فإنَّ بذكره يتذلل القلب ولا يصيبه الغرور بما يملك.
- سادساً / الإقرار بالفناء فإنَّ فيه اليأس من طمع الخلود في الدنيا ولذاتها وكل شيء إلى الهلاك مصيره.
- سابعاً / البصيرة فإنَّ فيها للقلب معرفة حقيقة الدنيا وزوالها.
- ثامناً / الحذر فإنَّ فيها للقلب أمانٌ من الغفلة.
- تاسعاً / العبرة فإنَّ فيه للقلب تذكرة واعتبار بمن مضى.
- عاشراً / التذكرة فإنَّ فيه للقلب يقظته من أيِّ سهو أو غفلة.

فهذه من أعظم الأبواب للقلب ويجب علينا أنْ نراعيها شدة الرعاية لأنَّ الغفلة عن واحد منها قد يؤدي بالقلب إلى هلاكه وبُعده عن الله تعالى، فالقلب كما قال العلماء هو المرأة الصافية التي تعكس أنوار الله تعالى فيه ومنه، ويقول الشيخ محمد مهدي النراقي (قدس سره) في كتابه القيم «جامع السعادات»: (فالرحمة الإلهية بحكم العناية الأزلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على أحد، لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآة القلب وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية، ومع تراكم صدئها الحاصل منها لا يمكن أنْ يتجلى فيها شيء من الحقائق).[1]

ولنطرق هذه الأبواب باباً بعد آخر لنعرف ما تنطوي فيه من معارف وحقائق تنفع الإنسان في هذه الدنيا وتوصله إلى الفَلاح أكد عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد في وصيته الخالدة التي مُلأت علماً وحكمة كما هو شأنه (عليه السلام)، حيث أنه يشير إلى أنَّ كلماته هذه قد جمعت أخبار وتجارب الأمم التي مضت ويجب علينا أنْ نتعظ من أحوالهم لأحوالنا لتكون لنا درساً نافعاً يغنينا عن التجارب والوقوع في أخطاء الماضيين، ولذا يقول (عليه السلام): (أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ، حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذَلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ، وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ) فهذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) يبحث عن

---

١ . جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، ١ / ٤٤.

نجاة الإنسان من الغرق في هذه الدنيا، التي هي بحر عميق مظلم يحتاج الإنسان إلى مَنْ يرشده إلى الهدى، ويدلُّه على الصراط.

**أولاً / الموعظة(أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ)**

إنَّ الموعظة لها دورٌ وكبيرٌ وفاعل في إحياء القلب وتذكيره بالفضائل ومحاسن الأخلاق، وقد وردت روايات عدة في أثر الموعظة ودورها في تصحيح سيرة الإنسان وسلوكه، ولذا قال المفسرون عند تفسير قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)**[1] (الوعظ والموعظة كما جاء في المفردات هو النهي الممتزج بالتهديد، إنَّ معنى الموعظة أوسع من هذا ظاهراً، نقل عن الخليل بن أحمد الفراهيدي في نفس كتاب المفردات أنَّ الموعظة عبارة عن تذكير بالنعم والطيبات المقترن برقة القلب، وفي الحقيقة فإنَّ كل نصحٍ وإرشادٍ يترك أثراً في المخاطب ويخوِّفه من السيئات ويرغِّبه في الصالحات يسمى وعظاً وموعظة، وطبعاً ليس معنى هذا أنَّ كل موعظة يجب أنْ يكون لها تأثير بل إنها تؤثر في القلوب المستعدة).[2]

والموعظة في الحقيقة هي النصح والنصيحة للآخرين من خلال الكلمة الطيبة النافعة، بل هي كما ورد في الحقيقة (إحسانٌ إلى مَنْ تنصحه بصورة الرحمة له، والشفقة عليه، والغيرة له، وعليه فهي إحسانٌ محضٌ يصدر عن رحمةٍ ورقةٍ، يتلطف الناصح في بذل النصيحة غاية التلطف، ويتحمل أذى المنصوح ولائمته، ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض، وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرته، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن فهذا شأن الناصح).[3]

فالإنسان بذلك يجب عليه أنْ يكون واعظاً وناصحاً لنفسه وللآخرين لأنَّ ذلك ينبع عن الحب والرحمة والإحسان، وقد أكَّد الإسلام على هذه المفردات الإنسانية التي لها دور في الإصلاح والتربية للنفس والمجتمع. ويقول الشيخ «محمد مهدي الآصفي» عند بيانه لمفهوم النصيحة في القرآن: (إنَّ النصيحة من المفاهيم الأخلاقية العظيمة والتي أكدت عليها الشريعة المقدسة من خلال القرآن والسنة الشريفة لما لها دور في التكامل النفسي والاجتماعي فقوله (عليه السلام) لولده الحسن (عليه السلام): (فإني لم آلك نصيحة وإنك لن تبلغ في النظر لنفسك – وإن اجتهدت- مبلغ نظري لك) فهو بذلك يؤكد المنهج القرآني -وهو ربيبه- في النصيحة، والتي هي من أولى أهداف الأنبياء والمرسلين في المجتمع، حيث قال تعالى على لسان نبيه: «أبلغ رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين»).[4]

ويقول أيضاً في تعليقه على هذه الآية المباركة وما يتعلق بالتحليل العلمي لكلمة النصيحة: (يصعب إعطاء تحليل علمي لهذه الكلمة لأنه لم يسبق لهذه الكلمة في الدراسات الإسلامية تحليل وتحديد علمي دقيق يمكن اعتماده رغم أهمية هذه الكلمة، ودورها الواسع في شبكة العلاقات الإنسانية في الإسلام، وعليه [بعد بيانه لكلمات المفسرين للنصيحة] فتتألف النصيحة من جملتين تكاد تتفق عليها كلمات المفسرين وعلماء اللغة هما:

١. تحرّي الخير والصلاح للآخرين، وإرادة الخير لهم في القول والعمل، وتنظيم العلاقة معهم على هذا الأساس.

٢. تخليص العلاقة والتعامل مع الآخرين من كل شائبةِ سوء، وتمحيص النصيحة في العلاقة والتعامل.

---

١. يونس: ٥٧.

٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ٦ / ٢٦٠.

٣. الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء، ص ١٤ للتفصيل يمكن مراجعته ففيه بيان وافٍ عن النصيحة في الفقه والأخلاق وأثرها.

٤. في رحاب القرآن/ الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ص١٢٧- ١٢٩.

وهذا التخليص والتمحيص يقع في مقابل (الغش) وهو أنْ يتظاهر الإنسان بالنصيحة للآخرين في تعامله معهم في الوقت الذي يستبطن هذه العلاقة نية السوء والشر وتسمى هذه الحالة عادة بالغش).[1]

والروايات الشريفة التي أكدت على النصيحة والحث على التمسك بها كثيرة نذكر منها ما ورد عن السكوني عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ أعظمَ الناس منزلة عند الله يوم القيامة أمشاهم في أرضه بالنصيحة لخلقه).[2]

وعن سفيان بن عينية قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام): (عليك بالنصح للهِ في خلقه، فلن تلقاه بعملٍ أفضل منه).[3] وقد أكد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في «رسالة الحقوق» على حق الناصح والمستنصح وكيف يجب أنْ يكون دور النصيحة بينهما حيث يقول: (وحق المستنصح أنْ تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به. وحق الناصح أنْ تلين له جناحك وتصغي إليه بسمعك، فإنْ أتى بالصواب حمدتَ الله عز وجل، وإنْ لم يكن وُفِّق رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك، إلا أنْ يكون مستحقاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على حال ولا قوة إلا بالله).[4]

ومن الروايات التي وردت في كون الموعظة حياة القلوب قال أمير المؤمنين (عليه السلام): (المواعظ حياة القلوب)[5]، وقال (عليه السلام): (المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب).[6]

ومن أهم آثار الموعظة أنها تُعد رادعاً للإنسان في كثيرٍ من المواقف عن ركوب الشهوات والمحرمات فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (مَنِ اتَّعظ بالعِبَرِ ارتدع).[7]

ومن أراد الموعظة الكاملة الشاملة فعليه بكتاب الله تعالى لما فيه من القصص والآثار التي تعد كلها مواعظ وحكم لمَنْ تأمَّل وتدبَّر، كما روي في ذلك عن الإمام الصادق (عليه السلام) قوله: (أصدقُ القول، وأبلغُ المواعظِ، وأحسنُ القصص، كتابُ الله).[8]

ونختم ما ورد في الموعظة وآثارها وأثرها في النفس بموعظة من أعظم المواعظ وأنفعها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (كُنْ في الدنيا كأنَّكَ غريباً أو عابرَ سبيلٍ، واعددْ نفسكَ في الموتى، وإذا أصبحتَ فلا تُحَدِّثْ نفسكَ بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحَدِّثْ نفسك بالصباح، وخُذْ من صحتِكَ لسُقمك، ومن شبابِكَ لهرمِك، ومن حياتِكَ لوفاتِك، فإنك لا تدري ما اسمُكَ غداً).[9] فما أعظمها من وصية للنفس في كفِّها عن الغرور وقناعتها بالتواضع.

إذاً فهذا إيجاز من أثر الموعظة والنصيحة للقلب كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث جعلها حياة للقلب ولذا ورد لفظ (أحيي) ففيه تأكيد على أنَّ حياة القلب يكون بالموعظة وموته وقسوته يكون بالإعراض عنها.

**ثانياً / الزهد(وَأَمِتْهُ بالزَّهَادَةِ)**

إنَّ الزهد عن الدنيا وما فيها من لذات وشهوات زائلة يُعد أيضاً من موارد الحفاظ على سلامة القلب وتهذيب النفس، ولذا يطلب الإمام أن يميت القلب بالزهد فلا تغتر بزخرف الحياة الدنيا

---

١ . المصدر نفسه.
٢ . الوسائل، الحر العاملي، ١١/ ٥٩٥.
٣ . الكافي ٢ / ١٦٤.
٤ . رسالة الحقوق.
٥ . غرر الحكم، الحكمة (٤٥٢٣).
٦ . المصدر نفسه، الحكمة (٤٥٢٤).
٧ . المصدر نفسه، الحكمة (١٠٧٩٥).
٨ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٥٧٧.
٩ . المصدر نفسه، ٨ / ٣٥٨٧ وقد عقد مؤلف ميزان الحكمة باباً في الموعظة وآثارها يمكن الاطلاع عليه لمن أراد التفصيل.

فتلوَّث تلك النفس المطمئنة، وقد أكدت الشريعة المقدسة في نظامها المتكامل على هذا الأمر من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة، ومن تلك الآيات قوله تعالى: (**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**)[1] وقد ترجَّم أمير المؤمنين (عليه السلام) حقيقة الزهد حول هذه الآية في رواية قوله: (الزهد كله بين كلمتين في القرآن الكريم قال تعالى « لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم» ومَنْ لم يأسَ على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه)[2]، وفي تفسير القمي بإسناده عن حفص ابن غياث قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) جعلت فداك فما حد الزهد في الدنيا ؟ فقال قد حده الله في كتابه فقال عزوجل: «**لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ**».[3] إذاً فالزهد هو عدم الندم على ما مضى من شيء وخصوصاً لذات الدنيا، وكذا عدم الفرح والسرور بما سيأتي بل التسليم المطلق لله تعالى. ومن الروايات التي امتدحت الزهد وبينت أثره على الإنسان قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أفضل من الزهد في الدنيا)[4] وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) (يا علي إنَّ الله قد زَيَّنك بزينةٍ لم تُزَيَّن العباد بزينة أحبّ إلى الله منها، زَيَّنَك بالزهد في الدنيا، وجعلك لا ترزأ منها شيئاً، ولا ترزأ منك شيئاً)[5] ولكي نعرف حقيقة الزهد لئلا يختلط على الإنسان مفهومها بالرهبانية وغيرها يقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا أنْ لا تكون بما في يديك أوثق منك بما في يد الله، وأنْ تكون ثواب المصيبة إذا أنت أُصبت بها أرغب منك فيها لو أنها أُبقيت لك).[6]

فهذا هو مفهوم الزهد الذي يشير إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته الخالدة فإنَّ الفهم الحقيقي له يؤدي إلى الاتِّعاض والعمل به لئلا يصل غرور الإنسان بما يملك من مالٍ أو جاهٍ حيث يكون أسيراً لها فيبتعد عن الله تعالى.

**ثالثاً / اليقين(وَقوِّهِ بِالْيَقِين)**

إنَّ اليقين من المسائل المهمة التي يجب أنْ يصل إليها السالك نحو التكامل الإنساني والأخلاقي، وهو حقيقة كما أورده المفسرون هو كما في مفردات الراغب (سكون الفهم مع ثبات الحكم)[7] واليقين هو أعلى درجات العلم بل هو القطع والجزم، فالقلب لا يمكنه أنْ يكون قوياً بالشكوك والظنون تجاه أيِّ أمرٍ بل لابد من القطع ليكون الأمر راسخاً فيه وهذا يشمل كل أمر يمرُّ علي الإنسان سواء كان عقائدياً أم فكرياً أم غيرهما، وفيه آثار كبيرة تساعد الإنسان على أنْ يقطع مراحل متعددة وهو مطمئن بأنه راسخٌ في عمله وتفكيره، وهذا اللفظ (اليقين) يدل على الاطمئنان والثبات ولقد ورد في الأثر أنه (قد استعمل العرب هذا اللفظ في التعبير عن السكون والاستقرار، فقولهم فلانٌ ذو يقين في هذا الأمر أو ذاك أي إنه مستقر العقيدة، ثابت الرأي على صحة الحال وصدق الواقع، حتى لكأنه يعاين ما يهمه ويشاهد فلا يضطرب خاطره، ولا تقلق أفكاره، قال الجوهري: اليقين العلم وزوال الشك)[8] وقد أكدت كثير من الروايات هذا المعنى والحث عليه، فمن الروايات ما جعلت اليقين هو أعز شيء إذا وصل الإنسان إليه، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إنَّ الإيمان أفضل من الإسلام، وإنَّ اليقين أفضل من

---

١ . الحديد: ٢٣.
٢ . الأمثل، ١٨ / ٥٠.
٣ . الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٩ / ١٧٦.
٤ . ميزان الحكمة، ٣ / ١١٦٦.
٥ . المصدر نفسه، ٣ / ١١٦٧.
٦ . المصدر نفسه، ٣ / ١١٦٨.
٧ . المفردات ص٥٧٧.
٨ . مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة، ص٤٤٢.

الإيمان، وما من شيء أعز من اليقين)[1] وأهمية ذلك ظاهرة بأدنى تأمل لما في اليقين من أثر على العقيدة، وإن الإمام (عليه السلام) في وصيته يؤكد على اليقين ويجعل فيه سر قوة القلب لما تترتب عليه من آثار كبيرة، حيث إنَّ من ثمرة اليقين الصبر كما ورد عنه (عليه السلام): (الصبر ثمرة اليقين)[2] ومن ثمرته الإخلاص في العمل فقد ورد عنه (عليه السلام): (سبب الإخلاص اليقين )[3] ومن ثمرته الزهد كما ورد عنه (عليه السلام): (اليقين يثمر الزهد)[4] ومن ثمرته التوكل كما ورد في قوله (عليه السلام): ((التوكل من قوة اليقين)[5]، ومن ثمرته الرضا كما ورد عنه (عليه السلام): (الرضا ثمرة اليقين).[6]، ومن ثمرته تهوين المصائب فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (إنَّ الله بحكمته وجلاله جعل الرَّوْحَ والفرجَ في الرضا واليقين).[7]

فالإنسان الذي يحصِّن نفسه باليقين يقوى بذلك قلبه وويستعد لتلقي آفاق المعرفة من خلال ثمرة ذلك اليقين ولذا عبَّر الإمام (عليه السلام) بلفظ (القوة) حيث باليقين يصل القلب إلى حقيقة الأشياء عن طريق ذلك النور الذي يقذفه الله تعالى في قلب صاحبه بعد أن استعدَّ لذلك وقدَّم مقدمات الاستقبال والمعرفة للحقائق.

فإذا كان اليقين من ثماره وآثاره على النفس هذه الصفات: الصبر والإخلاص والزهد والتوكل والرضا وتهوين المصائب كما ورد في الروايات فكيف ستكون قوة ذلك القلب الذي يتحصن بهذه القوى العظيمة، وكيف ستكون آثار هذه الصفات على سلوك هذا الإنسان، ولذلك لو تأملنا في سيرة الأئمة (عليهم السلام) والعارفين لهذه الحقوق لرأينا آثار تلك الصفات في أقوالهم وأفعالهم ظاهرة ومؤثرة فيهم، وعلى هذا فقول أمير المؤمنين (عليه السلام) (وقوِّهِ باليقين) يبين لنا سر تلك القوة أين تكمن.

**رابعاً / الحكمة (وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ)**

إنَّ الحكمة من الأمور التي ندبت إليها الشريعة المقدسة طباقاً لما تسالم عليه العقلاء من أنَّ الحكمة تورث صاحبها مكانةً ومنزلةً وتجعله على بينةٍ من كل خطوة يسير باتجاهها بل يعرف عاقبة الطريق الذي يسر فيه، فالحكمة عُرِّفت هي: (إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات)[8]، وورد في تفسير قوله تعالى: **(يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاء وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ)**[9] (إنه قد ذكر لكلمة (الحكمة) معانٍ كثيرة منها (المعرفة والعلم بإسرار العلم) ومنها (العلم بحقائق القرآن) و (الوصول إلى الحق بالقول والعمل) و (معرفة الله تعالى) و (أنها النور الإلهي الذي يميز بين وساوس الشيطان وإلهامات الرحمن). الظاهر هو أنَّ الحكمة تأتي بالمعنى الواسع حيث تشتمل جميع هذه الأمور بما فيها النبوة التي هي نوع من العلم والاطلاع والإدراك فهي في الأصل أخذت من مادة (حكم) -على وزن

---

١ . الكافي ٢ / ٥١.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٦٢١٧).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٧٤٦).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٧٣٥).
٥ . المصدر نفسه، الحكمة (٣٨٤٨).
٦ . المصدر نفسه، الحكمة (١٨٢٣).
٧ . ميزان الحكمة، ٨ / ٣٧٢.
٨ . المفردات ص١٣٢.
٩ . البقرة: ٢٦٩.

حرف- بمعنى المنع وبما أنَّ العلم والمعرفة والتدبير تمنع الإنسان من ارتباك الإعمال الممنوعة والمحرمة فلذا يقال عنها أنها حكمة).[1]

والروايات المباركة قد أكدت هذه المعاني وبيَّنت آثار الحكمة على الإنسان، وأنها نور الحقيقة ينير للقلب حقائق الأمور لكي يُحكم أمره تجاهها، فقد ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (الحكمةُ روضةُ العقلاء، ونزهةُ النبلاء)[2]، ومن وصية لقمان لابنه في الحكمة: (يا بني تعلَّم الحكمة تشرف، فإنَّ الحكمة تدل على الدين، وتشرِّفُ العبدَ على الحر، وترفعُ المسكينَ على الغني، وتقدمُ الصغيرَ على الكبير)[3]، ومن آثار الحكمة على الإنسان أنها توصله إلى خشية الله تعالى ومخافته وطاعته والإقبال عليه قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله)[4] إلى غير ذلك مما ورد من الروايات في معنى الحكمة وأثارها ولذا قال أمير المؤمنين (ونوِّره) وكأنها –الحكمة- هي النور الذي يبصرُ به القلب حقائق الأشياء وبها يرى الآخرة وما يجب عليه من الاستعداد له وهي كذلك وقد أفادت التجارب ذلك.

**خامساً / ذكر الموت (وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ اَلْمَوْتِ)**

بعد أنْ بيَّنَ الإمام (عليه السلام) في الفقرات الأربع ما يجعل القلب ذا مكانةٍ رفيعةٍ وعاليةٍ من حيث إحيائه وتقويته وتنويره فإنه يؤكد عليه بعد ذلك أنه أيضاً يحتاج إلى أنْ يتذكر النهاية الحتمية لكل مخلوقٍ لئلا يُصاب ذلك القلب بالغرور والانخداع بما يملكه من تلك الصفات العظيمة، حيث أنه من الممكن أنْ يصل إليه التكبر والكبرياء ولو مع تخلقه بتلك الصفات، ولكن مع اعترافه بالموت وتذلُّله بذكره دائماً فإنه سوف لا ينخدع بل يضل مشغولاً بذلك المصير المحتوم الذي سينقله من هذا العالم الضيق المحدود إلى عالمٍ لا يمكن للعقل الإنساني أنْ يدرك حقيقته، فالإنسانُ يحتاج دائماً إلى أنْ يتفكَّر في هذه الحقيقة التي تبين خاتمة وجوده ليكون على يقينٍ في أعماله وتفكيره، وذكر الموت له أثرٌ بليغٌ على صلاح الإعمال في الدنيا وقد أكدت روايات كثيرة على هذه الحقيقة التي يذكرها أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته، ونذكر بعض ما ورد في تذكره فقط فقد روى عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلُ الزهدِ في الدنيا ذكرُ الموت، وأفضلُ العبادةِ ذكرُ الموت، وأفضلُ التفكيرِ ذكرُ الموت، فمَنْ ذكرَ الموتَ وجدَ قبرهُ روضةً من رياضِ الجنة)[5]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): (أكثروا ذكرَ الموتِ فما فما من عبدٍ أكثرَ ذكرهُ إلا أحيى اللهُ قلبَهُ وهوَّنَ عليه الموت)[6]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): وسلم): (أكثروا ذكرَ الموتِ فإنه يمحِّصُ الذنوبَ، ويزهِّدُ في الدنيا، فإنْ ذكرتموهُ عند الغنى هدمَهُ، وإنْ ذكرتموهُ عند الفقرِ أرضاكُمْ بعيشكم)[7] إذاً فذكر الموت له دور في إحياء القلب والتفكير والزهد والعمل الصالح كما أكدت عليه الروايات وهذا ما يبغي الإمام (عليه السلام) من وصيته لما في ذلك من الآثار، فإذا تذلل القلب لم تُصبه أي لحظة تكبرٍ وغرورٍ.

**سادساً / الإقرار بالفناء (وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ)**

وهذه الفقرة لها علاقة بالتي سبقتها من حيث العموم، ولكن من حيث الخصوص أنَّ الأولى هو التذكُّر بالموت لكي لا يُنسى ذلك المصير، وأما في هذه الفقرة فنريد من القلب إضافة لذكره أو تثبيتاً لذلك الذكر وهو أنْ نجعل القلب يقرُّ بذلك إقراراً واقعياً لا ذكراً فقط، فقد نرى مَنْ يذكر الموت وقلبه متذلل به ولكنه يحتاج إلى التصديق والإقرار في العمل ليستحكم الأمر تجاه هذه

---

١ . الأمثل، ٢ / ٢١٦.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٦٠٢).
٣ . ميزان الحكمة، ٢ /٦٧٠.
٤ . المصدر نفسه، ٢ / ٦٧١.
٥ . المصدر نفسه، ٧ / ٢٩٦٤.
٦ . المصدر نفسه، ٧ / ٢٩٦٥.
٧ . المصدر انفسه.

الحقيقة، ولذا عبر (عليه السلام) بلفظ (الفناء) أي ليس أنت وحدك أو ممن هو معك سيموت بل كل ما في هذا الوجود من اللذات والنعم و.و. فمصيره إلى الفناء فهل يأمل الإنسان بعد التصديق بذلك أنْ يميل إلى الدنيا ويبحث عن خلود له فيها.

لذا فإنه (عليه السلام) يؤكد على هذه الحقيقة (الموت والفناء) في عدة موارد من هذه الوصية نفسها حيث يقول (عليه السلام) في مورد آخر: (واعلم أنك خلقت للآخرةِ لا للدنيا، وللفناءِ لا للبقاء، وللموتِ لا للحياة ...) وقال أيضاً مذكراً بذلك ومبيناً حال الدنيا تجاه هذه الحقيقة: (يا بني أكثر من ذكرِ الموتِ، وذكرِ ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه .. وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها) وأما الروايات التي وردت في الحث على ذلك فهي كثيرة ويمكن مراجعتها في كتب الأحاديث.[1]

**سابعاً / بصره فجائع الدنيا(وَبَصِّرْهُ فُجَائِعَ الدُّنْيا)**

إنَّ الإنسان لو ترك بلا موعظةٍ وبلا بلاءٍ لأصابه الغرور والتكبر، وما يتبعهما من المساوىء على الأخلاق، فلكي لا يمر الإنسان بهذه المرحلة يجب عليه أنْ يتبصَّر في حقيقة هذه الدنيا وأنها قد تفجع الإنسان في آنٍ ما كما قد فجعت من قبل ذلك، فالدنيا لا يدوم حالها لأحد فكم غدرت بأنبياء الله تعالى وأوليائه، فالدنيا لا أمان فيها فلعل قريبٌ قد يفرح ويُسرُّ بفاجعة أخيه وهذا طبعاً لا يكون إلا بالجهل والعدوان، وفي هذا يروى: (إنَّ رجلاً مَرَّ على جماعة يريدون دفن ميتٍ لهم فاطَّلَعَ عليهم فأخذته العبرة فبكى ثم انشد مجموعة أبيات قال في أحدها:

يبكي عليه الغريبُ لا يعرِفُهُ وقرابَتُهُ في الحيِّ مسرورون

فقال له أحد الحاضرين أوَ تعرف هذا الميت ؟ فأجاب: لا. ثم سارعه بسؤالٍ آخر: وهل تعرف قائل هذه الأبيات الشعرية ؟ قال: لا أيضاً. فقال له: إنه هذا الميت الذي بكيته أنت الغريب، ولكن انظر ابن عمه ذاك فهو مسرور بوفاة هذا الميت لأنه الوحيد الذي سيرثه).[2]

فعلى الإنسان أنْ يعتبر من هذه المواقف ويريد الإمام (عليه السلام) في وصيته أنْ يشير إلى ذلك.

**ثامناً / صولة الدهر(وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالأيَّامِ)**

وهذا أمرٌ آخرٌ يجب على الإنسان أنْ يتأمَّل فيه ليتبصَّر في حقيقة الدنيا ويكون على بينة منها دون الغفلة والغرور بها، حيث أنَّ للدهر صولات إذا أقبلت على المرء أنْسَته ما في الدنيا من لذةٍ ونعمةٍ فهذا هو حال الدنيا وتقلباتها، وخصوصاً إذا تسلَّط الظالمون على المؤمنين فإنهم يذيقونهم من العذاب الأليم، والتأريخ مليء بالعبر والمواعظ بذلك، فالدهر ليس له أمانُ فلعلَّ الأيام والليالي تتبدل أحوالها وتُري الإنسان ما لا يسره في هذه الدنيا، ولذا وردت روايات كثيرة تحذر من الركون والاطمئنان للدنيا، فقد ورد في الحديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (انظروا إلى الدنيا نظر الزهد المفارق، فإنها تزيل الثاوي الساكن، وتفجع المترف الأمن، لا يرجى منها ما ولَّى فأدبر، ولا يُدرى ما هو آتٍ منها فيُستنظر)[3]، وقال أيضاً (عليه السلام): (اجعل الدنيا شوكاً، وانظر أين تضع قدمك منها، فإنَّ مَنْ ركنَ إليها خذلته، ومَنْ أنسَ فيها أوحشته، ومَنْ يرغب فيها أوهنته)[4]، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه

---

١ . للتفصيل في الروايات في هذا الباب يراجع ميزان الحكمة باب (الموت) ص ٢٩٥٣.
٢ . الأخلاق عنوان الإيمان ومنطق التقدم، السيد محمد تقي المدرسي ص١٢.
٣ . ميزان الحكمة، ٢ / ٩٠٥.
٤ . المصدر نفسه.

الدنيا بقوله: (الدنيا سجنُ المؤمن وجنةُ الكافر)[1] والأحاديث في ذلك كثيرة ولذا يحذر الإمام من صولاتها التي قد تغدر من غير استعدادٍ لها.

**تاسعاً / عرض أخبار الماضين(وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ المَاضِينَ)**

إنَّ في الاتعاظ بأخبار الماضين لدرسٌ كبيرٌ للإنسان الذي يعقل هذا الأمر ويتأمل ويتدبر في حقيقته دون الغافل عنه، بل إنَّ المؤمن يجب أنْ يكون على يقظةٍ من هذا، وهو الذي تنفع فيه المواعظ والذكرى دون غيره قال تعالى: **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)**[2] ولذا يجب علينا أنْ نستذكر أقوال الأمم السالفة أين حَلَّ بهم الدهر، وخصوصاً الطغاة والظلمة والمتكالبين على الدنيا فلم يخرجوا من هذه الدنيا بسوى قطعة بيضاء وسيقفون غداً أمام الحكم الذي لا يحتاج إلى شاهد لأنه هو الحاكم الشاهد قال تعالى: **(كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ)**[3] إضافة إلى سيرة أولئك الطغاة أمثال فرعون وقارون وغيرهما، فلنستمع إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو يحث ذلك: (ألستُمْ في مساكِنِ مَنْ قبلكم أطول أعماراً، وأبقى آثاراً، وأبعد آمالاً، وأعدَّ عديداً، وأكثف (أكثر) جنوداً، تعبَّدوا للدنيا أيَّ تعبدٍ، وأثاروها أيَّ إيثارٍ، ثم طعنوا عنها بغير زادٍ مبلِّغ، ولا ظهرٍ قاطعٍ).[4]

**عاشراً / التذكر بما أصاب الأمم (وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَوَّلِينَ)**

إنَّ تذكير الإنسان بآثار الماضين تجعله أيضاً يتفكَّر في حقيقة وجوده في الحياة الدنيا وأنه في دارِ سفرٍ لا دار استقرار فيها إلى الأبد، بل لابد من أنْ يرحل عنها يوماً، ولذا قد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة في كثيرٍ من آياته ومنها قوله تعالى: **(وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)**[5] قال الراغب في المفردات: (إنَّ الحيوان الحقيقي السرمدي الذي لا يفنى لا ما يبقى مدة ثم يفنى)[6].

وورد في تفسير الأمثل عند تفسير هذه الآية: (فالقرآن في هذا الصدد يشرح حال الدنيا وحال الآخرة مبيناً أنَّ الحياة الدنيا هي نوعٌ من الانشغال واللعب، يجتمع الناس فيها وينشدون إلى تصورات قلوبهم وأنفسهم، وبعد أيام يتفرقون ويختفون تحت التراب ثم يطوى كل شيء ويغدو في سلة النسيان، أما الحياة الحقيقة فهي الحياة الآخرة فحسب لو كان الإنسان يعرف ذلك وكان أهلاً للتدقيق والتحقيق وبديهي أنَّ القرآن لا يريد أنْ ينسى وينفي مواهب الله في هذه الدار الدنيا، بل يريد أنْ يجسد قيمة هذه الدنيا بالقياس إلى الآخرة قياساً صريحاً واضحاً، وإضافة إلى ذلك فإنه ينذر الإنسان لئلا يكون أسيراً لهذه المواهب، بل يكون أميراً عليها)[7]، فهذه الحقيقة التي يريد أنْ يؤكد عليها الإمام (عليه السلام) بأنْ لا يغترَّ الإنسان بما في الدنيا، بل كل ما فيها زائل، وأنها دار بلاء وامتحان لأجل الخلود في الدار الحقيقة، وفي كل ذلك إشارة إلى الاستعداد للآخرة والنظر إليها نظرة اليقين، كما ينظر المسافر إلى بلده متى يرجع إليه، وهذا له أثرٌ ودورٌ كبيرٌ في عدم الركون إلى الشيء المؤقت الزائل مقابل الأمر الخالد، بل له أثر في سلوكِ الفرد في الدنيا مع نفسه وربه والآخرين، فلتتأمل في قوله (عليه السلام): (وسِرْ في ديارِهِمْ .. وكأنَّك عن قليلٍ قد صرتَ أحدهم) والتأريخ يبيِّن لنا أمثلة كثيرة عن هذه الحقيقة، بل كل إنسانٍ يمكنه أنْ يصل إلى هذه الحقيقة بأدنى تأملٍ في وجوده ومَنْ كان قبله، ولذا ورد في بيان هذه

---

١ . المصدر نفسه، ٢ / ٩٠٨.
٢ . الذاريات: ٥٥.
٣ . الدخان: ٢٥ – ٢٩.
٤ . نهج البلاغة، سرح محمد عبده، الخطبة (١٠٧).
٥ . العنكبوت: ٦٤.
٦ . الراغب ص١٤٥.
٧ . ينظر الأمثل، ١٢ / ٣٢٨.

الحقيقة: (والحق لا قيمة لِلحضات عمرِ الإنسان في الدنيا الزائلة بالقياس بعمرِ الإنسان اللامتناهي والخالد في الجنة ... وطالما يوسوس الشيطان الرجيم في عقل الإنسان لإبعاده عن حقيقةِ الخُلد وإلهائِهِ بزيفِ لذيذِ الدنيا الزائل، فهو يسوِّلُ له الحرص المادي لنيل المسكن المنيف ثم توسعته ليكون قصراً ثم جمع المال واقتناء الذهب والفضة، غير أنَّ حقيقة اللذائذ الدنيوية تتضح بعد زوال أصحابها فلنذهب إلى (الأهرامات) في مصر وإلى آثار الفينيقيين في (بعلبك) أو إلى (نحت جمشير) في مدينة شيراز الإيرانية أو إلى (إيوان كسرى) ناحية المدائن ببغداد....)[1] فالسيرُ في تلك المدائن والآثار يُعَرِّف الإنسانَ حقيقة الدنيا وأين سُكان تلك المساكن التي غَدَت اليوم أثراً، ولنتفكَّر في الآخرة ونرى أين يكمن الخلود الحقيقي.

وهذا الأمر له من العبرة النافعة لكل إنسانٍ يتفكَّر في حقيقة الدنيا وحقيقة الوجود ولذا يذكِّر الإمام (عليه السلام) بهذا الأمر في هذه الوصية الخالدة لنكون على بينةٍ من ذلك لما فيه من الأثر على التربية والسلوك الفردي والجماعي.

إننا من خلال ما تقدم في هذه الفقرات العشر التي تأكد على الاهتمام بقلب الإنسان والحفاظ عليه من كل ما يلوثه ويُبعده عن الله تعالى إلى نتيجة أساسية واحدة وهي اليقين بالآخرة والاستعداد والعمل لها دون الركون إلى الدنيا والغرور بما فيها، وهذا الأمر له عظيم الأثر على سلوك الإنسان وتربيته تربية صالحة تظهر آثارها على نفسه وعلى المجتمع، فتزكية النفس وتطهيرها هو سبيل الإنسان المؤمن الذي يريد الوصول إلى ربه وصولاً مُشَرِّفاً له، فالإمام (عليه السلام) في هذه الوصية أكثر اهتمامه ووصيته كان في مجال التأكيد على الآخرة والاستعداد لها، ولذا يعقب تلك الفقرات التي كان الأمر يتعلق فيها بالقلب فيقول بعد أنْ ينتهي من وصيته حول القلب وكيفية صلاحه وإصلاحه:

- فأصلح مثواك ولا تبع آخرتك بدنياك ..
- يا بني إني قد أنبأتك عن الدنيا وحالها وزوالها وانتقالها ..
- واعلم أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافةٍ بعيدةٍ ومشقةٍ شديدة ..
- واعلم أنك خُلقت للآخرة لا للدنيا وللفناء لا للبقاء وللموت لا للحياة ..
- يا بني أكثر من ذكر الموت وذكر ما تهجم عليه وتفضي بعد الموت إليه ..
- وإياك أنْ تغتر بما ترى من إخلاد أهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها ..

وغير ذلك من الفقرات التي تؤكد على الآخرة والاستعداد لها وهو أصل المعرفة والعمل لصالح والنفس الزاكية.[2]

## المحور الثالث / العلاقة بين الإنسان والمجتمع وأثر التربية في ذلك

في هذا المحور نحاول أنْ نبين بعض مفردات هذه الوصية الخالدة التي تؤكد على دور الإنسان في المجتمع بعد أنْ مَرَّ بتلك المرحلتين المهمتين مرحلة التربية النفسية مع الله تعالى ومرحلة تهذيب النفس والذات وتزكيتها، حيث أنه بعد ذلك سوف يكون محور عمله في المجتمع ليدعو من خلال هذه العلاقة إلى بناء المجتمع والمحافظة على العلاقات الاجتماعية التي لها دور في بناء مجتمعٍ صالحٍ تبرز فيه آثاره الكريمة، حيث أنَّ الشريعة الإسلامية لا تدعو إلى تهذيب النفس فقط دون العمل من أجل تهذيب الآخرين، ولذا نرى كثيراً من الآيات المباركة تحث على العمل تحت الرعاية الإلهية، وهذا ما يخص العمل ضمن نطاق الشريعة عما سواه ، حيث نرى آثار الروح والمحبة والإيثار فيه دون سواه قال تعالى: (**وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ**

---

١ . على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي، ص ٩١.

٢ . لم نفصل جميع فقرات الوصية فيما له أثر على السلوك الفردي في هذا المحور وذلك للإطالة وحاجة الأمر لأكثر مما هو بحث مختصر ولذا اقتصرنا على بعض ما ورد ولعل فيه بيان واف لمن أراد أنْ يتخذ منه منهجاً لإصلاح نفسه وأحواله..

**وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)**[1]، وعلينا أنَّ نؤمن بأنَّ سلامة الإنسان بسلامة خطوط العلاقة والارتباط بالآخرين، وكلما تكون العلاقة أسلم يكون حال الإنسان أفضل وأسلم، ولذلك فإنَّ لشبكة العلاقات التي تربط الفرد بالآخرين أهمية كبيرة في سلامة الإنسان واستقامته وسعادته حتى إننا نستطيع أنْ نقوِّمَ الإنسان بعلاقاته وصلاته وارتباطاته، فإذا كانت علاقات الإنسان بالآخرين على أساس العدل والإنصاف والتعاون والإيثار والمحبة كان الإنسان صاحب هذه العلاقات سعيداً مستقيماً في حياته .. فكلما كان الإنسان صالحاً تكون علاقته بالآخرين صالحة وقائمة على أسس صحيحة وأخلاقية، وكلما يكون الإنسان فاسداً ينطوي على نية السوء وسوء السريرة فإنَّ علاقاته بالآخرين أيضاً تتصف بالخبث والمكر والسوء العدوان.

والعلاقة في هذا الحور يمكن بيانها إجمالاً ضمن نقاط عشرة:

- أولاً: الإخوة والصداقة والتعامل معهما . (احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ)
- ثانياً: معاشرة أهل الخير وهجر أهل الشر. (قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ)
- ثالثاً: الرزق والابتعاد عن الحرام. (بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ)
- رابعاً: اجتناب الظلم. (وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ)
- خامساً: القناعة بالكفاف. (وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ)
- سادساً: التحذير من الخصومة واللجاج. (وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ)
- سابعاً: حسن الجوار. (سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ)
- ثامناً: الحفاظ على المرأة. (وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ)
- تاسعاً: صلة الرحم والعشيرة. (وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ)
- عاشراً: التمسك بالحق. (مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ)

فهذه عشر فقرات لها دورٌ وأثرٌ في التربية الاجتماعية ويجب على الإنسان الصالح والمصلح أنْ يتحلى بها ليكون قدوة ودعية إليها فإنَّ فيها مكارم الأخلاق التي يجب أنْ يتحلى بها المؤمن لما ورد في الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (أفضلُكم إيماناً أحسنكم أخلاقاً)[2] وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (خيارُكم أحسنكم أخلاقاً الذين يَألفون ويُألفون)[3]، ونحاول في هذه السطور أنْ نعلق على هذه الفقرات بإيجازٍ شديدٍ لتتبين لنا الرؤية الكاملة لآثار هذه الوصية الخالدة المباركة وما فيها من نظامٍ اجتماعيٍّ وفرديٍّ متكاملٍ نحو الخير والصلاح.

**أولاً: الإخوة (احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ)**

وردت في هذه الوصية الخالدة عدة فقرات تؤكد على مفهوم الإخوة، بل نجد أعظم المفردات في الحث على هذه العلاقة ما لم تتجسد في غيرها من الكلمات فهي مصداق لقوله تعالى: (**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**)[4] فعلينا أنْ نتأمل في هذه الفقرات لنرى كيف يصوِّرُ لنا ربيب القرآن (عليه السلام) معنى الإخوة من خلال التأمل في هذه الفقرات التي لها علاقة بالأخوة وروابطها وآثارها، ففي هذه الكلمات تتجلى أعلى درجات الكمال في العلاقة الأخوية، وإنَّ الشريعة المقدسة في كثيرٍ من أبوابها قد حثت على هذه العلاقة لما فيها من التكامل الذاتي للنفس والمجتمع، فقد ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (المؤمنُ أخو المؤمن عينه ودليله، لا

---

١ . التوبة: ١٠٥.
٢ . تحف العقول، الحسن بن شعبة الحراني، ص٣٨.
٣ . المصدر نفسه.
٤ . الحجرات: ١٠.

يخونه، ولا يظلمه، ولا يغشه، ولا يَعده عدة فيخلفه)[1] وورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السلام): (مَن استفادَ أخاً في اللهِ على إيمانٍ ووفاءٍ بإخائه طلباً لمرضاة الله فقد استفاد شعاعاً من نور الله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يفلج بها يوم القيامة، وعزاً باقياً وذكراً نامياً)[2]، وقال الصادق (عليه السلام): (لا تتبع أخاكَ بعد القطيعة وقيعةً فيه، فيسد عليه طريق الرجوع إليك، فلعل التجارب ترده عليك)[3] وورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): (الإخوان صنفان؛ إخوان الثقة وإخوان المعاشرة، فإذا كنت من أخيك على حد الثقة فابذل له مالك وبدنك، وصافِ مَنْ صافاه، وعادِ مَنْ عاداه، واكتم سرَّه وعيبه، وأظهر منه الحسن، واعلم أيها السائل إنهم أقلُّ من الكبريت الأحمر)[4] وفي الإخوة الحقيقة يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (إنَّ أخاك حقاً مَنْ غفرَ زَلَّتك، وسَدَّ خِلَّتك، وقَبِل عذرك، وسترَ عورتك، ونفى وَجَلَك، وحقق أملك)[5] وفي ترك عتاب الأخ يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (احتمل أخاك على ما فيه، ولا تكثر العتاب فإنه يورث الضغينة، واستعتبْ من رجوتَ عتابه)[6]، وأما خير الإخوان فيصفهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: (خيرُ إخوانِكَ مَنْ دعاكَ إلى صدق المقال بصدق مقاله، وندبك إلى أفضل الإعمال بحسن عمله)[7]، وكذا ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: (خيرُ إخوانك مَنْ أعانك على طاعة الله وصَدَّك عن معاصيه، وأمرَكَ برضاه)[8]، وأما في اختيار الصديق فيقول أمير المؤمنين (عليه السلام): (الصديقُ مَنْ كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البر والإحسان)[9]، وأما حدود الصداقة فيبيِّنها الإمام الصادق (عليه السلام) فيقول: (لا تكون الصداقة إلا بحدودها، فمَنْ كانت فيه هذه الحدود أو شيء منه وإلا فلا تنسبنَّه إلى شيءٍ من الصداقة، فأولها: أنْ تكون سريرته وعلانيته لك واحدة, والثانية: أنْ يرى زينكَ زينَهُ وشينكَ شينَهُ. والثالثة: أنْ لا تُغَيِّره عليك ولايةٌ ولا مالٌ. والرابعة: لا يمنعك شيئاً تنالُ مقدرته. والخامسة: وهي تجمع هذه الخصال أنْ لا يُسلمك عند النكبات)[10].

فهذه بعض الأحاديث المباركة التي تأسس لهذه العلاقات الاجتماعية، ولا يخفى أنَّ الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته الحقوقية يبين حق هذه العلاقة فيقول: (وأما حق الصاحب فأنْ تصحبَهُ بالفضل ما وجدتَ إليه سبيلاً، وإلا فلا أقلَّ من الإنصاف، وأنْ تكرمَهُ كما يكرمكَ، وتحفظهُ كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه إلى مكرمةٍ، فإنْ سبقَكَ كافأتَهُ، ولا تقصِّر به عما يستحق من المودة، تلزمْ نفسكَ نصيحتَهُ وحياطتَهُ ومعاضدتَهُ على طاعةِ ربه، ومعونتَهُ على نفسهِ فيما يهمُّ به من معصيةِ ربه، ثم تكون [عليه] رحمة ولا تكون عليه عذاباً ولا قوة إلا بالله).[11]

ولذا حث الإسلام في كثير من تشريعاته على المحبة والتعاون والإخوة والسعي في قضاء حوائجهم، ففي الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: مَنْ كانَ في حاجةِ أخيه المسلم كان الله في حاجته. حيث يعقِّب الشيخ «ناصر مكارم الشيرازي» على هذا الحديث في كتابه

---

١ . الكافي ٢ / ١٦٦.
٢ . تحف العقول ص ٢١٣.
٣ . ميزان الحكمة ٤١/١.
٤ . ميزان الحكمة، ١ / ٤٣.
٥ . غرر الحكم، الحكمة (٩٦٤٥).
٦ . ميزان الحكمة، ١ / ٤٥.
٧ . غرر الحكم، الحكمة (٩٥٣٥).
٨ . ميزان الحكمة ١ / ٤٦.
٩ . غرر الحكم، الحكمة (٩٤٧٧).
١٠ . ميزان الحكمة، ١ / ١٥٨٩.
١١ . رسالة الحقوق.

«دروس في الحياة ص» بقوله: (يعتقد أغلب الأفراد إنَّ الانهماك في حل مشاكل الآخرين يصده عن التقدم في حياته، والحال لا ينسجم هذا الأمر والمنطق الإسلامي، فقد أشار الحديث المذكور إلى أنَّ الإنسان إذا سعى لحل مشاكل الناس وتلبية حاجاتهم فإنَّ الله سبحانه الذي تفوق قدرته جميع القدرات سيعين ذلك الإنسان على حل مشاكله...)

فهذا جزء مما يتعلق بوصية أمير المؤمنين (عليه السلام) حول الأخوة والصحبة وما فيها من الآثار التي لا تخفى.

**ثانياً / المعاشرة والصحبة(قارِنْ أَهْلَ اَلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ وَبَايِنْ أَهْلَ اَلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ)**

فهذا أمرٌ مهمٌ أيضاً يجب علينا الالتفات إليه والاهتمام به من حيث المعاشرة والصحبة إذا أنَّ ذلك له أثرٌ بالغٌ على النفس وعلى العلاقة مع الآخرين، فيجب على الإنسان أنْ يحسن العشرة مع أهل الخير الذين يتصفون بالصفات الحميدة ومكارم الأخلاق ويكون قريناً لهم دون سواهم، فإنَّ هؤلاء هم خيرُ معينٍ للوصول إلى الطاعة والرضا والذكر الجميل، فعلينا أنْ نكون على دقةٍ في المعاشرة مع الآخرين لأنَّ العشرة والصحبة لها علاقة في الروابط الاجتماعية وصلاح المجتمع، وقد وردت في ذلك روايات عدة منها ما ورد في اتخاذ الإخوان والصديق كما مر، وخير ما ورد في ذلك عن الإمام الكاظم (عليه السلام) قوله: (اجتهدوا في أنْ يكون زمانكم أربع ساعات، ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم في غير محرم وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات)[1] فهذه الرواية تبين لنا ملامح المعاشرة بدقةٍ متناهيةٍ، فليس يصاحب الإنسان أيَّ أحدٍ بل مَنْ جُمِعت فيه هذه الخصال، ومما ورد في ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (ليس شيءٌ أدعى لخيرٍ، وأنجى من شرٍّ من صحبةِ الأخيار)[2]، وفي التحذير من صحبة الأشرار يقول (عليه السلام): (صحبةُ الأشرارِ تكسبُ الشرَّ، كالريحِ إذا مَرَّتْ بالنتن حملت نتناً)[3] وقال (عليه السلام): (صحبةُ الأحمقِ عذابُ الروح)[4] بينما (صحبةُ الوليِّ اللبيبِ حياةُ الروح)[5] وغير ذلك مما ورد في العشرة والمعاشرة واختيار الأخيار لمعاشرتهم حيث لا يحتاج إثبات عظمة هذه الصُّحبة إلى مزيدٍ من الأحاديث أو الاستدلال في أثره على صلاح المجتمع.

**ثالثاً / الرزق والابتعاد عن الحرام(بِئْسَ اَلطَّعَامُ اَلْحَرَامُ..وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ)**

إنَّ هذا الأمر يعد من المسائل الجوهرية التي لها علاقة بالإنسان المسلم في المحافظة على نفسه من الوقوع في المحرمات عن طريق الكسب غير الشرعي، فيحتاج إذاً أنْ يتأمل في المال الذي يحصل عليه ومصدره، لأنَّ هذا المال مصدر غذائه المادي فإنْ كان حلالاً فإنه يبني ذلك الجسد على أصلٍ حلالٍ، وإنْ كان حراماً فإنه يُدخل في جوفه الحرام، وما في ذلك الخطر والسوء على الإنسان، فيُبني ذلك الجسد على الحرام فيكون بعيداً عن الله تعالى.

والإمام (عليه السلام) يشير في هذه الفقرة إلى الاهتمام بالنسبة للناس بالعمل، والحث على العمل، ولكن العمل الحلال الذي يحصل به على الكسب الحلال دون الحرام، ولذا فإنَّ الرزق أمرٌ مهمٌّ يجب علينا أنْ نفكِّرَ في كيفية حصوله دون عدم الاهتمام والمبالاة في ذلك، فيقول (عليه السلام) في بعض مقاطع الوصية: (واعلم يا بني إنَّ الرزق رزقان: رزقٌ تطلبُهُ، ورزقٌ يطلبُك، فإنْ أنت لم تأتِه أتاك) وفي كل هذا إشارة إلى الكسب والعمل دون التذمر والبطالة والعطل.

---

١ . تحف العقول ص ٣٠١.
٢ . غرر الحكم، الحكمة (٩٤٣٥).
٣ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٨٢٦).
٤ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٨٥١).
٥ . المصدر نفسه، الحكمة (٩٧٧١).

ومن الروايات المباركة التي وردت في الحث على طلب الحلال قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (العبادةُ عشرةُ أجزاءٍ، تسعةٌ في طلبِ الحلال)[1]، بل إنَّ طلب الحلال والعمل والجهد فيه يُعَدُّ جهاداً كما في بعض الروايات فعن النبي (صلى الله عليه ولآله وسلم): (الكادُّ على عيالِهِ كالمجاهدِ في سبيل الله)[2]، وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) في الحث على ذلك: (مَنْ باتَ كالاً في طلب الحلال يأتِ مغفوراً له)[3]، ففي كل ذلك حث المجتمع على التفكر في كيفية العمل، دون تكالبِ بعضهم على بعض من أجل الحصول على المال ولو كان من الحرام، فإنَّ الرزق الحلال تظهر آثاره على الفرد والمجتمع من حب الخير والإحسان، وأما الحرام فإنه ينشر الرذيلة والجريمة.

**رابعاً / اجتناب الظلم(وَظُلْمُ اَلضَّعِيفِ أَفْحَشُ اَلظُّلْمِ)**

إن الظلم من أقبح صفات العباد، بل هو من صفات الطغاة والظلمة، وإنَّ نتيجة الظلم ظلماتٌ وعذاب، وقد حذَّرَ الله تعالى من هذه الصفات المذمومة في كثيرٍ من آياته المباركة وكذا الروايات الشريفة، وهذا أمرٌ عقليٌّ وبديهيٌّ لا يحتاج إلى دليل واستدلالٍ عليه بل حتى التذكير فيه، وإنَّ ذكر الإمام (عليه السلام) إنما يأتي من حيث التأكيد على الصفات الحميدة التي يجب على المسلم أنْ يتحلى بها ويتذكَّرها دائماً، لأنَّ الظلمَ حبلُهُ قصيرٌ ولا بد أنْ ينقطعَ بأهله، وكُلُّ أنواع الظلم قبيحٌ ولكنَّ أقبحها هو ظلم الضعفاء الذين لا ناصر ومعين لهم، قال تعالى في التحذير من عواقب الظلم: **(وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي القَوْمَ المُجْرِمِينَ)**[4] وقال تعالى: **(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)**[5] ومن الأحاديث الشريفة قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (اتقوا الظلمَ فإنه ظلماتٌ يوم القيامة)[6]، وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): (الظلمُ يزلُّ القدم، ويسلبُ النِّعَم، ويهلكُ الأمم)[7]، وقال (عليه السلام): (بئسَ الزادُ إلى المعادِ العدوان على العباد)[8]، العباد)[8]، ومن آثار الظلم كما ورد في الروايات أنه أكبر المعاصي، وأنَّ الظالم لا يشم رائحة الجنة، وأنه يخرب القلوب، وأنَّ فيه التدمير والهلاك، وقصر العمر وغير ذلك.[9]

بل إنَّ الشريعة المقدسة حثت على نصرة المظلومين والأخذ لهم بحقوقهم وإعاناتهم، فقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ أخذ للمظلوم من الظالم كان معي في الجنة مصاحباً)[10]، بل ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يؤكد عظمة نصرة المظلوم من الظالم قوله: (ما مِنْ مؤمنٍ يعينُ مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضلَ من صيام شهرٍ واعتكافٍ في المسجد الحرام، وما من مؤمنٍ ينصرُ أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصرهُ الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمنٍ يخذلُ أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذلهُ الله في الدنيا والآخرة)[11] وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في التحذير من الظلم والحث على نصرة المظلوم، فالإمام (عليه السلام)

---

١ . ميزان الحكمة، ٣ / ١٧٤.
٢ . المصدر نفسه.
٣ . المصدر نفسه.
٤ . يونس: ١٣.
٥ . النمل: ٥٢.
٦ . الكافي ٢ / ٢٣٢.
٧ . غرر الحكم، الحكمة (١٠٤١١).
٨ . ميزان الحكمة، ٤ / ١٧٧٠.
٩ . يراجع ميزان الحكمة، ٤ / ١٧٦٩.
١٠ . المصدر نفسه، ٤ / ١٧٨٠.
١١ . المصدر نفسه.

يؤكد على هذا المبدأ الإنساني ويبيِّن أثره على النفس والمجتمع من أجل المحافظة على المجتمع من آفات الظلم والظالمين.

**خامساً / القناعة والكفاف(وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ)**

وهذا الأمر في هذه الفقرة له علاقة وثيقة بالتي قبلها حيث أنَّ الإنسان لو تخلَّق بصفتي القناعة والكفاف لم يفكر في الحصول على المال من الحرام، وهذا من أعلى درجات الخلق الرفيع الذي ينبغي على الفرد أنْ يتحلى به، والروايات الشريفة أيضاً قد حثت على ذلك، فمنها قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (ما قَلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى)[1] وقال أمير المؤمنين (عليه السلام)في آثار القاعة والكفاف: (ومَن اقتصرَ على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة، وتبوأ خفض الدعة).[2]

وينبغي بيان بعض الأمور التي لها أثر في زيادة الرزق والأموال فلعل بعضٌ يتصوَّر من خلال ما مضى أنَّ الشريعة ضد الغنى والحصول على المال فإنَّ هذا مفهومٌ خاطئ بل القران يتحدث عن ذلك بصراحة حيث قال تعالى: **(قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ)**[3] فالشريعة ليست ضد ذلك بل يجب على الإنسان أنْ يعرف كيفية الحصول على المال الحال والقناعة والكفاف به وإنْ كان قليلاً، لأنَّ صفة الطمع تؤدي بصاحبها إلى المحرمات وسوء الخُلُق وما يترتب على ذلك من آثار على العبد والمجتمع من خلال العلاقات العامة بالمحافظة على الأخلاق والمبادىء والارتقاء بهما، ولزيادة الرزق أسباب عدة كما بيَّنتها الروايات منها: البر والإحسان سواء لأهل بيته أم لغيره، وحسن الخلق، ومواساة الإخوان، والأمانة والطهارة والتطهر، والتصدق على الآخرين، إضافة إلى تأدية الحقوق الشرعية الواجبة.[4]

إذاً فالإمام (عليه السلام) يبغي في هذا المقطع من وصيته الخالدة المحافظة على سلامة النفس مما يؤثِّر في سموِّها وارتقائها وفي ذلك أعظم النظم لتنظيم الحياة الاجتماعية.

**سادساً / التحذير من الخصومة واللجاج (وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ)**

وهذا سبب مهم من أسباب المحافظة على العلاقات الاجتماعية وتقوية روابطها دون الاغترار بالنفس وما عندها مما يؤدي ذلك إلى اعتداد الإنسان بنفسه لا غير حتى يؤدي ذلك به إلى أنْ يخاصم الآخرين باللجاج والعناد، فيفسد خلقه ويبعد الآخرين عنه، فيفتقد وُدَّهم وتواصلهم والتعاون معهم في سبيل المجتمع، ولذا يعبر الإمام (عليه السلام) بلفظ التحذير (وإياك) لما فيها من الآثار السيئة إضافة عن تعبيره بـ (الجموح) وفيه تأكيد على ذلك التحذير من آثار هذه الصفات من ركوبها صاحبها، فقد ورد في معنى الجموح قولهم: (جمح وهو ذهاب الشيء قُدُماً بغلبةٍ وقوةٍ)[5] ولا يمكن التغلُّب على ذلك إلا بصفاء القلب وتنوُّره بالحكمة والخلق الحسن الذي مضى الحديث عنه في المحور الأول وما كان متعلقاً بالذات وتربيتها، ولذا حذرت الشريعة من هذه الصفة في كثيرٍ من الروايات منها ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): (إياكم والخصومة فإنها تشغلُ القلب، وتورثُ النفاق، وتكسبُ الضغائن)[6]، وقال أيضاً: (لا يخاصم إلا مَنْ قد ضاق بما في صدره)[7] وغيرها من الروايات التي تحذر من ذلك وخطره.

**سابعاً / حسن الجوار(سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ وَعَنِ الجَارِ قَبْلَ الدَّارِ)**

---

١ . نفس المصدر، ٤ / ١٠٧٧.
٢ . نهج البلاغة الحكمة (٣٧١).
٣ . الأعراف: ٣٢.
٤ . وقد ورد في كل ذلك أحاديث مباركة لم أذكرها خوف الإطالة ويمكن مراجعة ميزان الحكمة ج٣ باب (ما يجاب الرزق ويزيده) ص ١٠٧٣.
٥ . معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة (جمح).
٦ . الكافي ٢ / ٣٠١.
٧ . المصدر نفسه.

إنَّ حسن الجوار من أعظم المسائل التي أكد عليها الإسلام في تشريعاته المباركة، قال تعالى: (وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لاَيُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً)[1] وكذا الروايات الشريفة وبيان حقوق الجار ومسؤولية المسلم تجاه ذلك حتى مع غير المسلمين وفي ذلك بيان رفعة وعلوٍّ ومقام الشريعة المقدسة حيث أنَّ المشرك أيضاً له حق الجوار ويجب علينا الحفاظ عليه حيث روي في ذلك عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (الجيران ثلاثة، جارٌ له ثلاثة حقوق: حق الجوار، وحق القرابة، وحق الإسلام. وجارٌ له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وجارٌ له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب)[2] وفي ذلك أعظم دعوة للنظام الاجتماعي المتكامل، وخير بيانٍ لهذا الأمر ما أكده الإمام السجاد (عليه السلام) في رسالته العظيمة رسالة الحقوق حيث يقول: (وأما حقُّ جارِكَ فحفظُهُ غائباً، وإكرامُهُ شاهداً، ونصرتُهُ إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورةً، فإنْ علمتَ عليه سوءً سترتَهُ عليه، وإنْ علمتَ أنه يقبلُ نصيحتَكَ نصحتَهُ فيما بينكَ وبينه، ولا تُسلمه عند شديدةٍ، وتُقيلُ عثرتَهُ، وتغفرُ ذنبَهُ، وتعاشرهُ معاشرةً كريمةً، ولا قوة إلا بالله)[3] فهذه جملة من حقوق الجار يجب علينا الحفاظ عليها وفي ذلك غنىً عن بيان أبعاد وآثار هذا الخلق الإسلامي الرفيع، والإمام (عليه السلام) يؤكد ذلك في وصيته الخالدة لما في ذلك من المحافظة على حقوق المجتمع والأخذ به نحو كماله وتكامله.

ثامناً / كرامة المرأة (واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ، فَإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لاَ يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ)

إنَّ الإسلام أعظم الأنظمة الاجتماعية التكاملية التي حافظت على كرامة المرأة وحقوقها وشرَّعت الإحكام في ذلك، ولو أننا اطلعنا على الأحكام الشرعية العامة المتعلقة بالمرأة وتمت مقارنتها مع الأنظمة الأخرى لرأينا عظمة الإسلام في الحفاظ على المرأة من كُلِّ أمرٍ يؤدي سوءً إليها، والآيات المباركة والأحاديث الشريفة تؤكد هذا المعنى، بل لو تمت دراسة حال المرأة قبل الإسلام وبعده لتبينت لنا أيضاً حقيقة ومكانة المرأة المكرَّمة، وفي هذه الوصية الخالدة يشير الإمام (عليه السلام) إلى عدة مسائل تتعلق بالمرأة ونحن نختار منها أمراً واحداً وهو ما يتعلق بحجاب المرأة وأهمية هذه المسألة ودوره في حفظ المرأة والمجتمع من الزلل والضلال، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الأمر في قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً**)[4] حيث ورد في تفسير هذه الآية المباركة: (إنَّ المراد بالجلباب أنه قماشٌ أطولُ من الخمار يغطي الرأس والرقبة والصدر، أو أنه المقنعة والخمار، أو القميص الفضفاض الواسع، فالعامل المشترك فيها تستر البدن)[5] فالحجاب أحد السُّبُل التي تحافظ على المرأة وتصونها من الضياع، والروايات أكدت ذلك فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قوله: (صيانةُ المرأةِ أنعمُ لحالها، وأدومُ لجمالها)[6] وكذا في الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في عدم الخلوة بالنساء وآثار ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ إلا كان ثالثهما الشيطان)[7] إذاً فالتعامل مع المرأة يجب أنْ يكون ضمن الحدود الشرعية

---

١ . النساء: ٣٦.
٢ . مجمع البيان ٣ / ٨٣.
٣ . رسالة الحقوق.
٤ . الأحزاب: ٥٩.
٥ . الأمثل، ١٣ / ٢٥١.
٦ . ميزان الحكمة، ٧ / ٢٨٧٦.
٧ . المصدر نفسه.

والضوابط الأخلاقية التي لا تؤدي إلى الإفساد والانحلال، فالمجتمع الذي نراه اليوم – حقيقة- هو بعيدٌ عن تعاليم الشريعة المقدسة وهذه الوصايا العظيمة، والأمر ليس متعلق بتركِ الحجاب في هذه المقطع فقط، بل ما يتعلق بدخولها وخروجها وإدخال الغير عليها، وكُلُّ ما يتعلق بشؤونها وصيانتها، وهذه من أعظم المناهج التربوية والوصايا إلى أولياء الأمور للتأمل في ذلك، وخصوصاً في هذا الزمن حيث تكالب أعداء الإسلام على المسلمين ومحاولة إفساد أخلاقهم من خلال جميع الوسائل وخصوصاً القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة، فيجب علينا الحذر من كل ذلك حيث أصبح العدو اليوم يدخل إلى البيوت، بل إلى الغرف الخاصة، فلنتأمل في قوله (عليه السلام): (وليس خروجهن بأشد من إدخالك مَنْ لا يوثق عليهن) فإنها تحمل في أعماقها معانٍ كبيرة جداً، وما تلك الصور المخالفة الشريعة والبرامج والقنوات إلا بمثابة دخول مَنْ لا يوثق عليهنَّ.

**تاسعاً / صلة الرحم (وَأكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ وَأَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ وَيَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ)**

إنَّ صلة الرحم والتواصل من أهم السبل في المحافظة على الروابط الاجتماعية التي حث عليها الإسلام من خلال تعاليمه، ولا يخفى على أيِّ إنسانٍ أثر ذلك في الصلاح، إضافة للثواب العظيم الذي وعد الله تعالى عليه، فالإمام يحث على إكرام العشيرة والتواصل وصلة الرحم في وصيته المباركة للمحافظة على ذلك التواصل والتراحم والتعاهد، ولكن كل ذلك يجب أنْ يكون ضمن الحدود التي تحفظ للمرء كرامته ومبادءه وتعاليم الشريعة المقدسة لا ما هو المتعارف عند بعض الناس من الالتزام بالأعراف العشائرية وإنْ كانت على حساب الدين والمبدأ، وقد أشار الله تعالى في كتابة المجيد إلى ذلك بقوله: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)**[1] فالتعارف بين الناس على أساس المحبة وتقوى الله غاية عظيمة وعلى أساسها تُبنى العلاقات الكريمة، وكذلك فإنَّ الروايات المباركة قد حثت على هذا المبدأ القرآني في بناء المجتمع الإنساني المتكامل حيث روي عن أمير المؤمنين في إحدى خطبه: (أيها الناس إنه لا يستغني الرجلُ وإنْ كان ذا مالٍ عن عترته (عشيرته) ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، وهم أعظمُ الناسِ حيطة من ورائه وألَمَّهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلةٍ إذا نزلت به)[2] وإنَّ لصلة الرحم آثاراً كثيرةً تضمنها الروايات، ومن أهم آثار هذه الصلة تزكية الإعمال، وتنمية الأحوال، ودفع البلاء، وتيسير الحساب، وتهوين سكرات الموت، والعصمة من الذنوب، وخير الدنيا والآخرة، وطول العمر، ونفي الفقر، والوقاية من ميتة السوء، وغيرها من الآثار المباركة.[3]

فالإمام في وصيته الخالدة يؤكد على هذه الأهداف إضافة لما لها من الآثار التربوية الأخرى على الفرد والمجتمع في تكامله.

**عاشراً / التمسك بالحق (مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ)**

وهذه الصفة أيضاً من الأسباب المهمة التي تساعد الفرد على تربية ذاته وبالتالي تربية المجتمع من خلال التمسك بالحق والتواصي به والحفاظ على مبادئه دون الركون إلى الباطل والتنازل عن المبادئ السامية للفرد والمجتمع الإسلامي، فإنَّ الحق يوصل إلى الخير والبر والتعاون وتحقيق السعادة في كل مجالاتها، وما نراه من الويلات التي تمر بها الإنسانية إلا بسبب ابتعادهم عن الله تعالى والركون إلى الباطل عن طريق اللذات والشهوات وما يترتب على ذلك من آثار، ولذا يعبر الإمام (عليه السلام) بلفظ (التعدي) فإنَّ فيه من الآثار ما لا يمكن أنْ يراها الفرد والمجتمع في العاجل بل قد يقع في ظلماتها في المستقبل، ولذا يُعَبِّر الإمام عن هذه العاقبة

---

١ . الحجرات: ١٣.

٢ . نهج البلاغة، الخطبة (٢٢).

٣ . وقد ورد في الشريعة أحاديث كثيرة تتضمن هذه الآثار يمكن الرجوع إليه في كتب الحديث ومنها ميزان الحكمة باب (صلة الرحم) ص١٠٥٤.

بقوله: (ضاق مذهبه) وإذا ضاق بالمرء مذهبه وما يؤمن به صار يتخبَّط مع هذا وذاك حتى الضياع التام.
فهذا أمر يجب علينا أنْ نؤمن به، ونحافظ عليه، ونقدم له كل شيء، لأنَّ فيه الصلاح والوصول إلى الله تعالى، وجميع الشرائع حثت على ذلك.
في ختام هذه الفقرة العاشرة نكون قد بَيَّنا بإيجازٍ بعض الفقرات لهذه الوصية الخالدة وما لها دورٍ كبيرٍ وأثرٍ بليغٍ في بناء الروابط الإنسانية في المجتمع، وإنَّ هذه الوصية قد تضمنت من المعاني ما لا تفي حقها سطور هذا البحث المتواضع، بل تحتاج إلى دقةٍ وتأملٍ كبيرَيْن للتعرُّف على مفرداتها السامية والتي بلغت العشرات، وفي كل فقرة منها درسٌ من دروس التربية النفسية والاجتماعية وقد اقتصرنا على بعض الفقرات اختصاراً للبحث، نتمنى أنْ نكون قد استطعنا أنْ نبيِّن بعض الجوانب المهمة لهذا الوصية المباركة الخالدة التي أوصى بها ربيب القرآن أمير المؤمنين (عليه السلام) ولده الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام) وهي بالتالي لكُلِّ إنسانٍ وكُلِّ مجتمعٍ يبحث عن نجاحه وسعادته ووصوله إلى الرُّقي والتكامل الإنساني.
اللهم تقبل منا بأحسن قبولك واجعلنا ممن ينتفعُ ويُنفع بهذه الكلمات الخالدة وآخر دعوانا أن الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

## الخاتمة

* إن كتاب نهج البلاغة يعد من الكتب التربوية التي ينبغي علينا الاهتمام بها وقد تناول البحث هذا الجانب لأهميته في الحياة العملية من أجل مجتمعٍ إنسانيٍّ متكامل وقد حاولنا بيان بعض المفردات التي تضمنتها وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) الخالدة لولده الإمام الحسن (عليه السلام) من خلال محاور البحث ..
* في المحور الأول تم التركيز على مرحلة تهذيب الذات وعلاقتها الخاصة مع الله تعالى وأثر ذلك على التربية النفسية من خلال بعض مفردات الوصية وبيانها من خلال الآيات المباركة والأحاديث الشريفة التي وضعت منهجاً لذلك..
* في المحور الثاني تم بيان أثر بعض الأعمال على سلامة قلب الإنسان مما يشوبه من المساوىء والانحرافات وبيان الأبواب التي تحافظ علة سلامة القلب من خلال كلمات الوصية وقد اخترنا عشرة أبواب لها دور في الحفاظ على القلب ليكون منبعاً للخير والعمل الصالح والتفكير السليم للصلاح والإصلاح والنجاة والسعادة ..
* في المحور الثالث للبحث تناولنا الجانب الأبعد لتربية الذات وهو بيان دورها في المجتمع من خلال العلاقة مع الآخرين بأنواعها وكيفية المحافظة على جميع العلاقات من خلال طريق تربويٍّ يبينه الإمام (عليه السلام) في هذه الوصية العظيمة التي لها أثر كبيرٍ في صلاح المجتمع بعد صلاح النفس ..
* أرى من الواجب الاهتمام بهذه الوصية لما فيها من الدروس والعبر النافعة لأنْ تكون منهاجاً تربوياً متكاملاً في شتى المجالات، علماً أننا في البحث لم نتناول جميع المفردات التي وردت في الوصية وذلك لضيق المقام وإلا فهناك توصيات أخرى في هذه الوصية تحتاج إلى تسليط الضوء عليها، وأتمنى أنْ يوفَّقَ الباحثون في مجال التربية إلى دراسة هذه الوصية بإمعانٍ وتدبرٍ كبيرين والمقارنة بين هذا المنهج الرباني والمنهج الإنساني ومنه الغربي لنرى عظمة تراثنا الإسلامي وتكامله واهتمامه بالتربية وبالإنسان ..

## التوصيات

إننا ومن خلال هذه البحوث التي تحاول أنْ تتناول هذا النهج العظيم (نهج البلاغة) يرى الباحث وبتواضع أنْ يوصي ببعض الوصايا التي يراها مهمة لعل الإخوة في اللجنة العلمية أو التحضيرية يأخذون بها أو يطالبون الجهات المختصة، من هذه التوصيات:

١- مطالبة وزارة التربية بإدخال عدة خطب وكلمات لأمير المؤمنين (عليه السلام) وردت في هذا السِّفْر الخالد (نهج البلاغة) لما فيها من المعاني الراقية، والفصاحة العالية، ليتعلم الأجيال الفصاحة العربية الإسلامية وما في ذلك من الأهمية الكبيرة في مجال تربية الأجيال.
٢- أنْ تؤخذ عدة نصوص وتدخل المناهج الدراسية وخصوصاً مرحلة الإعدادية وبالأخص القسم الأدبي فتكون النصوص تارة للحفظ وأخرى للشرح وثالثة لبيان الوجه البلاغي الإبداعي، دون ما نراه من نصوص تفتقد إلى الروح الدينية والأخلاقية والتراثية.
٣- مطالبة وزارة التعليم العالي باستحداث مادة خاصة اسمها (نهج البلاغة) وخصوصاً للكليات الأدبية والدينية أو لبعض الكليات وتتناول بعض خطب الكتاب بالدراسة والتحليل.
٤- أدعو وأنا أقلُّ الداعين إلى إنشاء مركزٍ تخصصيٍّ للدراسات الفكرية والعلمية والثقافية لنهج البلاغة في هذه المدينة المقدسة التي انطلقت منها مفردات البلاغة والمعاني والبيان ليكون هذه المركز متخصصاً في كل ما يتعلق بنهج البلاغة من حيث البحوث والمؤلفات والدراسات وطبع المنشورات وغيرها.
٥- أتمنى أنْ تكون هناك مسابقة سنوية للكتابة عن محورٍ معينٍ واحدٍ لمحاور نهج البلاغة لنحصل بذلك على مجموعة كبيرة من البحوث القيمة التي ترفد المكتبة الإسلامية وخصوصاً لو كانت المسابقة عالمية وبلغات مختلفة.

## قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش، مط سليمان زاده، قم، ط٢، ١٤٢٨هـ.
- الأخلاق عنوان الإيمان، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: محبي الحسين (عليه السلام)، ط٤، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، قم.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.
- تحف العقول عن آل الرسول، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، ط٧، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.
- تزكية النفس سبيل المؤمن، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: محبي الحسين (عليه السلام)، ط١ ١٤٢٧هـ، قم.
- التعلم والتعليم في النظرية التربوية الإسلامية، يوسف مدن، مط دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م.
- التوازن في الشخصية الإسلامية، حسين بركة الشامي ،ط٢ ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م، الناشر: ديوان الوقف الشيعي.
- جامع السعادات، الشيخ محمد مهدي النراقي، صححه وعلق عليه السيد محمد كلانتر، ط٤، مط الآداب، النجف، الناشر: جامعة النجف الدينية.
- الحقوق الاجتماعية في الإسلام، عباس ذهبيات، مط سفارة، قم، ١٤٢٦هـ الناشر: مركز الرسالة
- دروس في الحياة، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ط١، مط أمير المؤمنين (عليه السلام)، قم، الناشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).
- دور الدين في حياة الإنسان، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط٢، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م، مط عمران، قم، الناشر: مؤسسة الكوثر للمعارف الإسلامية.
- الدين النصيحة، الشيخ عباس كاشف الغطاء، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، دار العلوم، بيروت.
- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مط دار الكتب العربية الكبرى، مصر.
- شرح نهج البلاغة، محمد عبده، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مط الاستقامة، مصر.

- الصحيفة السجادية، الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تقديم السيد محمد باقر الصدر، مط رسول، ط١، ١٤٢٦هـ٢٠٠٦م، قم، الناشر: مدين.
- على أبواب الآخرة، السيد محمد تقي المدرسي، الناشر دار محبي الحسين (عليه السلام)، ط١، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥م.
- غرر الكلم ودرر الحكم، الآمدي.
- في رحاب القرآن/ الكلمة الطيبة في القرآن، الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م، إيران، الناشر: المشرق للثقافة والنشر.
- الكافي، الشيخ الكليني (ت ٣٢٨هـ)، صححه وقابله وعلق عليه علي أكبر الغفاري، الناشر: دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٩١هـ.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ١٩٩٥م.
- مصطلحات قرآنية، الدكتور صالح عضيمة، مط دار النصر، بيروت، الناشر: الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية، ١٤١٤هـ١٩٩٤م.
- المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، بغداد، ١٤٢٥هـ٢٠٠٤م.
- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، مط دار إحياء التراث الغربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م.
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ٢٠٠٨م.
- المنهج التربوي عند أهل البيت (عليه السلام)، السيد سعيد كاظم العذاري، مط ليلى، الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) ١٤٢٧هـ، قم.
- مواهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مط الديواني، بغداد، ط٣، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م.
- وسائل الشيعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تح مؤسسة تراث آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، ط٣، ١٤١٦هـ، قم.
- ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ط٢، مط دار الحديث، تح دار الحديث، ١٤١٦هـ،
- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ١٩٩٧م.

## قائمة الرموز

| | |
|---|---|
| ص | صفحة |
| ش | شرح |
| تح | تحقيق |
| م | سنة ميلادية |
| هـ | سنة هجرية |
| ط | طبعة |
| مط | مطبعة |

# دراسة ومقدمة في تحقيق مستدرك نهج البلاغة

## لاية الله العظمى الشيخ هادي كاشف الغطاء

**الباحث: السيد علي ناصر البغدادي**

### مقدمة الدراسة والتحقيق

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم وشانئيهم من الأولين والآخرين إلى قيام الدين.

فالكلام عن خطب ورسائل وكلمات حكم قصار هو كلام عن ملقي هذه الكلمات ومسطرها ألا وهو الإمام أمير المؤمنين علي والذي هو بحق سيد البلغاء والمتكلمين، ولا يسعني الكلام ولا يسعفني المقام أن أتكلم عن شخصية قال عنها رسول الله : «لا يعرفك إلا الله وأنا»، فكيف بمن هذا مقامه وشأنه أن يصفه من مثلي وجهلي، إلا أن «ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه»، وكلّي أسف على الزمن الخؤون أن لا يتصدى أحد لإنشاء مؤسسة تعنى بدراسات تخصصية في معالم هذه الشخصية كما وتعنى بما جاء به من خطب ورسائل، سيّما ما ورد عنه من الكلمات القصار؛ ففيها من روائع الكلم وغرر الحكم مما لم يقوله من الأولين والآخرين على وجه البسيطة غيره، كلّ ذلك كان بفضل من قال عنه هو نفسه: «كنت أتبعه اتّباع الفصيل لأمه في كلّ يوم كان يرفع لي عَلَماً أو عِلْما»...

إلا أنني وللإنصاف قد وجدت وقبل أكثر من عشرين عاما كتابا موسوما بـ ـ دائرة المعارف العلوية ـ لمؤلفه جواد ـ تارا، وفقط جزءاً أولا ولم أر له تتمة، وقد وفق هذا المؤلف بتقديم مثل هكذا كتاب إلا أنه لم يسلط الضوء والدراسة إلا على أربع كلمات قصار، وهذا العدد بالنسبة إلى الكم الهائل من غرر حكمه ودرر كلمه لا تعد شيئا مذكورا، وعلى أية حال فهي دعوة للالتفات إلى مثل هذه الشخصية وإلى مثل هذا المشروع، سائل المولى سبحانه أن يوفقنا وجميع المشتغلين لما فيه الخير والصلاح وأن يجنبنا وإياهم مرديات الفتن ومضلاتها، بالنبي وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

### عملنا في التحقيق:

أنا أتأسف لعدم إمكاني من إنجاز التحقيق بالصورة التي رسمتها لهذا الكتاب القيّم؛ وذلك بسبب ضيق الوقت لإنجاز مثل هذا المشروع، وذلك أني قمت في مجال تحقيقي لهذا الكتاب في الدراسة الأولية:

أولا: بضبط النصوص وقابلتها بالمطبوعة الموجودة في مؤسسة كاشف الغطاء العامة .

ثانيا: بتحقيق النصوص في الأبواب الثلاثة.

ثالثا: بتخريج بطاقات هويات كتب المصادر والمراجع في التحقيق.

رابعا: فهرسة لكتب المصادر والمراجع ومؤلفيها.

ولله الحمد والمنة أني أنجزت مشروعي هذا بلا متاعب في التحقيق، إلا أني أتأسف لضيق الوقت، أما إني أعدأني عامل فعلا في دراسة حديثية تهتم بالأصول الحديثية وكذلك دراسة عن معاني الكلمات المبهمة على المتلقي الحاضر في ما ذكره الإمام في زمنه، وكذلك بعض الأوجه البلاغية التي يمن الله عز وجل علينا بالفهم والتفهيم؛ بحيث تليق بهذا الكتاب القيم، وسيتم إنجازه وطبعه في القريب العاجل إن شاء الله عز وجل.

المحقق

## ترجمة المؤلف

**مولده ونسبه :**

الشيخ الهادي نجل العلامة الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ الكبير جعفر صاحب (كشف الغطاء)، النجفي. ويرجع نسب هذه الأسرة الشريفة إلى الصحابي الجليل مالك الأشتر.

وقد اختلف في سنة ولادته فالبعض ذكر أنّه ولد في النجف عام ١٢٨٧هـ، والبعض ذكر أنه ولد سنة ١٢٨٩هـ، ومنهم من ذكر أنه ولد سنة ١٢٩٠هـ. وهذا هو الأرجح.

وأمه علوية طاهرة تقية بنت السيد مطر المعروف (بالعلاق) ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ‹، وبذلك نال الشيخ شرف الانتساب إلى الرسول الأعظم عن طريق والدته.

**نشأتــه:**

في ظل دوحة من دوحات الفضل وفي جو عابق بأريج الإيمان والهداية وفي أسرة عربية صحيحة في العروبة لمّا يزل العلم يضرب أطنابه في أفرادها.. ترعرع الهادي في أكناف هذه الأسرة التي نذرت نفسها لإعلاء كلمة الله، ونشر المبادئ الإسلامية السمحة.

تربى في حجر والده العلامة الجليل الفقيه (العباس)، فكان لابد أنْ يعلمه أول ما يعلمه حفظ كتاب الله وإتقان قراءته، ثم تعلم فن الخط العربي عند أساتذة ماهرين وأجاد فيه.

صحب في صباه ممن عرفوا بكمال تربيتهم وحسن أخلاقهم وولوعهم بالعلم والأدب والتدين والفضيلة أمثال: جعفر الخليلي، وآغا رضا الأصفهاني، والشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الشبيبي، والسيد علي العلاق، والشيخ مرتضى التبريزي، وأبي الفضل الطهراني وأمثالهم.

حاز ملكة النظم والنثر وهو ما زال لم يصل سن البلوغ لقد أحب شعر أبي الطيب المتنبي مما دفعه حبه هذا إلى انتخاب مجموعة من قصائده وضمها بكتاب (المحمود من شعر أحمد) أو (الطيب من شعر أبي الطيب) كما دفعه حبه للشعر إلى نظم الشعر مثله مثل إخوانه وأصحابه الأدباء وأهل الفضل، فجمع إلى جانب العلم والفقه، الأدب والشعر.

**صفاتــه:**

اتسم الشيخ الهادي – ومنذ صغره – بالهدوء وركونه إلى السكوت وبعده عن التدخل في الشؤون التي لا تعنيه كما كان (يمتاز بظواهر بارزة من الذكاء والوداعة واللطف والدماثة، اتسم بمتانة عقله، وسيرته المثلى). يقول عنه محمد حرز الدين أنه: (كان من أهل الفضيلة والعلم المرموقين يتوسم فيه النبوغ والرقي إضافة إلى أنه من الأدباء والشعراء وأهل الكمال والمعرفة والرأي السديد).

أما الشيخ جعفر محبوبة فيقول عنه: (يحب العزلة والانزواء ويكره الفخفخة والتظاهر بأمور الرياسة).

وكتب عنه جعفر الخليلي أنه كان (عالماً كبيراً وأديبا لامعاً وزعيما من زعماء النجف الذي انحصر حل العقد والمشاكل وحده فقد كانت الحكومة العثمانية تحترمه وتجل مقامه.

وكان لرؤساء العشائر علاقة به ورجوع إليه، وللأدباء اجتماع عنده في كل يوم حتى غطّى اسمه سائر الأسماء وطغت مواهبه على مواهب الآخرين من العلماء...).

ويذكر الشيخ جواد الشبيبي أنَّ الفضل الأكبر في ثقافة جمهرة من فحول أدباء الجيل الماضي في النجف يعود إلى ديوان الشيخ عباس ابن الشيخ علي والد الشيخ الهادي.

**من أجمل ما قيل في حقه:**

(ملي بالفضل والأفضال، والأدب والكمال، وحسن الخصال، ما لم تحوها فحول الرجال، ذو عفة وحياء وفقه وذكاء، وطلاقة لسان، ولطف بيان، مع السماحة والسهولة، وطيب العشرة، وأنس المحاورة، فاضل تقي نقي، شهم زكي، شاعر بارع، أديب جامع...).

كان الشيخ الهادي من مراجع التقليد الذين لهم مكانتهم العلمية والدينية، فلا غرابة في أن يصبح إمام جماعة في الصحن الغروي في الجهة الشمالية الشرقية.

فكان يصلي بالناس في الصحن الشريف وخلفه عدد من صفوف المؤمنين.

وقد اشتهر بجوده، وكرم نفسه، إضافة إلى سمو خلقه. ومما قال فيه الشيخ جواد الشبيبي:

**وقلت لفرسان النشائد سابقوا إلى مدح الهادي إلى منهج الحق**
**ويا لؤم من قد قال أن يمنه هي الديمة المرخاة في عارض الودق**
**ومن قاس بدر التم في صبح مجده فقد ساق مردود القياس مع الفرق**

**ثقافته وأساتذته:**

إن تكوين الشيخ الهادي وتثقيفه الأدبي وما عرف به من حسن السليقة إنما يرجع إلى تربيته ونشأته في جو علمي معطر بالإيمان بالله وبكتبه ورسله وأنبيائه، وكان لوالده الأثر الأكبر لأنَّ ديوانه كان مدرسة بحق كما ذكر ذلك الشيخ جواد الشبيبي.

وقد تتلمذ على أيدي علماء عصره منهم الشيخ ملا محمد كاظم الآخوند الخرساني، وعلى الشيخ آغا رضا الهمذائي، والأستاذ الشيخ محمد طه نجف، والشيخ فتح الله شيخ الشريعة الإصفهاني والسيد محمد كاظم الطباطبائي... وغيرهم.

ومن الكتب الأثيرة لديه بعد كتاب الله تعالى وكتب أحاديث الرسول كتاب نهج البلاغة للإمام علي والذي ظل أثيراً لديه حتى حينما كبر، لقد دافع عن نسبته إلى أمير المؤمنين علي وألزم الأدعياء الحجة القاطعة والبرهان الساطع كما ألف كتابه القيم: (المستدرك على نهج البلاغة).

كما اطلع على كتب النحو العربي ولاسيما شرح القطر لابن هشام ونظم متن القطر شعراً زاد عن الخمسمائة بيت وسمى ذلك بـ(نظم الزهر من نثر القطر) مطلعها:

**وأول النظم بسم إله مفرد الذات علم مبتدأ بالخير موصول النعم**

**مؤلفاته:**

له مؤلفات كثيرة ذكرها الشيخ أسعد ابن الشيخ علي كاشف الغطاء في كتاب (المقبولة الحسينية) وقد طبع حديثاً كما ذكر بعضاً منها صاحب كتاب (الذريعة : ٤٧٣/٢).

بلغت مؤلفاته أكثر من عشرين مؤلفاً بين مطبوع ومخطوط.

(كما أن له تعليقات وحواشي ومقالات كثيرة ومراسلات مع أعلام عصره مبثوثة في المجاميع).

له شعر حسن يدل على موهبته في هذه الصناعة.

**نماذج من شعره**

قال راثياً أبا الفضل العباس بن علي:

**لكل امرئ من زاده ما تزوّدا ولست ترى كالفعل للمرء مرشدا**
**ولا مرشد للعقل كالدين إنه يكون له عن كل عيب مسددا**

ومنها قوله:

**أبوك فدى الهادي النبي بنفسه وكنت لسبط المصطفى في الوغى فدى**
**ظمئت وأرويت الثرى من دمائهم غداة على طعم الردى لك موردا**
**ومنك بسيف البغي إن قطعوا يدا فقد كنت في المعروف أطولهم يدا**

وله قصيدة فائية في مدح النجف الأشرف منها قوله:

**قف بالنياق فهذه النجف أرض لها التقديس والشرف**
**ربع ترجلت الملوك به حرم وبفضل عز جلاله اعترفوا رب**
**تطوف به ملائكة الـ الجليل وفيه تعتكف**

**وفاتــه:**

كانت وفاته ليلة التاسع من محرم من عام ١٣٦١هـ، ودفن في مقبرة أسرته (آلـ كاشف الغطاء)، أرخ لوفاته ورثاه الكثير من الأدباء والشعراء، وكتبت عنه الكثير من الصحف والمجلات... (وشيع كما شيع العلماء والأعلام...).

ومن الشعراء الذين رثوه الشيخ عبد الغني الخضري بقصيدة مطلعها:

**هوى علم الهداية والرشاد وغاب البدر عن هذي النوادي**

وأقيم له حفل تأبيني في الأربعين، قالت جريدة الغري في أربعين الشيخ:

(إن الخطب جليل والرزء مؤلم، والفقيد خسارة الدين والعلم لا تنسى آثاره وفضائله التي هي حيَّ بها على رغم الموت وباقٍ بها على كره من العدم..).

وفي تأبين الشيخ الهادي قال السيد محمود الحبوبي:

**أمم الهدي التمسي شعاع رشاد فقد انطوى ذاك الشعاع الهادي**

وقال السيد مير علي أبو طبيخ قصيدة في تأبين الشيخ الهادي مطلعها:

**مآذن النجف اهتزت أعاليها فقلت قد شيعوا الدنيا وما فيها**

وقال السيد محمد جمال الهاشمي قصيدة مطلعها :

**ماج الغري وفاض سفح الوادي الحزن مذ غاض المحيط الهادي**

# عَبَقَة من نهج البلاغة

**الباحث: فارس حسّون كريم**

**الباحثة: شذى جبّار عمران (رئاسة جامعة واسط ـ قسم الدراسات العليا)**

## المقدّمة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله الذي أنطق الإنسان، فأفصح بعجيب البلاغة وسحر البيان، وصلاته وسلامه على نبيّه محمّدٍ المجتنى من شجرة الإيمان، وعلى آله الأبرار ومَن اتّبعهم بإحسان.

وبعد:

فإنّ كلام العرب كلّما حسُن نظمه، وتحلّى بفنون الفصاحة، ووجوه البلاغة، كان وقْعه أرسخ في الجنان، وتلقّاه السامع واتّخذه سبيلاً ينير له حلك الظلام، خصوصاً إن كان يجمع بين المعنى العميق الشامل لأنواع المعلومات ودقائق المفاهيم.

وخير ما اندرج في هذا الإطار هو ما جاء في نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، سواء كان في خطبه وحكمه ومواعظه، أو في رسائله الفصيحة حتّى صار أمير الفصاحة والبلاغة كما كان أمير الشجاعة والعلم والعبادة.

وتأسيساً على هذا، اجتهد جماعة من الأعلام – من المتقدّمين والمتأخّرين – على جمع المتناثر من هذا الكلام بين ثنايا الكتب، وفي طليعتهم الشريف الرضيّ (ت ٤٠٦ هـ)[١]، فاختار من خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلامه وحكمه ورسائله ما تعلّق بالتوحيد، العدل، النبوّة، الإمامة، المعاد، وصف القرآن والنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وأهل البيت (عليهم السلام)، والأحكام الشرعيّة، والمسائل الأخلاقيّة، وصفات المتّقين والمشركين، ووصف المنافقين والمنحرفين، وفنون الحرب، وعجيب خلقة بعض الحيوانات.

وكانت نتيجة هذا الجهد أن اقترن اسم الشريف الرضيّ بكتاب نهج البلاغة.

ولهذا وذاك قطفنا مقطوعةً صغيرةً في مفرداتها، كبيرةً في مغزاها، من هذا الأثر النفيس تتعلّق بالحجّ وبيت الله الحرام، وهي المقطوعة الأخيرة من خطبته (عليه السلام) الأولى في نهج البلاغة، اعتماداً على نسختين مخطوطتين قديمتين لنهج البلاغة كتبتا في القرن الخامس الهجريّ:

الأولى: محفوظة في مكتبة السيّد المرعشيّ النجفيّ في إيران / قم، رقم ٣٨٢٧، كتبت سنة ٤٩٩ هـ أو سنة ٤٦٩ هـ.

الثانية: محفوظة في مكتبة فخر الدين النصيريّ، في إيران / قم أيضاً، كتبت في القرن الخامس الهجريّ.

إضافة إلى سائر نسخ النهج.

ودوّنّا شرحاً مقتضباً لهذه القطعة اقتباساً من شروحات النهج المعروفة.

ونحن على خطى البحث جعلناه في فقرتين:

الأولى: خصصناها لنصّ الخطبة مضبوطاً بالشكل، وروايتها، والاختلافات الواردة في ألفاظها في النسخ إجمالاً.

أمّا الفقرة الثانية: فقد خصصناها لشرح الخطبة.

---

١ . هو: أبو الحسن محمد بن الحسين الموسويّ، وُلد ببغداد سنة ٣٥٩ هـ، خلف أباه في نقابة الطالبيّين سنة ٣٨٨ هـ، شاعر امتاز شعره بجزالة اللفظ وفخامة المعنى، ألّف في معاني القرآن ومجازاته، توفي سنة ٤٠٦ هـ. الأعلام للزركلي: ٦: ٣٢٩، معجم المؤلّفين: ١١: ٢٦١، تاريخ الأدب العربيّ للزيّات: ٢٠٧ رقم ٤٣.

## الفقرة الأولى:

### أ: نصّ الخطبة:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرام، الَّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأنام، يَرِدُونَهُ وُرودَ الأنْعام، وَيَأْلَهُونَ إلَيْهِ وُلوهَ الحَمام.

جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ، وَإذْعانِهِمْ لِعِزَّتِهِ.

وَاخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أجابوا إلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقوا كَلِمَتَهُ، وَوَقَفوا مَواقِفَ أنْبِيائِهِ، وَتَشَبَّهوا بِمَلائِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ،يُحْرِزُونَ الأرْباحَ في مَتْجَرِ عِبادَتِهِ، وَيَتَبادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ.

جَعَلَهُ سُبْحانَهُ لِلإسْلام عَلَماً، وَلِلعائِذينَ حَرَماً.

فَرَضَ حَجَّهُ، وَأوْجَبَ حَقَّهُ، وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ، فَقالَ سُبْحانَهُ:«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إلَيْهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ[1]».[2]

### ب: رواية الخطبة:

روى هذه الخطبة الشريف الرضيّ في كتابه نهج البلاغة مرسلاً، من دون ذكر سندها، وهذه طريقته في كلّ الكتاب.

وقال قطب الدين سعيد بن هبة الله الراونديّ (ت ٥٧٣ هـ)[3]: «وأمّا رواية الخطبة: فعن الشيخ أبي جعفر محمد بن عليّ بن الحسن الحلبيّ، عن الشيخ أبي جعفر الطوسيّ، عن الشيخ المفيد أبي عبد الله الحارثيّ، أخبرنا أبو الحسن عليّ بن محمد الكاتب، أخبرنا الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفيّ، أخبرنا أبو الوليد العبّاس بن بكّار الضبّيّ، حدّثنا أبو بكر الهذليّ، عن الزهريّ وعيسى بن زيد، عن صالح بن كيسان، عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

ولو أردت ذكر ما حذفه الرضيّ من الخطبة لطال هذا الكتاب».[4]

يفهم من آخر كلامه أنّ الشريف الرضيّ لم يورد الخطبة الأولى - الّتي في آخرها هذا المقطع - بأكملها، بل حذف منها شيئاً، ويفهم أيضاً أنّ ما حذفه الشريف الرضيّ من الخطبة ليس بالشيء اليسير، ولعلّ الشريف الرضيّ روى الخطبة من غير الطريق الّذي رواه القطب الراونديّ، فحدث باختلاف الطريق الزيادة والنقصان.

### ج: الاختلافات الواردة في نسخ الخطبة:

بمعارضة بعض النسخ على بعضها الآخر وجدنا بعض الاختلافات وإن كانت لا تمسّ المعنى من قريبٍ ولا تغيّر مفاد الخطبة إلاّ أنّا رأينا ذكرها لا يفسد للودّ قضيّة، وفي ذلك تتميماً للفائدة:

قوله (عليه السلام): «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ».

في بعض النسخ:وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ،وفي بعض النسخ:وَفَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ.

قوله (عليه السلام): «حَجَّ بَيْتِهِ الحَرام».

في بعض النسخ لم يرد لفظ الحرام.

قوله (عليه السلام): «يَرِدُونَهُ».

في بعض النسخ: الّذي يَرِدُونَهُ.

قوله (عليه السلام): «جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً».

في بعض النسخ: وَجَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً.

قوله (عليه السلام): «وَيَتَبادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ».

في بعض النسخ: وَيَتَبادَرونَ عِنْدَ مَغْفِرَتِهِ، وفي بعض النسخ: وَيَتَبادَرونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ.

---

١ . آل عمران: ٩٧.

٢ . نهج البلاغة بشرح الدكتور صبحي الصالح: ٢٢ ( آخر الخطبة الأولى ).

٣ . هو: أبو الحسين سعيد بن عبد الله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن المشهور بـ: قطب الدين الراونديّ، كان والده وأولاده من العلماء أيضاً، توفّي سنة ٥٧٣ هـ، ودفن في قم. رياض العلماء: ٢: ٤٣٠، بحار الأنوار: ١٠٥: ٢٣٥.

٤ . منهاج البراعة: ١: ١٠٧ – ١٠٩.

قوله (عليه السلام): «جَعَلَهُ سُبْحانَهُ».
في بعض النسخ: جَعَلَهُ سُبْحانَهُ وَتَعالى.
قوله (عليه السلام): «وَلِلعائِذينَ».
في بعض النسخ: وَالعائِذينَ.
قوله (عليه السلام): «فَرَضَ حَجَّهُ، وَأَوْجَبَ حَقَّهُ».
في بعض النسخ: فَرَضَ حَقَّهُ، وَأَوْجَبَ حَجَّهُ.

## الفقرة الثانية:

### شرح الخطبة:

قوله (عليه السلام): «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الحَرامِ»:
فرض اللهُ الأحكام فرضاً: أوجبها، فهو (عليه السلام) في كلامه هذا يشير إلى وجوب الحجّ على الخلق، وهو معلوم بالضرورة من الدين.
والحجّ: قصدُ بيت الله لزيارته مع مناسك خاصّة[1].

وإضافة البيت إلى الله للتفضيل والتشريف والتخصيص، وإن كانت الدنيا وما فيها لله عزّ وجلّ.
والفريضة على قسمين: مؤقتة بوقتٍ معيّنٍ، وغير مؤقتةٍ؛ فإذا كانت الفريضة مؤقتة دلّ اختصاصها بوقتٍ لها على فضلها وشرفها ونباهة حالها، يُستدعى من الموظّف عليها فضل جهدٍ في إقامتها، ويكون ثوابها أعظم، فإنّ أفضل الأعمال أحمزها[2].

والحجّ من الفرائض المؤقتة بوقتٍ معيّنٍ، ومعيّنة بمكانٍ مشخّصٍ، ممّا يستدعي من الموظّف عليها إقامتها في وقتها ومكانها، وذلك يتطلّب مزيد جهدٍ للاستعداد لها، وتحمّل المشاقّ في إقامتها، فصارت فريضة الحجّ من الفرائض المهمّة في الاسلام، ويثيب الله مقيمها ما لا يثيبه في غيرها من الفرائض.
والحرام، إمّا بمعنى المحرّم[3]، كقوله تعالى: «**عِنْدَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ**»[4]، فإنّ العرب كانت تحرّم فيه ما تستحلّ في غيره من القتل والقتال؛ وإمّا بمعنى الحرام – كزمانٍ وزمنٍ – لكونه أمْناً لمَن دخله ومانعاً له[5]؛ وإمّا لأنّه ذا حرمةٍ واحترامٍ يحرم على الخلق أن يفعلوا فيه ما لا ينبغي من مناهي الشرع[6].

وروي عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: «ألا إنّ مكّة محرّمة بتحريم الله، لم تحلّ لأحدٍ كان قبلي، ولم تحلّ لي إلاّ من ساعةٍ من نهارٍ، وهي محرّمة إلى أن تقوم الساعة، لا يختلي خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها...»[7].

قوله (عليه السلام): «الَّذي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأنامِ»:
جعل الله سبحانه وتعالى بيته الحرام الّذي فرض حجّه قِبلةً للأنام، فقال عزّ من قال: «فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرامِ وَحَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجوهَكُمْ شَطْرَهُ»[8]، وهذا ممّا يزيد في شرف هذا البيت العظيم: بتوجّه المسلمين كافّة أينما كانوا نحوه في صلواتهم

---

١ . لسان العرب: ٢: ٢٢٦ – حجج -.
٢ . تفسير الرازيّ: ٢: ٢١٧.
٣ . مجمع البيان: ١: ٤٢١، زبدة التفاسير: ١: ٢٥٩.
٤ . إبراهيم: ٣٧.
٥ . زبدة التفاسير: ٣: ٤٩١.
٦ . مجمع البيان: ٦: ٨٥.
٧ . المصدر نفسه: ١٠: ٤٧٢.
٨ . البقرة: ١٤٤.

وذبحهم وتوجيه أمواتهم، إلى غير ذلك ممّا يجب أو يستحبّ فيه استقبال القبلة، والقصد إليه لأداء مراسم الحجّ.
والقبلة: اسم للمكان المتوجّه إليه للصلاة وغيرها.
وإنّما عبّر عن البيت الحرام بالقبلة؛ لأنّ المصلّي يقابلها وتقابله[1]، أو لأنّ الله – تعالى – يقبل صلاة مَن توجّه إليها.
وجعل الله سبحانه اختلاف القبلة سمات أهل الأديان[2]، وأعلاماً يوقف بها على انتحال المصلّي إلى نحلةٍ لزمها من النحل، فقال عزّ من قائل: «**وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيها**»[3].
والأنام: الجنّ والإنس، وقيل: ما على وجه الأرض من جميع الخلق[4].
وبناءً على التفسير الأوّل، يكون بيت الله الحرام قبلةً للإنس والجنّ، أمّا الإنس فواضح، وأمّا الجنّ، فيدلّ كلامه (عليه السلام): «جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأنامِ» – بناءً على تفسير الأنام بالجنّ والإنس– على أنّ بيت الله الحرام قبلةٌ للجنّ أيضاً، يتوجّهون إليه حين عبادتهم، وإن كانت ماهية عبادتهم لنا مجهولة.
وبناءً على التفسير الثاني، يكون بيت الله الحرام قبلةً لجميع ما على وجه الأرض من الخلق، ومعلوم أنّ المخلوقات كلّها تعبد خالقها، وإن كانت كيفيّة عبادتها مجهولة لنا، إلاّ أنّ المفهوم من قوله (عليه السلام): جعله قبلةً للأنام – بناءً على تفسير الأنام: ما على وجه الأرض من جميع الخلق – أنّ بيت الله الحرام قبلةٌ لجميع المخلوقات تتوجّه إليه في عبادتها لربّها وخالقها.
قوله (عليه السلام):«يَرِدُونَهُ وُرودَالأنْعامِ»:
الورود: الموافاة، يقال: وردَ البعير الماء يرده وروداً بلغه ووافاه من غير دخولٍ، وقد يحصل دخول فيه[5]، وأكثر ما يستعمل ورود الأنعام على الماء، فهذا تشبيهٌ لطيف منه (عليه السلام) لورود الأنام بيت الله الحرام، فكما ترد الأنعام بتلهّفٍ وظمأٍ واشتياقٍ وازدحامٍ لشرب الماء ومدافعة بعضهم بعضاً، يردُ الأنام بيت الله الحرام وهم على أشدّ الشوق والتلهّف لزيارة بيت ربّهم، يزدحمون ويهرولون للوصول إلى بيت الله الحرام؛ ليعترفوا بذنوبهم لربّهم فيغفرها لهم، ويتزوّدوا من العرفان لربّهم، ويصوغوا أنفسهم صياغة ربّانية، ويتذكّروا إنسانيّتهم التي نسوها من أمدٍ بعيدٍ !
والأنعام جمع نَعَم، أكثر ما يقع على الإبل[6]، وقيل: النعم: الإبل خاصّة، والأنعام: ذوات الخفّ والظلف، وهي الإبل والبقر والغنم[7]، وقيل غير ذلك.
وقيل: إنّ وجه الشبه بين الأنام والأنعام: عدم اطّلاع الخلق على أسرار الحجّ وعلى ما تشتمل عليه المناسك من الحكمة الإلهية، ولمّا كان العقل الذي به يتميّز الإنسان عن الأنعام وسائر الحيوان معزولاً عن إدراك هذه الأسرار كاد ألاّ يكون بين الإنسان وبين مركوبه فرق في الورود إلى البيت !
وفي بعض الوجوه من هذا القيل بُعدٌ.
وروي: أنّ الكعبة شكت إلى الله تعالى في الفترة بين عيسى ومحمد (عليهما السلام)، فقالت: يا ربّ، ما لي قلّ زوّاري ؟ ما لي قلّ عوّادي ؟ فأوحى الله جلّ جلاله إليها: «إنّي منزلٌ نوراً

---

١ . المصباح المنير: ٤٨٨ – قبل -.
٢ . زبدة التفاسير: ١: ٢٦٢.
٣ . البقرة: ١٤٨.
٤ . لسان العرب: ١٢: ٣٧ – أنم -.
٥ . لسان العرب: ٣: ٤٥٧، القاموس المحيط: ١: ٣٤٤ – ورد -.
٦ . القاموس المحيط: ٤: ١٨٢ – نعم -.
٧ . خزانة الأدب ٥: ١٣٥.

جديداً على قوم يحنّون إليك كما تحنّ الأنعام إلى أولادها، ويُزَفّون إليك كما تزفّ النسوان إلى أزواجها - يعني: أُمّة محمد (صلّى الله عليه وآله) -»[1].

قوله (عليه السلام): «وَيَألَهُونَ إلَيْهِ وُلوهَ الحَمامِ»:
قال الراونديّ: «أله يأله ألهاً: أي تحيّر، والأصل وله يوله ولهاً، وقال أبو الهيثم: أصل الله إلاه، وأصله ولاه، فقلبت الواو همزةً، فالخلق يولهون إليه في حوائجهم، ويفزعون إليه في كلّ ما ينوبهم»[2].

وقال ابن أبي الحديد[3]: «الوله: شدّ الوجد، حتّى يكاد العقل يذهب، وله الرجل يوله ولهاً، ومَن روى: «يألهون إليه ولوه الحمام» فسّره بشيءٍ آخر، وهو يعكفون عليه عكوف الحمام، وأصله ألَه: عبد، ومنه الإله، أي: المعبود، ولمّا كان العكوف على الشيء كالعبادة له لملازمته والانقطاع إليه، قيل: أله فلان إلى كذا، أي: عكف عليه كأنّه يعبده، ولا يجوز أن يقال: «يألهون إليه» في هذا الموضع بمعنى يولهون، وأنّ أصل الهمزة الواو، كما فسّره الراونديّ؛ لأنّ فعولاً لا يجوز أن يكون مصدراً من فعلت بالكسر، ولو كان يألهون هو يولهون، كان أصله أَلِه بالكسر، فلم يجز أن يقول: «ولوه الحمام»، وأمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدراً؛ لأنّ أله مفتوح، فصار كقولك: دخل دخولاً»[4].

وقال التستريّ[5]: «قلت: أمّا ما قاله من أنّ معنى «يألهون إليه» أي: يعكفون عليه، فخلط لفظاً ومعنىً؛ أمّا لفظاً فلأنّه لم يقل أحد أن معنى أله عكف، بل عبد، فإن قال: قلته كناية، يمنعه إليه [ في قوله: يألهون إليه ]، فلو كان عليه كان له وجه.
وأمّا معنىً، فلأنّ الناس لا يعكفون في مكّة، وإنّما يشتاقون إلى زيارتها اشتياق الحمام إلى وكرها. وأمّا ما قاله: من أنّ فعولاً لا يكون مصدر فعل بالكسر، وولِه بالكسر، فليس ذلك كلّيّاً، بل إذا كان مضارعه يفعل بالفتح، وأمّا إذا كان يفعل بالكسر فيجوز، كما في قولك: وثق وثوقاً، وقد قال في القاموس: ولِه مثل ورث ووجِل ووعِد.
وأمّا ما قاله من أنّه إذا كان يألهون مهموز الأصل، فيجوز أن يكون مصدره ولوهاً؛ لأنّ أله مفتوح، فيكون مثال: دخل دخولاً. ففيه: أنّ مصادر المجرّد ليست بقياسيّة، ولم ينقل في اللغة كون مصدر أله: ألوهاً، بل إلاهَة وألوهَة»[6].

والحمام عند العرب: كلّ ذي طوقٍ من الفَواخت والقَماريّ والقَطا والدواجن وأشباه ذلك، الواحدة حمامة، والعامّة تخصّ الحمام بالدواجن[7]، وكان الكسائيّ[8] يقول: الحَمام هو البَرّي واليَمام هو الذي يألف البيوت، وقال الأصمعيّ[9]: اليَمام حَمام الوحش، وهو ضَرْب من طير الصحراء.

وفي تشبيهه (عليه السلام) ولوه الأنام بولوه الحمام عدّة وجوهٍ:

---

١ . من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٤٤ ح ٢٣١٠.
٢ . منهاج البراعة: ١: ١٠٦.
٣ . هو: عزّ الدين عبد الحميد بن محمد المدائنيّ المعتزليّ، وُلد سنة ٥٨٦ هـ، أديب ومؤرّخ، من أهمّ مؤلّفاته شرح نهج نهج البلاغة، توفي ببغداد سنة ٦٥٥ هـ. الكنى والألقاب: ١: ٢٣٩ رقم ٢٠٧.
٤ . شرح نهج البلاغة: ١: ١٢٣.
٥ . هو: محمد تقي بن محمد كاظم التستريّ، وُلد سنة ١٣٢٠ هـ في النجف، من مؤلّفاته: بهج الصباغة، قضاء أمير المؤمنين عليه السلام، توفي سنة ١٤١٥ هـ في تستر ودفن فيها. طبقات أعلام الشيعة – نقباء البشر -: ١: ٢٦٥.
٦ . بهج الصباغة: ٩: ٣١٤ – ٣١٥.
٧ . الصحاح: ٥: ١٩٠٦ – حمم -.
٨ . هو: أبو الحسن عليّ بن حمزة، وُلد سنة ١١٩ هـ، نشأ بالكوفة، لم يكن له يد في الشعر، وبلغه الكبر وهو لا يدري من النحو شيئاً، ثمّ ألف نحواً من عشرين كتاباً في معاني القرآن والنحو والهجاء، توفي سنة ١٨٩ هـ. التاريخ الصغير: ٢: ٢٤٧، الفهرست لابن النديم: ٢٩، سير أعلام النبلاء: ٩: ١٣١، الأعلام للزركلي: ٤: ٢٨٣.
٩ . هو: أبو سعيد عبد الملك بن قُرَيب الأصمعيّ، وُلد سنة ١٢٣ هـ، نشأ بالبصرة، أخذ العربيّة والحديث والقراءة عن أئمّتها، توفي سنة ٢١٦ هـ وله من العمر تسعون سنة. التاريخ الكبير: ٥: ٤٢٨، الجرح والتعديل: ٥: ٣٦٣، الأعلام للزركلي: ٤: ١٦٢.

منها: إشارة إلى شوق الخلق في كلّ عامٍ إلى ورود البيت كما يشتاق إليه الحمام الذي يسكنه عند خروجه.
ومنها: إشارة إلى أنّ الحمام كما يفزع إلى محلّه عند الخوف، فكذلك الأنام، فإنّ الحمام يظهر عليه أثر اللوذ بكثرةٍ.
قالوا: ومن طبع الحمام أنّه يطلب وكره ولو أُرسل من ألف فرسخٍ، وربّما اصطيد وغاب عن وطنه عشر حججٍ فأكثر، ثمّ هو على ثبات عقله حتّى يجد فرصةً فيطير إلى وطنه.
وقيل: حمام الحرم يلتجئ إليه إلهاماً من الله لها أنّه المأمن، ويقال: إنّها من نسل طير أبابيل.
قوله (عليه السلام): «جَعَلَهُ سُبْحانَهُ عَلامَةً لِتَواضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ»:
علامة لتواضعهم: أي دليلاً لتواضعهم، فإنّ المواقف والأعمال تدلّ على التواضع والخشوع.
ومَن لابس عملاً لا يلائم صورة التكبّر وينافي أعمال الجبابرة: من الإقبال على حجرٍ أصمٍّ بالتقبيل، وعلى مواطن خاليةٍ من حوادث الاطماع بالإجلال، صار ذلك الفعل أتمّ رياضة على طرح الأنَفَة؛ فإنّ مَن أطاعته نفسه لوجه الله تعالى في توقير شيءٍ، ظاهره لا ينفع ولا يؤذي ولا يعلم ولا يشكر، فهو إلى توقير مَن هو أعلى منه درجة من الأنبياء والملائكة أسرع.
قوله (عليه السلام): «وَإِذْعانِهِمْ لِعِزَّتِهِ[1]»:
أذْعَنَ إذْعاناً: انْقادَ ولم يستعص، وناقةٌ مِذْعانٌ: منقادةٌ[2].
والعزّة: الغَلَبة، والعزيز من أسمائه سبحانه: الغالب الذي لا يُغلب[3].
وإنّما جعله سبحانه علامةً لإذعانهم لعزّته؛ لأنّ العقل لمّا لم يكن ليهتدي إلى أسرار أعمال الحجّ، لم يكن الباعث عليها في أكثر الخلق إلاّ الأمر المجرّد وقصد امتثاله من حيث هو واجب الاتباع فقط، وفيه كمال الرقّ وخلوص الانقياد لله، فمَن فعل ما أُمر به من إتيان بيت الله وأداء الله وأداء مناسك الحجّ، فهو المنقاد لعزّة اللّه، المخلص الذي ظهرت عليه علامات المخلص المتواضع المذعن لجلال الله ربّ العالمين.
وروي: أنّ ابن أبي العوجاء[4] تلميذ الحسن البصريّ[5] انحرف عن التوحيد، فقيل له: تركت مذهب مذهب صاحبك ودخلت فيما لا أصل له ولا حقيقة ! فقال: إنّ صاحبي كان مخلّطاً، كان يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، وما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه، فقدِم مكّة متمرّداً وإنكاراً على مَن يحجّ، وكان يكره العلماءُ مجالسَتَه ومساءلته، لخبث لسانه وفساد ضميره، فأتى أبا عبد الله (عليه السلام)، فجلس إليه في جماعةٍ من نظرائه، فقال: يا أبا عبد الله، إنّ المجالس أمانات، ولابدّ لكلّ مَن به سعال مِن أن يسعل، أفتأذن لي بالكلام ؟ فقال: تكلّم.
فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر[6]، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب[7] والمدر[8]، وتهرولون حوله هرولة البعير إذا نفر، وإنّ مَن فكّر في هذا وقدّر علم أنّ هذا أسّسه غير حكيمٍ ولا ذي نظرٍ، فقل فإنّك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك أُسّه وتمامه.

---

١ . مثله قوله عليه السلام في موضع آخر من نهج البلاغة: ١٤٧ ضمن الخطبة ٩٠: «قاهِرُ مَن عازَّهُ» باعتبار الغلبة لله في العزّ.
٢ . كتاب العين: ٢: ١٠٠ – ذعن -.
٣ . لسان العرب: ٥: ٣٧٤ – عزز -.
٤ . هو: عبد الكريم بن أبي العوجاء، خال معن بن زائدة، أحد زنادقة عصر الإمام الصادق عليه السلام، لمّا أُخذ ليضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديثٍ أحرّم فيها الحلال، وأُحلّل فيها الحرام، قتله الأمير العبّاسيّ محمد بن سليمان بالبصرة. الكشف الحثيث: ١٧٢، الكنى والألقاب: ١: ٢٤٨ رقم ٢٢٢.
٥ . هو: أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصريّ، مولى الأنصار، كان يدلّس، دعا عليه أمير المؤمنين عليه السلام، حيث قال له: «لا زلتَ مسوءاً». الثقات لابن حبّان: ٤: ١٢٣، شرح نهج البلاغة: ٤: ٩٥، ميزان الاعتدال: ٢: ٢٨١ رقم ١٩٧١.
٦ . البيدر: مجمَع الطعام حيث يُداسُ ويُنَقّى.ترتيب كتاب العين: ١: ١٤١ – بدر -.
٧ . الطوب: الآجر. مجمع البحرين: ٣: ٦٨ – طوب -.
٨ . المدر: قطع طين يابس، الواحدة مدرة. كتاب العين: ٨: ٣٨ – مدر -.

فقال (عليه السلام): «إنّ مَن أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم[1] الحقّ ولم يستعذبه[2]، فصار الشيطان وليّه وربّه وقرينه، يورده مناهل الهلكة ثمّ لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه، ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محلّ أنبيائه وقبلةً للمصلّين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عامٍ،...»[3].

قوله (عليه السلام): «وَاخْتارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمّاعاً أجابوا إلَيْهِ دَعْوَتَهُ»:
السُّمّاع[4]: جمع سامِع – كسامر وسمّار – وهم الحاجّ في قوله تعالى: «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأْتُوكَ رِجالاً وَعَلَى كُلِّ ضامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»[5].

والضمير في قوله (عليه السلام): «أجابوا إليه» للبيت، وفي «دعوته» لله تعالى، أي أجابوا – قاصدين إلى البيت – دعوتَه تعالى.
وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لمّا أُمر إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) ببناء البيت، وتمّ بناؤه، قعد إبراهيم على ركنٍ، ثمّ نادى: هلمّ الحجّ، هلمّ الحجّ، فلو نادى: هلمّوا إلى الحجّ، لم يحجّ إلاّ مَن كان يومئذٍ إنسيّاً مخلوقاً، ولكنّه نادى: هلمّ الحجّ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبّيك داعي الله، لبّيك داعي الله عزّ وجلّ، فمَن لبّى عشراً يحجّ عشراً، ومَن لبّى خمساً يحجّ خمساً، ومَن لبّى أكثر من ذلك، فبعدد ذلك، ومَن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومَن لم يلبّ لم يحجّ»[6].

قوله (عليه السلام): «وَصَدَّقوا كَلِمَتَهُ»:
إشارة إلى مطابقة أفعالهم، لما جاءت به الأنبياء من كلام الله سبحانه، وعدم مخالفتهم وتكذيبهم لهم.
قوله (عليه السلام): «وَوَقَفوا مَواقِفَ أنْبيائِهِ»:
في كلامه هذا (عليه السلام) استدراج حسن للطباع اللطيفة المتشوّقة إلى لقاء الله، وجذب لها إلى هذه العبادة، بذكر التشبيه بالأنبياء.
وإنّما شبّه مواقفهم بمواقف الأنبياء؛ لأنّ الأنبياء قد حجّوا بالبيت الحرام أيضاً، ووقفوا في تلك المواقف، فهي مواقف إبراهيم وإسماعيل وآدم والأنبياء ومحمد صلوات الله عليهم.
فروي عن أبي جعفر (عليه السلام): «كان طول سفينة نوح... وطافت بالبيت سبعاً، وسعت بين الصفا والمروة سبعة أشواطٍ، ثمّ استوت على الجوديّ»[7].

وروي: أن إبراهيم لمّا أذّن في الناس بالحجّ، حجّ هو وأهله وولده[8].

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام): «لمّا أفاض آدم (عليه السلام) من منى تلقته الملائكة بالأبطح[9]، فقالت: يا آدم، بُرّ حجّك، أما إنّا قد حججنا هذا البيت[10] قبل أن تحجّه بألفي عامٍ».[11]

---

١ . استوخم: استثقل. قال ابن الأثير في النهاية: ٥: ١٦٤: استوخموا المدينة: أي استثقلوها ولم يوافق هواؤها أبدانهم.
٢ . أي لم يجده عذباً.
٣ . الكافي: ٤: ١٩٨ ح ١، أمالي الصدوق: ٧١٥ ح ٩٨٥.
٤ . رجل سمّاع: إذا كان كثير الاستماع لما يُقال ويُنطقُ به. لسان العرب: ٨: ١٦٤ - سمع -.
٥ . الحجّ: ٢٧.
٦ . الكافي: ٤: ٢٠٦ ح ٦، علل الشرائع: ٢: ٤١٩ ح ١.
٧ . تفسير العيّاشيّ: ٢: ١٤٩ ح ٣٢٥، الكافي: ٤: ٢١٣ ح ٢.
٨ . الكافي: ٤: ٢٠٦ ح ٤، بحار الأنوار: ١٢: ١٣٥.
٩ . الأبطح: كلّ مسيلٍ فيه دقاق الحَصى فهو أبطح، والأبطح يُضاف إلى مكّة وإلى مِنى لأنّ المسافة بينه وبينهما واحدة، وربّما كان إلى مِنى أقرب. معجم البلدان: ١: ٧٤.
١٠ . المراد بالحجّ الطواف.
١١ . الكافي: ٤: ١٩٤ ح ٤، من لا يحضره الفقيه: ٢: ٢٣٠ ح ٢٢٧٥.

وروي: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) عن البيت: أكان يُحَجّ قبل أن يبعث النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ؟
قال: «نعم، وتصديقه في القرآن قول شعيب (عليه السلام) حين قال لموسى (عليه السلام) حيث تزوّج: «**عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ**»[1]، ولم يقل: ثماني سنين، وأنّ آدم ونوحاً (عليهما السلام) حجّا، وسليمان بن داود (عليه السلام) قد حجّ البيت بالجنّ والإنس والطير والريح، وحجّ موسى (عليه السلام) على جملٍ أحمر، يقول: لبّيك لبّيك، وأنّه كما قال الله: «**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلْعالَمِينَ**[2]»».[3]

وروي عن أبي عبد الله (عليه السلام): «مرّ موسى النبيّ (عليه السلام) بصِفاح الرَّوْحاء[4] على جملٍ... وهو يقول: لبّيك يا كريم لبّيك. قال: ومرّ يونس بن متّى بصفاح الروحاء وهو يقول: لبّيك كشّاف الكرب العظام لبّيك. قال: ومرّ عيسى بن مريم بصفاح الروحاء وهو يقول: لبّيك عبدك وابن أمتك لبّيك. ومرّ محمد (صلّى الله عليه وآله) بصفاح الروحاء وهو يقول: لبّيك ذا المعارج لبّيك».[5]

وروي عن أبي جعفر (عليه السلام): «مرّ موسى بن عمران (عليه السلام) في سبعين نبيّاً على فِجاج[6] الرَّوْحاء... يقول: لبّيك عبدك ابن عبدك[7]».[8]

قوله (عليه السلام): «وَتَشَبَّهوا بِمَلائِكَتِهِ المُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ»:
«الملائكة المطيفين بالعرش»: هم الكَروبيّون[9]، وهم أشراف الملائكة وعظماؤهم.

والمُطيف هاهنا: بمعنى الطائف، والمُطيف أيضاً: المُلمّ النازل بقومٍ، وطافَ بالبيت طَوْفاً: أي دار حَوْله[10]، وحقيقة أطاف: أنّ المطيف، هو الذي يطيف نفسه كأنّه فزعها لذلك، فهو بكلّيّته مشتغل به من أفعال القلوب وأفعال الجوارح.
والتشبّه بالملائكة من طريق الأفعال التي هي عبادة الله تعالى، والتنزّه عن الرَّفث والفسوق والجِدال وقضاء الشهوات في الإحرام، فمَن أعرض عن قضاء الشهوات وهو مقبل على عبادة الله تشبّه بالملائكة، فإنّ الملائكة يسبّحون الليل والنهار لا يفترون ولا يقضون شهوة.
ويحتمل أن يكون التشبّه بالملائكة من حيث قال تعالى:«**وَتَرَى المَلائِكَةَ حافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ**»[11]، وكذلك الحجّاج حول الكعبة.

ويحتمل أن يكون التشبّه بالملائكة إشارة إلى أنّ البيت المعمور بإزاء الكعبة في السماء، وأنّ طواف الخلق بهذا البيت يشبه طواف الملائكة وإحداقهم بالبيت المعمور والعرش، فهم متشبّهون بالملائكة في الطواف من طريق التعبّد، والغاية أن يترقى مَن أخذ العناية بيده من هذا الطواف إلى أن يصير من الطائفين بالعرش والبيت المعمور.
واعلم، أنّ الطواف المطلوب هو طواف القلب بحضرة الربوبيّة، وأنّ البيت مثال ظاهر في عالم الشهادة لتلك الحضرة التي هي عالم الغيب، كما أنّ الإنسان الظاهر في هذا العالم مثال للإنسان

---

١ . القصص: ٢٧.
٢ . آل عمران: ٩٦.
٣ . تفسير العيّاشيّ: ١: ٦٠ ح ٩٩.
٤ . الصَّفْح: الجَنْب، وصَفْح كلّ شيءٍ: جانبه، وصَفْح الجبل: مُضْطَجَعُه، والجمع صِفاح. لسان العرب: ٢: ٥١٢ – صفح -. والرَّوْحاء: موضع. المصدر نفسه: ٢: ٤٦٧. - روح -.
٥ . الكافي: ٤: ٢١٣ ح ٤.
٦ . الفِجاج: جمع الفَجّ، وهو الطريق الواسع بين جبلين. لسان العرب: ٢: ٣٣٨ – فجج -.
٧ . في علل الشرائع: عبدك وابن عبدك لبّيك.
٨ . الكافي: ٤: ٢١٣ ح ٣، علل الشرائع: ٢: ٤١٩ ح ٦.
٩ . الكَروبيّون: سادَة الملائكة، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، هم المُقَرَّبونَ. لسان لعرب: ١: ٧١٤ – كرب -.
١٠ . طافَ بالبيت وأطافَ عَلَيْه: دارَ حَوْله. المصدر نفسه: ٩: ٢٢٥ – طوف -.
١١ . الزمر: ٧٥.

الباطن الّذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب، وأنّ عالم الشهادة مرقاة ومدرج إلى عالم الغيب لمَن فتح له باب الرحمة، وأنّ أولياء الله المقرّبين لمّا يطوفون حول بيت الله الحرام ناظرون في طوافهم الطوافَ حول البيت المعمور الّذي هو بإزاء الكعبة، متشبّهون بطواف الملائكة حول البيت المعمور والعرش بحسب الإمكان، وعدّوا بأنّ مَن تشبّه بقومٍ فهو منهم[1]، وكثيراً ما يزداد ذلك التشبّه إلى أن يصير المتشبِّه في قوّة المتشبَّه به.

وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام): «علّة الطواف بالبيت: أنّ الله قال للملائكة: **«إنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ...»**[2]، فردّوا على الله، فندموا، فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله أن يتعبّد بمثل ذلك العبادُ، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضُراح[3]، ثمّ وضع في السماء بيتاً يسمّى البيت المعمور بحذاء الضُراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم (عليه السلام) فطاف به فتاب عليه، وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة».[4]

وروي أيضاً عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لمّا أفاض آدم (عليه السلام) من منى تلقّته الملائكة بالأبطح، فقالت: يا آدم بُرّ حجّك، أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بألفي عامٍ».[5]

قوله (عليه السلام): «يُحْرِزُونَ الأَرْباحَ في مَتْجَرِ عِبادَتِهِ»:
الحِرز: المكان الذي يُحفظ فيه، وأحْرَزْتُ المتاع: جعلته في الحرز، وأحرزت الشيء إحرازاً، ضممته[6]، أحرزَ قصب السبق: إذا سبق إليها فضمّها دون غيره.

والأرباح: جمع ربح، والمراد به ها هنا: الثواب.
والمَتْجَر: محلّ التجارة، ومواقف الحجّ في مكّة وحواليها مَتْجر يحصل الإنسان فيها على الثواب؛ لأنّها مَتجر العبادة والطاعة، لا المال والمادّة.
فقد استعار (عليه السلام) لفظ المَتْجر للحركات في العبادة، ولفظ الأرباح لثمرتها في الآخرة من كرامة الله.
وقد ذكر (عليه السلام) ها هنا الربح استدراجاً لطباع الخلق بما يفهمونه ويميلون إليه من حبّ الأرباح في الحركات، ليشتاقوا فيعبدوا، وإلاّ فهو (عليه السلام) قسّم العبادة إلى ثلاثة أقسامٍ، وعدّ هذه العبادة عبادة التجّار[7]، وأحسن للعبد إذا نظر في عبادته إلى أنّ الله هو أهل للعبادة، فيحذف جميع الأغراض والخواطر عن درجة الاعتبار، ويجعلها خالصة لوجهه تعالى؛ لأنّه هو.
قوله (عليه السلام): «وَيَتَبادَرُونَ عِنْدَهُ مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ»:
المبادرة: المسارعة والمسابقة[8]، أي: يسابق بعض الحجّاج بعضاً.

وقوله (عليه السلام): «عند موعد مغفرته»، أي: عند المحلّ الذي وعد الله الغفران فيه.

---

١ . قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «مَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم». مسند أحمد بن حنبل: ٢: ٥٠، سنن أبي داود: ٢: ٢٥٥ ح ٤٠٣١.
٢ . البقرة: ٣٠.
٣ . الضُراح: البيت المعمور في السماء الرابعة. مجمع البحرين: ٣: ١٣ – ضرح -.
٤ . علل الشرائع: ٢: ٤٠٦ ح ٧، علل ومعاني الحجّ: ٤٤ ح ٧.
٥ . تقدّم تخريجه.
٦ . لسان العرب: ٥: ٣٣٣.
٧ . قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٤: ٧٠٢ رقم ٢٣٧ – الكلمات القصار -: «إنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبادَةُ التُّجّارِ، وَإنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبادَةُ العَبِيدِ، وَإنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ شُكْراً فَتِلْكَ عِبادَةُ الأَحْرارِ».
٨ . لسان العرب: ٤: ٤٨ - بدر -.

والتبادر إنّما هو بالأعمال الصالحة، كما قال الله سبحانه: «**وَسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ**»[1]، كأنّ مَن يعمل أكثر يكون أكثر مسارعةً لتحصيل المغفرة والمثوبة.
وروي عن الإمام الرضا (عليه السلام): «إنّ علّة الحجّ الوفادة إلى الله تعالى، وطلب الزيادة، والخروج من كلّ ما اقترف، وليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لما يستقبل، وما فيه من استخراج الأموال، وتعب الأبدان، وحظرها عن الشهوات واللذّات، والتقرّب في العبادة إلى اللّه عزّ وجلّ، والخضوع والاستكانة والذلّ، شاخصاً في الحرّ والبرد، والأمن والخوف، دائباً في ذلك دائماً، وما في ذلك لجميع الخلق من المنافع، والرغبة والرهبة إلى اللّه سبحانه وتعالى، ومنه ترك قساوة القلب، وخساسة الأنفس، ونسيان الذكر، وانقطاع الرجاء والأمل، وتجديد الحقوق، وحظر الأنفس عن الفساد، ومنفعة مَن في المشرق والمغرب ومَن في البرّ والبحر، ممَّن يحجّ وممَّن لا يحجّ، من تاجرٍ وجالبٍ وبائعٍ ومشتري، وكاسبٍ ومسكينٍ، وقضاء حوائج أهل الأطراف والمواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم».[2]

قوله (عليه السلام): «جَعَلَهُ سُبْحانَهُ لِلاسْلامِ عَلَماً»:
ولمّا كان الإسلام وأحكامه هو الطريق إلى الله سبحانه، استعار لفظ العلم للحجّ بالنسبة إليه؛ لأنّ به يكون سلوك طريق الله والصراط المستقيم، كالأعلام التي تخفق للعسكر فيأوي إليها الجيش والمارّة على مقاصدهم.
ويحتمل أن يكون المراد بالعلم: الجبل، فهو كالجبل الأشمّ الّذي يلوذ بكنفه الناس من الحرّ والبرد وسائر المخاوف.
وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة».[3]

قوله (عليه السلام): «وَلِلعائِذينَ حَرَماً»:
«العائذين» جمع عائذ: وهو المستجير[4].

وقوله (عليه السلام): حرماً أي محلّ أمنٍ وسلامةٍ، حتّى إنّ الوليّ للدم لا يتمكّن من أن ينال المجرم بسوءٍ وهو عائذ بالحرم، فمَن دخل من الناس الحرم مستجيراً به فهو آمن، ومَن دخله من الوحش والطير كان آمناً من أن يهاج أو يؤذى حتّى يخرج من الحرم.
قوله (عليه السلام): «فَرَضَ حَجَّهُ»:
فرض: أي أوجب.
والحجّ مستجمع لعبادة النفس، وعبادة المال، وعبادة البدن، وهو الطهور الأكبر، والنسك الأعظم، وبه يفارق المسلم أهل الملل، ولذلك قال (عليه السلام): «مَن مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، لم تمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحجّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهوديّاً، أو نصرانيّاً».[5]

وروي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والولاية».[6]

قوله (عليه السلام): «وَأَوْجَبَ حَقَّهُ»:
أي: حقّ البيت بالحجّ والاحترام.
روي عن الإمام السجّاد (عليه السلام): «وحقّ الحجّ: أن تعلم أنّه وفادة إلى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله تعالى عليك».[1]

---

١ . آل عمران: ١٣٣.
٢ . علل الشرائع: ٢: ٤٠٤ ح ٥، علل ومعاني الحجّ: ٤٢ ح ٥.
٣ . الكافي: ٤: ٢٧١ ح ٤، علل الشرائع: ٢: ٣٩٦ ح ١.
٤ . لسان العرب: ٣: ٤٩٨، مجمع البحرين: ٣: ٢٧٥ - عوذ -.
٥ . الكافي: ٤: ٢٦٨ ح ١ وص ٢٦٩ ح ٥.
٦ . المصدر نفسه: ٢: ١٨ ح ١ و٣.

قوله (عليه السلام): «وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفادَتَهُ»:
كتب: فرض وألزم.
والوفادة: الزيارة[2]، والقدوم للاسترفاد والانتفاع، ولفظه مستعار للحجّ؛ لأنّه قدوم إلى بيت الله طلباً لفضله وثوابه.
قوله (عليه السلام): «فَقالَ سُبْحانَهُ:«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ»[3].

استدلّ (عليه السلام) بهذه الآية على وجوب الحجّ، حيث قال (عليه السلام): «فرض حجّه، وأوجب حقّه، وكتب عليكم وفادته».
وقوله تعالى: «**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**»، أي: حقّ لله على الناس أن يحجّوا بيته.
وقوله تعالى: «**مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**»، أي: تمكّن من المسير إليه بالزاد والراحلة والنفقة وما أشبه ذلك.
وقوله تعالى: «**وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ**»، فجعل مَن لم يحجّ وهو مستطيع كافراً، وأنّه لا يضرّ الله، وإنّما يضرّ نفسه، لأنّ الله سبحانه غنيٌّ عن العالمين، والمراد بالكفر هنا إمّا مطلق الكفر، فتجري على مَن عرف وجوب الحجّ وهو مستطيع ولم يحجّ طغياناً أحكام الكفّار؛ أو الكفر العمليّ لا مطلق الكفر.
فروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال: «مَن مات ولم يحجّ حجّة الإسلام، لم يمنعه من ذلك حاجة تجحف به، أو مرض لا يطيق فيه الحجّ، أو سلطان يمنعه، فليمت يهوديّاً أو نصرانيّاً»[4].

وروي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) حين سئل عن هذه الآية، وأنّ مَن لم يحجّ فقد كفر، فقال (عليه السلام): «لا، ولكن مَن قال: ليس هذا هكذا فقد كفر»[5].

وقبل هذه الآية: «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وَهُدىً لِلعالَمينَ فيهِ آياتٌ بَيِّناتٌ مَقامُ إِبْراهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً»[6].

## قائمة المصادر والمراجع:


١ – القرآن الكريم.
٢ - الأعلام، خير الدين الزركليّ (المتوفّى سنة ١٤١٠ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.
٣ - الأمالي، محمد بن عليّ بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفّى سنة ٣٨١ هـ)، مؤسّسة البعثة، قم ١٤١٧ هـ.
٤ - بحار الأنوار، محمد باقر المجلسيّ (المتوفّى سنة ١١١٠ هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت ١٤١٣ هـ.
٥ - بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، محمد تقي التستريّ (المتوفّى سنة ١٤١٥ هـ)، مؤسّسة نهج البلاغة، طهران ١٤٠٩ هـ.
٦ - التاريخ الصغير، محمد بن إسماعيل البخاريّ (المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦ هـ.


---

١ . أمالي الصدوق: ٤٥٢، من لا يحضره الفقيه: ٢: ٦٢٠.
٢ . تكرّر ذكر الوَفْد في الحديث، وهم القوم يجتمعون ويَردون البلاد، واحدهم: وافِد. وكذلك الّذين يقصِدون الأمراء لزيارةٍ واسترْفادٍ وانْتِجاعٍ وغير ذلك. نهاية ابن الأثير: ٥: ٢٠٩ – وفد -.
٣ . آل عمران: ٩٧.
٤ . تقدّم تخريجه.
٥ . الكافي: ٤: ٢٦٦ ح ٥.
٦ . آل عمران: ٩٦ و٩٧.

٧ - التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاريّ (المتوفّى سنة ٢٥٦ هـ)، المكتبة الاسلاميّة، ديار بكر. د. ت.
٨ - ترتيب كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (المتوفّى سنة ١٧٥ هـ)، دار الأسوة، قم ١٤١٤ هـ.
٩ - تفسير العيّاشيّ، محمد بن مسعود العيّاشيّ (المتوفّى سنة ٣٢٠ هـ)، المكتبة العلميّة الاسلاميّة، طهران. د. ت.
١٠ - الثقات، محمد بن حِبّان ابن أبي حاتم التميميّ (المتوفّى سنة ٣٥٤ هـ)، مؤسّسة الكتب الثقافيّة، حيدر آباد الدكن ١٣٩٣ هـ.
١١ - الجرح والتعديل، عبد الرحمان بن أبي حاتم التميميّ (المتوفّى سنة ٣٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ١٣٧١ هـ.
١٢ - خزانة الأدب، عبد القادر بن عمر البغداديّ (المتوفّى سنة ١٠٩٣ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت ١٩٩٨ م.
١٣ - زبدة التفاسير، الملا فتح اللّه الكاشانيّ (المتوفّى سنة ٩٩٨ هـ)، مؤسّسة المعارف الاسلاميّة، قم ١٤٢٣ هـ.
١٤ - سنن أبي داود، ابن الأشعث السجستانيّ (المتوفّى سنة ٢٧٥ هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤١٠ هـ.
١٥ - سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ)، مؤسّسة الرسالة، بيروت ١٤١٣ هـ.
١٦ - شرح نهج البلاغة، عبد الحميد ابن أبي الحديد المعتزليّ (المتوفّى سنة ٦٥٥ هـ)، دار إحياء الكتب العربيّة، بيروت ١٣٧٨ هـ.
١٧ - الصحاح، الجوهريّ (المتوفّى سنة ٣٩٣ هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ١٤٠٧ هـ.
١٨ - طبقات أعلام الشيعة – نقباء البشر -، آغا بزرك الطهرانيّ (المتوفّى سنة ١٣٧٩ هـ)، نشر دار المرتضى، مشهد ١٤٠٤ هـ.
١٩ - علل الشرائع، محمد بن عليّ بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفّى سنة ٣٨١ هـ)، المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف ١٣٢٨٦ هـ.
٢٠ - علل ومعاني الحجّ، فارس حسّون كريم، مكتبة فدك، قم ١٤٢٧ هـ.
٢١ - الفهرست، ابن النديم البغداديّ (المتوفّى سنة ٤٣٨ هـ)، د. ت.
٢٢ - القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ (المتوفّى سنة ٨١٧ هـ)، د. ت.
٢٣ – الكافي، محمد بن يعقوب الكلينيّ (المتوفّى سنة ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الاسلاميّة، طهران ١٣٨٨ هـ.
٢٤ - كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيديّ (المتوفّى سنة ١٧٥ هـ)، مؤسّسة دار الهجرة، قم ١٤٠٩ هـ.
٢٥ - الكشف الحثيث،، سبط ابن العجميّ (المتوفّى سنة ٨٤١ هـ)، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربيّة، بيروت ١٤٠٧ هـ.
٢٦ - الكنى والألقاب، عبّاس محمد رضا القمّيّ (المتوفّى سنة ١٣٥٩ هـ)، مؤسّسة النشر الاسلاميّ، قم ١٤٢٥ هـ.
٢٧ - لسان العرب، ابن منظور المصريّ (المتوفّى سنة ٧١١ هـ)، أدب الحوزة، قم ١٤٠٥ هـ.
٢٨ - مجمع البحرين، فخر الدين الطريحيّ (المتوفّى سنة ١٠٨٥ هـ)، مكتب نشر الثقافة الاسلاميّة، قم ١٤٠٨ هـ.
٢٩ - المسند، أحمد بن حنبل (المتوفّى سنة ٢٤١ هـ)، دار صادر، بيروت. د. ت.
٣٠ - المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيّوميّ، دار الهجرة، قم ١٤٠٥ هـ.
٣١ - معجم البلدان، ياقوت الحمويّ (المتوفّى سنة ٦٢٦ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت ١٣٩٩ هـ.

٣٢ - معجم المؤلّفين، محمد رضا كحّالة، مكتبة المثنّى ودار إحياء التراث العربيّ، بيروت. د. ت.
٣٣ - من لا يحضره الفقيه، محمد بن عليّ بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (المتوفّى سنة ٣٨١ هـ)، مؤسّسة النشر الاسلاميّ، قم. د. ت.
٣٤ – منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، قطب الدين سعيد بن هبة اللّه الراونديّ (المتوفّى سنة ٥٧٣ هـ)، مكتبة العامة لآية الله السيّد المرعشيّ النجفيّ، قم ١٤٠٦ هـ.
٣٥ - ميزان الاعتدال، محمد بن أحمد الذهبيّ (المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ)، دار المعرفة، بيروت ١٣٨٢ هـ.
٣٦ - النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزريّ (المتوفّى سنة ٦٠٦ هـ)، مؤسّسة إسماعيليان، قم ١٣٦٤ هـ. ش.
٣٧ – نهج البلاغة، الشريف الرضيّ (المتوفّى سنة ٤٠٦ هـ)، شرح الدكتور صبحي الصالح، دار الأسوة، قم ١٤١٥ هـ .

# فهرست البحوث والمقالات حول نهج البلاغة

| ت | اسم الباحث | عنوان البحث | الجامعة والكلية | الدولة | بحث او ملخص |
|---|---|---|---|---|---|
| ١ | أ.د.عباس فاضل الدليمي | جدلية النص والتعيين في بناء مفهوم التسامح كمنظومة قيمية عند الامام علي في نهج البلاغة | كلية التربية الاساسية - جامعة ديالى | العراق | بحث |
| ٢ | أ.د.حميدة صالح مهدي البلداوي | بلاغة الحمد والتمجيد في أدب الجد والحفيد نهج البلاغة للامام علي بن ابي طالب والصحيفة السجادية للامام علي بن الحسين عليهما السلام | جامعة بغداد - كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٣ | أ.د.هادي نهر | المحظورات اللغوية والمحسنات اللفظية في نهج البلاغة | | الاردن | بحث |
| ٤ | أ.د.احمد بالقاسم عبد القادر جعفري | الصورة الفنية في كتاب نهج البلاغة | الجامعة الافريقية أدرار الجزائر - كلية الآداب والعلوم الاسلامية / اللغة العربية | الجزائر | بحث |
| ٥ | أ.د.فليح كريم خضير الركابي | العلاقات الانسانية في عهد الامام علي (عليه السلام) الى مالك الأشتر (رض) | جامعة بغداد - عميد كلية الآداب | العراق | بحث |
| ٦ | أ.د.مها خيربك ناصر | البنى النحوية التركيبية والقيم الدلالية في خطبة الجهاد | الجامعة اللبنانية - استاذة الدراسات العليا | لبنان | ملخص |
| ٧ | أ.د.زهير غازي محسن زاهد المياح | مقدمة في اعراب نهج البلاغة وبيان معانيه | جامعة بغداد - كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٨ | أ.د.كريم حسين ناصح الخالدي | بنية الخطاب النفسي في نهج البلاغة | جامعة بغداد - كلية التربية للبنات / قسم اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٩ | أ.د.صاحب محمد حسين نصار | اختيار مصباح السالكين (إنموذجاً) للشيخ ميثم بن علي البحراني دراسة في الاسلوب والمنهج | جامعة الكوفة - كلية الفقه / الدراسات العليا | العراق | بحث |
| ١٠ | أ.د.عبد الكاظم محسن كاظم الياسري | الاثر الدلالي للاصوات في رسائل الامام علي (ع) في نهج البلاغة | جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ١١ | أ.د.يسار محمد حسن الشماع و د.عباس علي الفحام | القوة البدنية للامام علي (ع) - تحليل فسلجي - | جامعة الكوفة - كلية التربية الاساسية / اللغة العربية و جامعة الكوفة - كلية الطب / الفزيولوجي | العراق | بحث |
| ١٢ | أ.د.صاحب جعفر أبو جناح | فلسفة السياسة الادارية عند الإمام علي (ع) في ضوء (عهده لمالك الاشتر) | الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ١٣ | أ.د.مسلم علاوي شبلي و م.د. مزهر عبد السادة حنين | فلسفة الإدارة في فكر الامام علي (ع) | كلية الادارة والاقتصاد / جامعة الصرة | العراق | بحث |
| ١٤ | أ.د.صالح مهدي عباس | نهج البلاغة في أسانيد العلماء الرواة | مركز إحياء التراث العلمي العربي /جامعة بغداد | العراق | بحث |
| ١٥ | أ.د.مولود حمد نبي و م. م. عامر خالد عكيد الخالد | أثر استخدام استراتيجية خرائط المفاهيم في تحصيل طلاب الصف السابع الأساسي في قواعد اللغة العربية بوصفها لغة ثانية وتنمية دافعيتهم لتعلمها | كلية التربية / جامعة دهوك | العراق | بحث |
| ١٦ | أ.د.عبد الحسن علي مهلهل السهلاني | شعرية التكثيف في خطب نهج البلاغة - خطبة همام اختيارا | كلية الاداب / جامعة ذي قار | العراق | بحث |
| ١٧ | أ.د.مجتبى رحمان دوست مرتضى محمد حسين | اثر نهج البلاغة على الادبيات الاجنبية | فرديس قم المقدسة / جامعة طهران | ايران | ملخص |
| ١٨ | أ.د.صباح عباس عنوز و م.م. حوراء مهدي عبد الصاحب الكوفي | دلالة العدول في نصوص نهج البلاغة الاقوال القصار انموذجا | كلية الفقه / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١٩ | أ.د.يحيى كاظم السلطاني | الطب والصحة العامة في نهج البلاغة | كلية الطب / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٢٠ | أ.د.مريم رضا قلي هاشمي و فراس تركي عبد العزيز (باحث) | النظام الاداري في صدر الإسلام عهد الإمام علي (ع) الى مالك الاشتر | جامعة الزهراء | ايران | بحث |
| ٢١ | أ.د.علي مهدي زيتون | وظيفة الاستعارة الدلالية في نهج البلاغة | | لبنان | بحث |
| ٢٢ | أ.د.نهاد حسوبي صالح المهدي | خلق الانسان في نهج البلاغة | كلية الاداب - جامعة بغداد | العراق | بحث |
| ٢٣ | أ.م.د.رزاق عبد الأمير مهدي | البناء التركيبي في حِكَم الإمام علي(ع) | معاون عميد كلية التربية الأساسية - جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٢٤ | أ.م.د.نجم عبدالله الموسوي و رنا جبار شرهان | أسباب ضعف تلاميذ المرحلة الإبتدائية في مادة القراءة من وجهة نظر معلمي المادة | كلية التربية – جامعة ميسان | | بحث |
| ٢٥ | أ.م.د.انسية ابو القاسم خزعلي | الحوار في وجهة نظر علي (عليه السلام) | جامعة الزهراء - كلية الآداب / اللغة العربية | ايران | بحث |
| ٢٦ | أ.م.د.مزاحم مطر حسين | ادب الوصايا في نهج البلاغة - قراءة في خصائص الاسلوب - | جامعة القادسية - كلية التربية / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٢٧ | أ.م.د.حيدر ادهم عبد الهادي الطائي | قراءات في الاصول التاريخية لبعض قواعد البروتوكول الاضافي الثاني في الممارسة | جامعة النهرين - كلية الحقوق | العراق | بحث |

| ت | اسم الباحث | عنوان البحث | الجامعة والكلية | الدولة | بحث او ملخص |
|---|---|---|---|---|---|
| | | الاسلامية | | | |
| ٢٨ | أ.م.د.محمد علي غناوي هاني الحمداني و طه هاشم الدليمي (بكلوريوس) | مع لغة الامام علي عليه السلام في نهجه | كلية التربية الاساسية / جامعة ديالي - رئيس قسم اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٢٩ | أ.م.د.مؤيد عبد الحسين خليل الفضل | المفاهيم الادارية الحديثة في نهج العترة الطاهرة | جامعة الكوفة - كلية الادارة والاقتصاد / ادارة الاعمال | العراق | بحث |
| ٣٠ | أ.م.د.سوسن هادي جعفر البياتي | الخطاب السردي في نهج البلاغة | جامعة تكريت - كلية الآداب / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٣١ | أ.م.د.حميد سراج جابر الاسدي | فلسفة النبوة وأبعاد حياة الانبياء الاجتماعية في نهج البلاغة | رئيس قسم التاريخ - كلية التربية / جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٣٢ | أ.م.د.وجدان فريق عناد | أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كتاب نهج البلاغة مالك الأشتر أنموذجاً | مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد | العراق | بحث |
| ٣٣ | أ.م.د.محمد أديبي مهر و الدكتور يدالله ملايري | السلم والتعايش الإنساني من منظار نهج البلاغة | قسم الفقه والحقوق بجامعة طهران | ايران | بحث |
| ٣٤ | أ.م.د.علي شاكر عبد الائمة الفتلاوي | الزمن في نهج البلاغة : دراسة في الزمن النفسي والاجتماعي والمادي في فكر الإمام علي بن أبي طالب (ع) | كلية الاداب / جامعة القادسية | العراق | بحث |
| ٣٥ | أ.م.د.عبد الكريم عز الدين صادق الاعرجي | السيد عبد الزهراء الخطيب وجهوده في دراسة مصادر نهج البلاغة واسانيده | التربية للبنات / جامعة بغداد | العراق | بحث |
| ٣٦ | أ.م.د.طيبة شعبان سيفي | نهج‌البلاغه و صداه في الأدب الفارسي حافظ الشيرازي نموذجا | الآداب و العلوم الانسانية/ جامعة شهيد بهشتي | ايران | بحث |
| ٣٧ | أ.م.د.آفرين زارع و طالبة الماجستير ناديا دادبور | أثر الانزياح في جمالية بلاغة نهج البلاغة (دراسة الدنيا أنموذجا ) | نائب عميد كلية الآداب و العلوم الإنسانية /جامعة شيراز | ايران | بحث |
| ٣٨ | أ.م.د.علي رضا نظري و أ.م.د.نرجس علي ولي الله انصاري | دراسة الحذف كعنصر إتساقي في خطب نهج البلاغة | كلية الاداب / جامعة الامام الخميني الدوليه | ايران | بحث |
| ٣٩ | أ.م.د.مصطفى كمال‌جو | عهد الإمام علي(ع) إلى مالك الأشتر منجاة للمجتمع الإنساني | قسم اللغة العربية و آدابها / جامعة مازندران شمالي إيران | ايران | ملخص |
| ٤٠ | أ.م.د.نزار خورشيد مامه عقراوي و المدرس الدكتور صباح حسين محمد | الوقوف اللازمة في القرآن الكريم – للماتريدي ( هـ)- دراسة وتحقيق | كلية التربية جامعة دهوك | العراق | ملخص |
| ٤١ | أ.م.د.ارشد الشيخ علي البهادلي | البنية التحتية للخطبة العلوية في نهج البلاغة (رد التحية الى الله) | كلية التربية / الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ٤٢ | أ.م.د.منذر ابراهيم حسين الحلي | التعليقات اللغوية للشريف الرضي في نهج البلاغة | كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء | العراق | ملخص |
| ٤٣ | أ.م.د.هاشمية حميد جعفر الحمداني | الهوى في نهج البلاغة دراسة احصائية بلاغية | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٤٤ | أ.م.د.صلاح مهدي حسين الزبيدي | مفهوم " الحق " في البنية النصية لخطب الإمام علي (ع) في نهج البلاغة | كلية التربية / الاصمعي / جامعة ديالى | العراق | بحث |
| ٤٥ | أ.م.د.مهين حاجي زاده و أ.م.د. رقية صادقي نيرى | ظاهرة الجناس في نهج البلاغة | بجامعة آذربيجان لإعداد المعلمين / كلية الآداب و العلوم الانسانية | ايران | بحث |
| ٤٦ | أ.م.د.علي رضا محمد ضايي مسعود جواد | تحليل نفسي اجتماعي لكلمات من الكلمات القصار | فرديس قم المقدسة / جامعة طهران | ايران | ملخص |
| ٤٧ | أ.م.د.شروق كاظم و م.د.ايمان صادق عبد الكريم | الصحة النفسية وعلاقتها بالخجل لدى طلبة الجامعة | جامعة بغداد - معاون عميد كلية التربية للبنات | العراق | بحث |
| ٤٨ | أ.م.د.علي كاطع خلف | الانسجام النصي في نهج البلاغة (عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشتر) انموذجا | كلية الاداب / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٤٩ | أ.م.د.محمد جعفر محيسن العارضي | المهيمنة الدلالية في خطبة "الاشباح" في نهج البلاغة - دراسة الفرادة اللفظية في سياق وصف الملائكة | كلية الاداب / جامعة القادسية | العراق | بحث |
| ٥٠ | أ.م.د.حامد ناصر الظالمي و د.مرتضى عباس فالح | التأويل لنص نهج البلاغة في شروح ثلاث | كلية التربية / جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٥١ | أ.م.د.كبري روشنفكر | دراسة مناهج البحث في نهج البلاغة - الدراسات الايرانية نموذجا | جامعة تربيت | ايران | بحث |
| ٥٢ | أ.م.د.علي صالح رسن المحمداوي | علاقة الامام علي مع اخيه عقيل من خلال كتاب نهج البلاغة | كلية التربية - جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٥٣ | أ.م.د.محمد محمود زوين | القرآن وبيانه في نهج البلاغة - دراسة في المصاديق التفسيرية | جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة | العراق | ملخص |
| ٥٤ | أ.م.د.خالد لفته باقر | جماليات الاسلوب المعارضي في كتب الامام ورسائله مع معاوية - ققراءة في البنية الدلالية | كلية الاداب - جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٥٥ | أ.م.د.ختام راهي مزهر | مناقب الامام علي (ع) في نهج البلاغة | كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٥٦ | أ.م.د.صالح نهير الزاملي و م.د.رائد منصور الركابي | نظرية المعرفة عند الامام علي (ع) | كلية التربية / جامعة واسط | العراق | بحث |

| ت | اسم الباحث | عنوان البحث | الجامعة والكلية | الدولة | بحث او ملخص |
|---|---|---|---|---|---|
| ٥٧ | م.د.حازم سعيد محمد محمد منتصر | نهج البلاغة مصدرا من مصادر منشئات السلاطين | جامعة الأزهر | مصر | بحث |
| ٥٨ | م.د.قاسم خلف السكيني | جهود الجاحظ في جمع نهج البلاغة (تحقيق وتوثيق) | كلية الآداب - قسم اللغة العربية / جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٥٩ | م.د.حسين لفته حافظ الزيادي | أثر نهج البلاغة في المؤلفات الاندلسية (العقد الفريد انموذجا) | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٦٠ | م.د.حسن كاظم اسد حافظ الخفاجي | الاثر الفكري في تمييز رجال الحديث من خلال نهج البلاغة | جامعة ميسان - كلية التربية / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٦١ | م.د.علي مجيد داود البديري | اثر نهج البلاغة في شعر ناصر خسرو دراسة في مستويات التعبير الادبي | جامعة البصرة - كلية الآداب | العراق | بحث |
| ٦٢ | م.د.هناء عبد الرضا رحيم و الدكتور مرتضى عباس السلمي | ادب الدعاء في نهج البلاغة (دراسة دلالية) | كلية التربية - جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٦٣ | م.د.رياض كريم عبد الله البديري | التعدي بالحرف في نهج البلاغة | جامعة الكوفة - كلية الفقه / اللغة العربية | | ملخص |
| ٦٤ | م.د.يحيى رمزي محسن العبادي | التكامل الاخلاقي في نهج البلاغة | كلية الامام الكاظم (ع) للعلوم الاسلامية - رئيس قسم الفكر الاسلامي | العراق | بحث |
| ٦٥ | م.د.عباس علي الفحام و د. ميثم الحمامي | الصيغ النادرة ودلالتها في نهج البلاغة | جامعة الكوفة - كلية التربية الاساسية / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٦٦ | م.د.عباس علي الفحام | فن التقسيم في نهج البلاغة | جامعة الكوفة - كلية التربية الاساسية / اللغة العربية | العراق | بحث |
| ٦٧ | م.د.عدي جواد علي الحجار | الدلالات التفسيرية في شواهد نهج البلاغة القرآنية | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٦٨ | م.د.حسين عبد العال بعيوي | ظاهرة الجناس في خطب ورسائل الامام علي (ع) - دراسة بلاغية | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٦٩ | م.د.فاطمة رضا جعفر اكبرى زاده | توظيف (إنما) فى خطب نهج البلاغة و دلالاته التربوية | العلوم الانسانية / تربية المدرس | ايران | بحث |
| ٧٠ | م.د.شروق محسن كاطع الطائي | أبعاد الصورة السمعيّة والايقاعيّة في كتاب نهج البلاغة للامام عليّ (عليه السلام) | كلية التربية / جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٧١ | م.د.جنان محمد مهدي خليفة العقيدي | المقام وتوجيه الدلالة في الظواهر التركيبية لنهج البلاغة | كلية التربية للبنات / جامعة بغداد | العراق | بحث |
| ٧٢ | م.د.رحيم محمد الساعدي | المستقبل في فكر الإمام علي (ع) | كلية الاداب / الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ٧٣ | م.د.عادل عباس هويدي النصراوي | مستوى الدلالة القرآنية في نهج البلاغة | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٧٤ | م.د.محمد طاهر ناصر التميمي | الامام علي (ع) واهتماماته التربوية والتعليمية | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٧٥ | م.د.حيدر جيجان عبد علي الزيادي | أثر الحديث النبوي في نهج البلاغة | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٧٦ | م.د.مريم عبد الحسين مجبل التميمي و حيدر محمود عبود زوين (بكلوريوس) | ادعية الامام علي (ع) في نهج البلاغة - دراسة تحليلية | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٧٧ | م.د.مريم عبد الحسين مجبل التميمي | أثر خطاب نهج البلاغة في المتلقين (خطبتي الشقشقية ووصف المتقين مثالا) | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٧٨ | م.د.حسن حميد محسن فياض | أدب التوحيد في نهج البلاغة - وجود الله مثالا | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٧٩ | م.د.باقر محمد جعفر محمد ابراهيم الكرباسي | الاماكن والبلدان في نهج البلاغة (دراسة ببلوغرافية) | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ٨٠ | م.د.سكينة حسين كاظم تاج الدين | خطبة الامام علي (ع) في معنى الشبهة دراسة تحليلية | كلية التربية / جامعة المثنى | العراق | بحث |
| ٨١ | م.د.علي عمران | الوظائف الحجاجية في الخطاب الحربي: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) أنموذجا | الجامعة الاهلية - مملكة البحرين | البحرين | بحث |
| ٨٢ | م.د.عبد الكريم احمد عاصي المحمود | نهج البلاغة انموذج الادب الاسلامي الرفيع | كلية الفقه / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٨٣ | م.د.عقيل محسن كريم الفتلي | ادارة الوقت من منظورين اسلامي واداري مع التركيز على المفهوم في نهج البلاغة | مؤسسة افاق للدراسات والابحاث العراقية | العراق | بحث |
| ٨٤ | م.د.عبد الحسين اعوج العمري | الوعي بالزمن في نهج البلاغة الخطبة (١) انموذجا | كلية الاداب - جامعة ذي قار | العراق | بحث |
| ٨٥ | م.د.جون حنون علي العتابي | ملامح المنهج التربوي عند الامام عل (ع) | كلية الشيخ الطوسي - النجف | العراق | بحث |
| ٨٦ | د.وفقان خضير محسن الكعبي | اثر السنة النبوية في نهج البلاغة دراسة تحليلية للروايات الشريفة | كلية الدراسات الانسانية / النجف الاشرف | العراق | بحث |
| ٨٧ | د.محمد رسول حسن علي جان محمد آهنگران | دلالة كلمة «الله» فى نهج البلاغة | كلية الفقه والفلسفة / جامعه طهران | ايران | بحث |
| ٨٨ | د.محمد الأمين خلادي | دلائل النظم وفاعلية التكرار و خصيصاته - دراسة أسلوبية في منهج الإمام وبصمته في نهج البلاغة | قسم اللغة العربية وأدبها /جامعة أدرار | الجزائر | ملخص |

| ت | اسم الباحث | عنوان البحث | الجامعة والكلية | الدولة | بحث او ملخص |
|---|---|---|---|---|---|
| ٨٩ | د.رائد حمود عبد الحسين الحصونة | اهل البيت عليهم السلام مكانتهم وفظلهم وموقف الامة منهم من خلال كتاب نهج البلاغة | كلية التربية / جامعة ذي قار | العراق | ملخص |
| ٩٠ | د.معصومة نعمتى قزوينى | دراسة خمس خطب المشهورة للإمام على(ع) فى ضوء المنهج الإجتماعى (خطب ٢٧(جهاد)، ٨٣(غرّاء)، ١٦٠، ١٩٢(قاصعه)، ١٩٣( همام)) | | ايران | ملخص |
| ٩١ | د.سيد محمد رضي سيد كاظم سيد عباس مصطفوي نيا و الدكتور رسول دهقان ضاد | اثر المفاهيم نهج البلاغة الاخلاقية فى الادب الفارسي | الاداب والعلوم الاسلامية / جامعة قم | ايران | بحث |
| ٩٢ | د.مؤيد آل صوينت | تقنيات الحجاج في نهج البلاغة | كلية الآداب - الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ٩٣ | د.علاء جبر الموسوي | الوعظ التأريخي في خطب نهج البلاغة | كلية الآداب - الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ٩٤ | د.صالح جبار القريشي | المناحي التربوية والاخلاقية في عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشتر (رض) | كلية العلوم الاسلامية - جامعة كربلاء | العراق | بحث |
| ٩٥ | د.فارس السلطاني | علي بلسان علي | كلية الفقه - جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ٩٦ | د.كاطع جار الله سطام الدراجي | روايات نهج البلاغة في ضوء علم الدلالة | كلية الاداب - الجامعة المستنصرية | العراق | بحث |
| ٩٧ | د.محمد حسن معصومي و الدكتور سيد اكبر غضنفري | انتاج الدلالة اللغوية في كتاب نهج البلاغة | عضو الهيئة التعليمية بجامعة ازاد الاسلامية - قم | ايران | بحث |
| ٩٨ | د.خليل خلف بشير | الدعاء في نهج البلاغة | كلية الاداب - جامعة البصرة | العراق | بحث |
| ٩٩ | د.هادي عبد النبي التميمي | نهج البلاغة وتأريخ الامام علي (ع) في أثار الشيخ محمد مهدي شمس الدين - دراسة في الرؤية والمنهج | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١٠٠ | م.امير ابراهيم عباس فرهنك نيا | تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة خطبة الجهاد نموذجاً | العلوم الانسانية / جامعة تربيت مدرس | ايران | بحث |
| ١٠١ | م.حسين محمد قاسم محسني | خطبة الشقشقية و تحليل لغوي أسلوبي | العلوم الانسانية / جامعة تربيت مدرس | ايران | بحث |
| ١٠٢ | م.آمنة جعفراسماعيل موسوي شجري | دراسة المضامين المشتركة بين نهج البلاغه و اشعار حافظ | كلية الاداب / جامعة العلوم القرآنية و بيام نور | ايران | بحث |
| ١٠٣ | م.حسام عدنان رحيم عبد الحسن الياسري | ألفاظ الطِّيب والعِطر ومتعلقاتها في نهج البلاغة | كلية الاداب / جامعة القادسية | العراق | بحث |
| ١٠٤ | أ.م.اسماعيل سلو حسن الاعرجي | فضل ذكر الحيوان في القران | كلية العلوم / جامعة دهوك | العراق | بحث |
| ١٠٥ | م.مريم حبيب اله محمد رضا جلالي نجاد | المحسنات البديعية ( الجناس) فى مرآه نهج البلاغه | قسم اللغة العربية وادابها / بيام نور | ايران | بحث |
| ١٠٦ | م.م.سحر هادي سعيد شبر | التفاعل الجمالي في نهج البلاغة - الخطبة الشقشقية مثالا | | العراق | بحث |
| ١٠٧ | م.م.ميثم قيس مطلك الزبيدي | الأداء البياني في خطب نهج البلاغة | جامعة القادسية - كلية التربية / اللغة العربية | العراق | ملخص |
| ١٠٨ | م.م.الشيخ حسن كريم الربيعي و محمد نعمة الصريفي | الفكر التاريخي عند أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة - دراسة في ابعاد التاريخ | جامعة الكوفة - كلية الفقه | العراق | بحث |
| ١٠٩ | م.م.عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي و م.م. هادي سعدون العارضي | ظاهرة الانسجام في نهج البلاغة - رسالة الامام (ع) الى شريح القاضي انموذجاً | جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة | العراق | بحث |
| ١١٠ | م.م.رملة خضير مظلوم | الدلالة الصوتية في نهج البلاغة | جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١١١ | م.م.عباس اسماعيل الغراوي و أ.م.د. فيصل مفتن اللامي | دلالات جموع التكسير في نهج البلاغة | جامعة ميسان - كلية التربية الاساسية / قسم اللغة العربية | العراق | بحث |
| ١١٢ | م.م.عامرة تمكين نعمة الياسري | عقيدة التوحيد في نهج البلاغة | كلية التربية الاساسية / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ١١٣ | م.م.عبد الحسين احمد رشيد الخفاجي و صادق جعفر الحسيني (بكلوريوس) | منهج الامام علي بن ابي طالب (ع) في الخطابة - الخطبة الاولى في نهج البلاغة انموذجا | كلية التربية الاساسية / جامعة ديالى | العراق | بحث |
| ١١٤ | م.م.مجيب سعد ابو كطيفة العفلوكي | البنية الكبرى للنص - خطبة ٦٦ و ١٢٤ انموذجا | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١١٥ | م.م.شكري عز الدين محسن الاسدي | أثر اقوال مختارة من نهج البلاغة في الاداء التعبيري وتنمية التفكير الابداعي | المديرية العامة للتربية في النجف / معهد اعداد المعلمين | العراق | بحث |
| ١١٦ | م.م.اسلام فاروق عيسى البياتي | عناصر القياس وتفاعلات النص دراسة في اقيسة الخطابة - الخطبة الغراء انموذجا | الكلية الاسلامية الجامعة / النجف الاشرف | العراق | بحث |
| ١١٧ | م.م.محمد عبد علي حسين القزاز | عالمية الامام علي ابن ابي طالب (ع) وفكره النير | مركز دراسات الكوفة / جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١١٨ | م.م.ضرغام خالد عبد الوهاب ابو كلل | العدالة الاجتماعية والسياسية في عهد الامام علي (ع) الى مالك الاشتر | كلية الاداب - جامعة الكوفة | العراق | بحث |
| ١١٩ | هاشم حسين ناصر المحنك | اخلاقيات العدالة في عهد أمير المؤمنين (ع) للأشتر النخعي (رض) | جامعة الكوفة - مركز دراسات الكوفة | العراق | بحث |

| ت | اسم الباحث | عنوان البحث | الجامعة والكلية | الدولة | بحث او ملخص |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٢٠ | عماد موسى محمود الكاظمي | الملامح التربوية في نهج البلاغة - وصية أمير المؤمنين (ع) لولده الحسن أنموذجاً - | امين مكتبة الجوادين العامة في الصحن الكاظمي الشريف | العراق | بحث |
| ١٢١ | ظافر ستار حميد دوش بلال | خلق الكون والانسان في نهج البلاغة | مؤسسة كاشف الغطاء العامة | العراق | بحث |
| ١٢٢ | الباحث عقيل حميد عبد الرضا الفتلاوي و الباحث مصطفى ناجح ابراهيم الصراف | تحقيق كتاب (مدارك نهج البلاغة ودفع الشبهات عنه) | مؤسسة كاشف الغطاء العامة | العراق | بحث |
| ١٢٣ | هاشم عبد مناف زوين | السياسة المالية العامة عند امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) في نهج البلاغة | كلية القانون - جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ١٢٤ | حميد طاهر حسين المدني | قراءة في وثيقة العهد ومسائل اخرى | محافظة القادسية | العراق | ملخص |
| ١٢٥ | فارس حسون كريم وشذى جبار عمران | عبقة من نهج البلاغة | قسم الدراسات العليا - جامعة واسط | العراق | بحث |
| ١٢٦ | الباحث السيد علي محمود البعاج | سياسة الإمام المالية من نهج الإمام | النجف الاشرف - حي الغدير | العراق | بحث |
| ١٢٧ | الشيخ غالب عبد زيد حسين الناصر | كلمات نهج البلاغة في فكر الحداثة | حوزة النجف الاشرف | العراق | ملخص |
| ١٢٨ | حسنين جابر الحلو | الابعاد العقائدية في نهج البلاغة - مسألة التوحيد إنموذجا - | جامعة الكوفة - كلية الآداب / قسم الفلسفة | العراق | ملخص |
| ١٢٩ | صباح خيري الحسيني | نقد رواة الحديث في نهج البلاغة | كلية الفقه / جامعة الكوفة | العراق | ملخص |
| ١٣٠ | منير صادق نجم الكاظمي | بين الخطابين الديني والتعسفي قراءة في خطبة امير المؤمنين (القاصعة) | مكتبة الجوادين العامة / الصحن الكاظمي الشريف | العراق | بحث |
| ١٣١ | الباحث الشيخ علي السوداني | انتقائية الشريف الرضي لنصوص نهج البلاغة الخطب المسماة انموذجا | | العراق | بحث |
| ١٣٢ | علي ناصر البغدادي | تحقيق كتاب (مستدرك نهج البلاغة) | مؤسسة كاشف الغطاء العامة | العراق | بحث |
| ١٣٣ | حميد علي خان | قراءة في وثيقة العهد ومسائل اخرى من متطلبات البحث عن المفاهيم القانونية في نهج البلاغة | | العراق | بحث |

# قـــراءة في وثيقة العهد ومسائل أخرى من متطلبات البحث عن المفاهيم القانونية في نهج البلاغة

**الباحث: حميد علي خان**

طوبى لتلك البقعة المباركة، تغفو على هضبة، لتحتضن رفاة علي، تتنشقُ عبقهُ كل صباح، فيتحول الرأي عندها إلى أشعاع...

## المقدمة

كلفتُ من أساتذة أجلاء، أن اعد بحثاً عن المفاهيم القانونية في نهج البلاغة، تأملت ملياً فيما كلفت به، فتمنيت ان اكون بمستواه فهل سأكون؟

لقد اعترتني الحيرة، كيف ابدأ، وبم انتهي؟ وإنا أتحدث عن جانب خطير من جوانب الشخصية الأعلى مثلاً، في الحياة وفي التاريخ.. فاضطررت ان استنجد بوعي مما سأقول، من واقع ما كنت يوماً بعيداً عنه ومن وحي والهام تلك الشخصية، وما تركته لنا وللعالم من تراث أعجز القلم واعيى اللسان والذاكرة فان وفقت في ذلك فهذا ما تمنيته وان لم أصب فحسبي ما حاولت، تقرباً لشخص الامام القائد، والإنسان.. الذي لم يدع جانباً من جوانب الحياة إلا وترك له حيزاً من فكرة وعطاءه..

ولكن، دعوني ابتعد عن الأساليب المتكررة لا تبع خطى فلسفتي في فهم الأشياء وتفسيرها بالشكل الذي يرضي قناعتي ويحدد رغباتي ومواقفي..

وما سأقوله ليس كفراً...

فانا أجد الانسان، أي إنسان، يكاد ان يكون نبياً.. فان لم يكن كذلك فهو انسان !! والنبي والانسان كلاهما يسلكان الطريق ذاته نحو الله.. غير ان النبي، سيلاقي الذات العليه، هاشا باشا، مبتسماً فرحاً بما أوتي، لانه من أهل الدار وهو اعلم من رفيقه بمسالك السماء، ومناطق الضيافة، فيها.. بينما قد يمكث الإنسان طويلاً عند أبواب السماوات قبل ان يؤذن له بالولوج، وقد لايؤذن له أبداً.. فتذهب نفسه على ذلك حسرات..

ولكن، إذا كان الإنسان، هو من يقول للشمس قفي حتى أكمل صلاتي، وهو بوعي تام مما يعتقد ويقول، وإيمان أيضاً، مثلما تكون مواطن الأقداس هي الأخرى، على إيمان حتماً، وعقيدة كذلك دون ان يخامرها ادني شك بصدق ذلك الإيمان.. وإذا كان الرجل، هو من كرمته الملائكة في أحد، يوم هتف صائح منها في السماوات العُلا، ان لافتى الا هو، ولا سيف الا سيفه واذا كان ذلك الرجل هو من قال له محمد النبي أنت مني بمنزلة هارون من موسى، الا انه لانبي من بعدي*.. فلا بد أن يكون ذلك الرجل، وصي النبي، هو انت..واذا كان ذلك الرجل هو من قال له محمد، انت باب مدينة العلم، فاكيد ان النبي يعي ما يقول وان ما قال ذلك الا بامر من الله، وتوفيق منه..

واذا كان ذلك الرجل هو من قال عنه عمر بن الخطاب ان الله قد خلق ملائكة من نور وجهك.. هو أنت حتماً.. ومن قال عنه عمر (لايفتين أحد في المسجد وانت فيه) فهو أنت ولا أحد سواك.. ولا بارك الله في معضلة لا تحكم فيها.. ولولاك لهلك عمر..

الم تكن انت من ولاه الله في كتابه، «**انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**»(صدق الله العلي العظيم) وحيث ان بحثي هذا، محصور في ايضاح المفاهيم القانونية في نهج البلاغة، ما يحتم عليّ ان اركز النظر بما يتعلق بالنطاق الذي اشرت اليه اذ يجب حينئذ مراعاة التسلسل المنطقي والتاريخي لتلك المفاهيم بما ضمه نهج البلاغة من صور واضحة لمتطلبات البحث، وقد اكون مرغماً ان اخرج على النص احياناً بطرح رؤى ربما لم ترد في سياقات النهج وهو ما يعني، التطبيق العملي لتعزيز العمق الانساني ذي الصلة بمفردات قانونية وقضائية مارسها الامام، حتى اللحظات الاخيرة من

حياته.. وهو يشدد على وجوب عدم تجاوز القصاص حتى من الجاني الذي فلق رأسه.. بل يؤكد على المحافظة على شكل آدمية الانسان اثناء تنفيذ العقوبة، تطبيقاً لذلك المبدأ.. وبقواعد تناولتها القوانين العقابية والتنظيمية الحديثة، باقل تشديد.. من خلال ذلك يتضح ان الامام قد كفل كل الضمانات القانونية اللازمة التي سيتمتع بها المتهم او الجاني او المتنازع قضاءاً، او المدعي بالحق الشخصي او المسؤول مدنياً، او جزائياً او المدعي بالحق المدني او أي طالب حق لدى الغير مع ضمانه بالمقابل لحق الدفاع المشروع عن النفس وعن المال وعن العرض.. مثلما له الحق في الدفاع عن نفسه امام القضاء بالطرق التي يقتضيها الموقف..

كفل الامام ذلك، سواء عندما يعرض الامر امامه كقاض عادل، او عندما يكون هو المسؤول عن نزاهة القضاء واستقامته، كولي لامر المسلمين.. فكل ما اشرت اليه، مدعوم بما يقابله من نصوص في نهج البلاغة وشروحها، مع ما يقابله من نصوص اخرى في القوانين الوضعية الحديثة..

ومن نصوص النهج، استوحيت الكثير الكثير من المبادئ القانونية الصرفة، والمبادئ ذات الصلة بالقانون والقضاء وضمان سلامة تطبيقها تطبيقاً سليماً..وصحيحاً، والتي ورد الكثير منها مطعماً بمفردات لم تكن معروفة بصيغها الحالية والتي يمكن تصنيفها بالات:-

- المفاهيم القانونية ذات الصلة بحقوق الانسان.
- المفاهيم القانونية في القضاء..
- مبادئ العدالة في التطبيق.. ومبدأ الفصل بين الشهود.
- عدم تجاوز حق الدفاع، وعدم تجاوز القصاص.
- مبدأ استقلال القضاء.

لقد أسس الامام لتمتين دعائم الحق والعدل من خلال تلك المبادئ وتعزيزها والعمل بمضامينها مستخدماً في ذلك الطرق العلمية والفسلجية والنظريات الرياضية في مراحل التحقيق والفصل في المنازعات المدنية القائمة بين المتخاصمين او تلك المتعلقة بالقسم الجنائي كجرائم الدم مثلاً.. او حتى الجرائم المعروفة انذاك تبعاً لبساطة المجتمع وعدم تلوثه بالعقد اللاحقة... ولا يفوتني ان اذكر، ان ذلك الفكر الخلاق الذي اغنى العقول والقلوب، لم يبخل بعطاءه على احد، حتى مع من اختلفوا معه في الرأي او الاتجاه، او الهدف والمسار.. واجد من نافلة القول ان اذكر اني استعنت بكتابة البحث بعدد كبير من المصادر مع مراعاتي للتنوع الفكري فيها دون حصرها في نطاق محدد.. ولعل اختياري لعنوان البحث وهو (قراءة في وثيقة العهد ومسائل اخرى) ليس لأن تلك الوثيقة ستكون المدخل الواسع لاي باحث تهمه الكتابة عن التراث الخالد للامام علي وحسب، وانما لانها حقاً تزخر بكل ما يحتاجه البحث من عجائب الفكر الانساني الوقاد الذي يمس شغاف القلوب دائماً وأبداً..

والله الموفق..

## الفصل الأول: المفاهيم القانونية ذات الصلة بحقوق الإنسان

أية عظمة تلك المتفجرة من ثنايا الضمير وخلايا الوجدان، واي منهج حياة، سبق زمنه بعصور حتى عجز أهل ذلك العصر ان يستوعبوا شيئاً من فكر وتراث وحضارة لا زالت حبيسة الثرى الذي ضم رفاة ذلك العظيم الذي رقى على مدارك قومه فلم يفهموه، ليس لانهم قليلوا الفهم والادراك، بل لأنه سبق عصره مما استعصى على أهل زمانه فهمه، الا من اراد عن عمد ان يسيء له حتى في عدم الفهم.. وحيث ان الصدى الانساني الذي يحددنا فيه منهج البحث وعنوانه يلزمنا ان نعود ادراجنا لذلك المفهوم، الذي يتركز من حيث السياق المطلوب وهو بعض ما تضمنته وثيقة العهد والمحددة في وصية الامام لمالك الاشتر وما يهمنا من هو الات:-

**المبحث الاول: حقوق الانسان ذات الصلة بالمبادئ القانونية والقضائية التي تضمها تلك الوثيقة**

فهو عندما يقول (واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم) فانه يجسد اسمى المعاني الانسانية لاحترام الطبيعة البشرية للانسان وآدميته، فيحمل تلك الصورة من الوصية الكثير من المشاعر والعواطف المشفوعة بالرحمة والمودة والوداعة وهو ايضا تحديد لما يجب ان تكون عليه العلاقة بين الحاكم والمحكوم حيث يتبلور من خلال تلك الصورة مدى الرقي الاخلاقي لمقولة الامام تلك التي توضح الجانب الديمقراطي لادارة الدولة وتسير شؤون الرعية بشكل هادئ وشفاف يضمن لجميع مواطني البلاد الحياة الامنة المستقرة والكريمة.. فيمزج بين دستورية الحكم ويحدد الطبيعة السياسية في كيفية ادارة الدولة.. وعندما يكمل الامام مبدأه السابق يحذر الوالي المعين حديثاً من التعدي على الحريات العامة وكيفية الادارة للاقاليم الواقعة تحت حكمه والتي تدار بطريقة فيدرالية بتعبير حرفي حيث يحمل ذلك التحذير محمل التهديد والوعيد من خلال قوله (ولا تكن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم)..

وهنا تتحد صور قانونية اكثر تطوراً في ايجاز تلك المفاهيم ووضعها بين يدي المتلقي سواء كان آمراً او مأموراً فتبرز من خلال ذلك النقاط التالية:-

• إلزام الولاة بإتباع نظام قانوني اكثر انفتاحاً على الشعوب المحكومة من خلال نبذ التسلط والقهر والتضييق مما يعتبر منعاً لديكتاتورية الوالي من خلال قول الامام (ولا تقولن اني مؤمر آمر فأطاع..) فهو بهذا يرسم شكل الحكم الذي يرى وجوب اتباعه في البلد الخاضع لحكمه كدولة غير مركزية الطابع بفعل سعة الدولة وبعد الأقاليم عن حكومة المركز..

ب- والعفو هو تصرف قانوني يلزم الإمام واليه في الإقليم التابع للدولة ان يراعي إحكامه فيه بل انه اوجب ذلك التصرف نظراً لمقتضيات حقوق الناس (وكونهم عرضة للوقوع في الخطأ والزلل) ولمصلحة الدولة والمجتمع على حد سواء..

جـ- حرية التصرف بالحق العام.. واعتقد ان قصد الإمام في مقولته (يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ) (فأعطهم من عفوك وصفحك..) وهو ما أشرت إليه في الفقرة السابقة هو ان الوالي يمتلك القدرة والقرار لاستعمال ذلك المبدأ في اهدار العقوبات التي أشار إليها الإمام حصرياً.. والناشئة من التصرفات المشار إليها في النص..

ولعل ذلك الرأي ينسحب إلى قرارات وإجراءات جادة بالنسبة لحق الدولة أو الولاية كحق عام من الممكن التصرف فيه بقرارات وأوامر يشبه إلى حد ما بقوانين العفو التي تلجأ إليها الدول في الوقت الحاضر..

ولكن، ارى من الجدير بالاشارة الى ان الامام بتوجيه الوالي يحصر ذلك العفو بامور الحق العام فقط وليس الى سواه من الجرائم الواقعة على الاشخاص.. فان ذلك ليس من شأن الوالي.. والا اعتبر ذلك خرقاً لحقوق الانسان واخلالاً بسلامة القضاء..

## المبحث الثاني: حقوق الانسان من منطلق بحت

حقوق الانسان من خلال التطبيق الفعلي لقول الامام (فأنهم صنفان، اما اخ لك في الدين، واما نظير لك في الخلق)..

ان هذا التحول العجيب والمذهل من صورة لاخرى مختلفة اختلافاً كلياً عما اعقبها او ما كان قد سبق، دون ان يخل ذلك التحول والتنقل بمجريات السياق او وحدة وجمالية النص.. رغم ان جميع ذلك هو نسيج لوحة واحدة،مما يجعل النص كله في حالة اعجاز ابداعي مثير، وبعض تلك الاثارة تكمن في المزج المحكم بين حالتين، القانون كقواعد آمرة، وحقوق الانسان، مع أمكانية ارتباطهما مجدداً، بما يشبه التوائم الحتمي والمتلازم الذي يصعب معه الفصل بينهما..

ومن هنا أقول ان ما اورده الامام في هذا السياق لم يتكرر على مدى العهود التي تلت حكمه رغم التطور الطبيعي وارتقاء الفكر البشري.. كما لم يكن امتداداً لما سبق الا من خلال التزامات وادبيات الدين الجديد.. من أوامر ونواهي.. ولم يحصل مقارب لهذا البناء العظيم لا في ظل مبادئ الثورة الفرنسية ولا عند قيام هيئة الامم المتحدة في اربعينيات القرن الماضي..

لقد ضمن الامام، بهذا النص مفاهيما انسانية غاية في الرقي الاخلاقي والجمالي، الفني والانساني الذي يفرض وجوده وهيمنته ليكون منهجاً خلاقاً للمساواة بين ابناء الجنس البشري دون تمييز، فالذين يفرق بينهم الدين الذي يعتقدونه، تجمع بينهم الطبيعة الخلقية للبشر وبما ان الناس متشابهون او متطابقون في الخلقة بتطابق الحواس عندهم او في مكونات الجسم البشري الخارجية وهم بتطابقهم هذا يجدون لدى الامام حيزاً عظيماً يجعل كل عرق منهم له على الاخر، الحقوق ذاتها، فتسقط لديه الاختلافات الاخرى كالجنس واللون والدين والقومية..
ولست مغالياً اذا قلت ان كل القوانين او المنظمات الحديثة في العالم، أو الانظمة التي تعني بحقوق الانسان، وان تعددت فانها لم تصل الى تحديد مفهوم جامع مانع يحاكي قول الامام الذي اختصر فيه كل المفردات الانسانية بكلمات قليلة غاية في الروعة..
ولاشك اني درست بتعمق القانون الدولي العام والخاص فما وجدت مفهوماً اكثر احاطة وتأثيراً من نظرة الامام الى احترام الذات الانسانية ايا كان موقعها في العالم..
انها حقاً اسمى تعبير عن حقوق الانسان.. ومن الغريب، فانا لم أجد في بعض الشروح التي راجعتها اية اشارة لهذه الصورة، فعلى سبيل المثال اجد ان ابن ابي الحديد المعتزلي رغم اسهابه في شرح الوثيقة كاملة، لم يتطرق ال هذا الجزء منها..

## المبحث الثالث: مفاهيم دستورية

القانون الدستوري ليس غائباً البتة عن فكر الامام القائد.. بل نجد ان نهج البلاغة يزخر بصور رائعة وملامح دستورية كثيرة من خلال استقراء نصوصه.. على درجة عالية من الوضوح والثبات، فمركز الدولة هو العراق وعاصمتها هي الكوفة، والبلاد واسعة مترامية الاطراف ومتباعدة جداً، والمواصلات فيها تكاد تقتصر على طرق القوافل وهي قليلة ومحدودة وبالشكل الذي يجعلها عرضة للاخطار المتعددة اذا استثنينا خطر تعرضها للاغارة من قطاع الطرق واللصوص او الاعداء المارقين على حد سواء.. اذن فتلك الاقاليم لايمكن حكمها والسيطرة عليها مركزياً، وبالتالي فانها تخضع لسيطرة الوالي كلياً مما يجعل عمله، وسلطاته، تكاد ان تكون مطلقه.. فلا رقابة عليه ولا وسيلة تحد من تلك الصلاحيات الا من خلال ما يحسه الوالي من رقابة الهية ان كان مؤمناً متديناً، او ما يصله من توجيهات الحكومة المركزية..
اما عند الامام فالامر مختلف كلياً، فهو عندما يولى احدهم يضع له نظاماً مكتوباً على شكل وصية او عهد او خطاب، في اغلب الاحيان وبالشكل الذي يستحيل معه على ذلك الوالي الخروج عليه.. بل كثيراً ما يسبق الوالي الى ولايته، خطاب آخر محرراً الى اهل البلد المولى عليهم، مبيناً فيه ما للوالي من حقوق وما له او عليه من واجبات.. تتضمن تلك الوثائق المكتوبة منهاجاً دستورياً يضمن حقوق الجميع الحاكم والمحكوم معاً..
غير ان كل الصور او معظمها الواردة في نهج البلاغة والذي لم يكن مقصوراً على وثيقة العهد وحسب، وان كانت منهاج عمل وحياة وحكم وقانون لخص فيها الامام نظريته الدستورية بشكل واسع دون ان تخلو العهود والوصايا والخطب والرسائل الاخرى من اشارة واضحة لتوجهات الامام وحرصه على ضمان حقوق الناس في الاقاليم التي يولي عليها فيضع الوالي امام جملة من المبادئ التي تصلح وتتفق مع نظريته الدستورية لتسيير شؤون الرعية دون اكراه او تضييق..
وان من تلك التعليمات والقيود التي يلزم بها واليه، على مصر من الامصار، ما يجعلنا قاصرين تماماً عن التصور الحر لدينا عما يريده الامام وكيفية تمكننا من ملاحقته، او ادراك حدوده ما يرسخ لدينا العجز عن تفسير رؤيته لادارة الاقاليم.. وقبل ان تختلط لدينا التصورات ومن واقع كوننا قد نضطر لاستعادة النصوص والاستنجاد بها بشكل مكرر، لان من النصوص ما يصلح ان يستخدم لاكثر من موضع واكثر من غرض لتداخل الرؤى لدينا ووضوحها لدى الامام ومن زاوية من يحاول الاستنجاد بما يجده من مصادر مستعيناً على ذلك بمفردات لا يرقى الى فهمها

بشكل سليم على امل ان يوجز المفاهيم التي طرحها الامام على ولاته او مايريده منهم بشكل محدد وملزم وكمايلي:-
• أ- عدم أظهار الابهة والتجبر والغلضة اثناء تسلم الوالي مهام عمله في الاقليم الذي انتدب لتوليه..
(اشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم) وقد سبقت الاشارة لهذا المبدأ عن تناوله في مفهوم حقوق الانسان.. و (املك هواك وشح بنفسك عما لايحل لك).
ب- التأكيد على مكارم الاخلاق / عدم مجالسة الفاسقين ومصاحبتهم / وحب احباب الله واحترامهم والبعد عن الغضب / وعدم الجلوس في الاسواق.
• انصاف المظلوم من الظالم حتى وان كان من خاصة اهله او من ذوي قرباه او من لهم هوى لديه..
• الاستماع لمطالب الناس والاصغاء لهم، وتبادل المشورة معهم والتأني في أي اجراء بحقهم الا بعد التأكد من صحته (فان الساعي غاش حتى وان تشبه بالناصحين) مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات..
• عدم استيزار من كان وزيراً لحاكم ظالم سبقه..
• أ- تشكيل مجلس استشاري من العلماء والحكماء وذوي الخبرة لتقديم المشورة في الحالات التي تتطلب ذلك، وبما يعود بالنفع العام على الرعية.. (وأمرهم شورى بينهم).
ب- اختيار المتعلمين الثقاة والمؤتمنين لديوان الحكومة.. والابتعاد عن المحسوبية والمنسوبية في الوظائف العامة.. التي يستعين بها الوالي على ادارة الاقليم..
جـ- اكرام من يستحق بحسن اداءه وولاءه ووضوح رغبته في صلاح امور الرعية وجعل اولئك الاقرب الى الوالي.. لاعانته في عمله..
د- والافراد في الفقرتين (ب وج) قد يوصفون في عصرنا كأعضاء لمجلسين نيابيين هما النواب والشيوخ، او غير ذلك من التسميات..
٦- الاغاثة عند حصول الكوارث بغية التخفيف من المعاناة الانسانية للمناطق المنكوبة، ما يعني استخدام جزء من المال العام في الازمات.
٧- توجيه جزء من خزينة الدولة لاغراض الاصلاح الزراعي والتنمية البشرية...
٨- حماية التجارة الداخلية والخارجية ومحاربة الفساد فيها والاحتكار او التحكم بالاسعار..
٩- الاهتمام بالجيش والشرطة، لحماية الاقليم وتعزيز أمنة وسلامة ابناءه..
١٠- الحريات العامة:
أ- الناس احرار لايجوز استعبادهم طبقاً لقول الامام (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)
ب- الاتصال بالناس والتواضع لهم وعدم الانعزال عنهم والوقوف معهم في الازمات..
١١- يجب على الوالي ان لا يستأثر بمال او حال، او منفعة هي ليست له، انما الناس فيها شركاء..
(اياك والاستئثار بما الناس اسوة)
١٢- حماية ذوي الحاجة، والمعوزين ورعاية اليتم.. وبحكم قصورنا عن ادراك منهج الامام وعجزنا عن الالمام به كلياً وحتى جزئياً ربما، كما اشرت الى ذلك سابقاً، وحيث ان ما ذكرناه هو نقطة من بحره المحيط فقد وجدت من الافضل، ولاسعاف المتتبع للبحث لاجل محاولة تعزيز وضوح الفكرة لديه، ان ادرج بعض النصوص الدستورية او القريبة الصلة بالدستور وكما يلي:-
• وان تكونوا عندي في الحق سواء..
• اشقى الرعاة من شقيت به رعيته..
• لكل ذي رمق قوت، ولكل حبة أكل.
• لا تبغ على أهل القبلة (المسلمين) ولا تظلم اهل (الذمة) المسيحيين.
• لا يضاموا ولا يظلموا ولا ينقصن حق من حقوقهم (من عهده الى نصارى نجران)

- لا صواب لمن ترك المشورة
- انما انا رجل منكم، لي مالكم وعليّ ما عليكم..(اسلوب ديموقراطي في تداول الحكم)
- وقد اذنت لك ان تكون من أمرك على ما بدى لك..
- قلوب الرعية خزائن راعيها، فما اودعها من عدل او جور، وجده فيها..
- فبايعاني على هذا الامر، ولو ابيا لم اكرههما او اكره غيرهما.. (يعني بذلك طلحة والزبير)..
- اتكرهوني ان اطلب النصر بالجور في من وليت عليه والله، لا اطور به ما ام نجم في السماء نجماً..
- اياك والاستئثار بما الناس فيه اسوة.
- فلا تكفوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فاني لست في نفسي بفوق ان أخطيء..
- ولا تقاتلن الخوارج من بعدي.. فليس من طلب الحق فأخطاه، كمن طلب الباطل فادركه..
- الذليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له، والعزيز عندي ذليل حتى اخذ الحق منه..
- اذا اتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يأتي من يقبضه منك..
- الغالب بالشر مغلوب.
- حط عهدك بالوفاء، ولا تغدرن بذمتك، ولا تخيسن بعهدك ولا تختلن عدوك.. ولا تقوين سلطانك بسفك دم حرام..
- لا تدفعن صلحاً دعاك اليه عدوك ولله فيه رضا.. فان في الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وامناً لبلادك..
- والواجب عليك ان تتذكر ما مضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنة فاضلة، فتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت اليك في عهدي هذا واستوثقت عند تسرع نفسك على هواها..
- واجعل لهم قسماً من بيت المال وقسماً من الغلات في كل بلد، فان الذي للاقصى منهم مثل الذي للادنى وكل قد استرعيت حقه.

(مكافحة البطالة ومساعدة العاجزين)

- علامة الايمان ان تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك..
- وتفقد امور من لا يصل اليك منهم فان هؤلاء من الرعية، احوج الى الانصاف من غيرهم..

## الفصل الثاني : المبحث الأول

**القضاء والقانون**

لاشك ان القران الكريم هو المصدر الرئيس لكل القوانين الاسلامية التي اعتمدت بعد ان بزغ فجر الاسلام وشعت تعاليم محمد...

مثلما هو المصدر الرئيس لكل السلطات القائمة في الدولة الاسلامية..

وحيث ان ما يعنينا هنا هو القواعد القانونية التي ترسم شكل القضاء وكيفية سريانه واقامته فنجد ان العنوانين يتوائمان...

من هنا يجب ان نحدد نظرتنا الى ما يتعلق بنهج البلاغة، او خصوصية الامام في وضع مرادفات بديلة من وحي الشريعة للتفاسير والرؤى والاوامر وفق منظوره هو، وما يتبعها من قواعد وحدود، فالقران الكريم جاء باحكام واضحة، اذ جعل لكل فعل ما يقابله من رد فعل، الذي هو العقاب الذي تستلزمه طبيعة ذلك الفعل او جسامته او تأثيره في المجتمع الاسلامي، او أمنه، او سلامة افراده في قواعد عامة، حدد فيها الجرائم المعروفة في بدء تكون الدولة وكيفية معالجة الافعال الناتجة عنها.. وازالة وتقليل الاثار السلبية التي نشأت عن وقوعها وحدد نطاق العمل بمواجهة تلك الافعال سواءاً للحاضر المعاش او المستقبل القادم للامم والشعوب التي تلي.. إستناداً لقاعدة ان الاسلام دين مناسب لكل الازمنة والامكنة... وبالتالي فان الامام، سيلتزم حتماً بما ورد في القران من نصوص عقابية او تنظيميه، ما يحتمل الاجتهاد منها وما لا يحتمل... الا انه يختلف عن جميع المسلمين في التفسير والشرح والتأويل وحتى في النطق بالحكم بدليل انه كان الفيصل في معظم القضايا التي استعصت ولجأ اليه فيها الخلفاء الذين سبقوه، فعندما يوصي

باقامة الحدود فانه يستند الى القران في الفصل والتطبيق والتنفيذ، مسبوقة بطبيعة الحال بجانب تطبيقي في التحقيق للتأكد من ثبوت التهم او عدمه...
فاذا ما حصلت شبهة في الدليل، عندها ستهدر التهمة، فيسقط الحد تبعاً لذلك..
والا لزم التنفيذ، الا اذا تنازل صاحب الحق عن حقه، بمقابل (الديه) او بلا مقابل.. وهذا الامر تناولته القوانين العقابية ايضاً تحت مبدأ (الشك يفسر لمصلحة المتهم)..
أي ان (الحدود تدرأ بالشبهات)، حسب القاعدة الاسلامية...
اما مبدأ القصاص فهو مبدأ قانوني ورد في القران من خلال الاية الكريمة (ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب) وبالتالي فان الحكومة الاسلامية تقوم بانزال العقاب بالمجرم المدان استناداً لهذا النص، فالقصاص يعني في الاسلام (العين بالعين والسن بالسن) وبالتالي فان عقوبة الاعدام بالنسبة لمن يرتكب جريمة القتل هي امر واقع لابد منه الا اذا تنازل من ذوي القتيل من يملك حق التنازل، مقابل (دية مسلمة الى اهله) او حتى بدون مقابل.. لكن هذا المبدأ القانوني لا يجد مرادفاً له في القوانين العقابية الحديثة فلا الديه و لا التعويض، يسقط العقوبة، ولا يؤدي التنازل الواقع من قبل المدعين بالحق الشخصي الا الى تخفيف العقوبة، او ابدالها في اضيق الاحوال..
اما المبدأ الاخر الذي اعتمده الاسلام ووجد له حيزاً واسعاً في نهج البلاغة وفكر الامام علي هو ان (لاتزر وازرة وزر اخرى) ان هذا النص القراني الرفيع لم نجد ما يشابهه في القوانين والشرائع التي سبقته بشكل واضح ومؤدى ذلك النص هو تحريم العقاب الجماعي بتعدي الفعل المنسوب للمتهم الى غيره، أي ان المسؤول جزائياً عن فعل حرمته الشريعة لا يتعداه الى سواه من ذويه او اقاربه، او قبيلته... يقابل ذلك قول القوانين الوضعية ان كل انسان مسؤول عما ينسب اليه من افعال او اقوال قد تشكل جريمة، دون ان تتعدى حدود تلك المسؤولية للغير..
المتهم بريء حتى يثبت العكس وبظل مبدأ شرعية الجرائم والعقوبات.. أي لا جريمة ولا عقوبة الا بنص..
وهناك امر اخر، عجزت القوانين الوضعية الحديثة السيطرة عليه او تقييده، هو عدم انتزاع اقرار المتهم بالضغط والاكراه والتهديد، بينما نجده حاسماً في الشريعة، واصدق مثل على ذلك، ان الامام علي يعتبر ان أي اقرار او اعتراف بجرم يحصل بالاكراه او ينتزع بالتهديد والتخويف لا يعتبر اقراراً، ولا يقام بموجبه الحد، من ذلك انه وجد لدى الخليفة عمر بن الخطاب امرأة جلبت له، واعترفت بذنبها فامر باقامة الحد عليها بالرجم، فسأله علي، ما قصة هذه المرأة، فاجابه عمر، فجرت واعترفت، فقال له علي لعلك اخفتها او انتهرتها، فقال عمر: نعم
فقال له الامام: من قيدت او حبست او انتهرت فلا اقرار له فخلى عمر سبيل المرأة قائلاً:
عجزت النساء ان تلد مثل علي ابن ابي طالب... لولاه لهلكت...
يقابل ذلك نصوص في اغلب قوانين اصول المحاكمات الجزائية في العالم ومنها العراق، تحرم استعمال طرق القسر والاكراه والتهديد لأنتزاع الاقرار من المتهم وان ذلك الاقرار يعتبر لاغياً.. وان ذلك الاكراه اذا ما ثبت ممارسته من قبل السلطة التحقيقية يسقط التهمة عن المتهم.. مالم يكن هناك دليل اخر..
ومن بين الاف الكنوز التي تركها لنا الامام القائد والتي يستحيل الاتيان بها جميعاً في هذا البحث المقتضب هناك وقائع في غاية الروعة والرقي، الذي لا يرقى اليه جمال نصي اخر، خصوصاً اذا ما تعلق الامر بفعل منسوب للخليفة نفسه، بعد تحديد الوصف القانوني، اذ حصل ان ارسل الخليفة عمر الى امرأة يستدعيها اليه بغية تعزيرها (تعنيفها) وكانت حامل فارتعبت فسقط جنينها ومات وتحير عمر في وضع المرأة فأشار عليه اصحابه من انه غير مسؤول عما حصل للمرأة وعندما أصر عمر ان يستفتى علياً في ذلك، الزمه الامام بوجوب دفع (دية القتل الخطأ) اشار القانون العراقي الى ذلك في المادة (٤) من قانون العقوبات ووضع له احكاماً..
هناك مبدأ اخر، ورد في الشريعة وفي القانون الوضعي ايضاً، هو جناية العجماء، أي الافعال التي تحصل تجاه الانسان من الحيوانات الداجنة ومدى حدود المسؤولية المتحصلة منها..

فالاسلام يقول ان (جنايات العجماء جبار) أي لا جريمة لفعل الحيوانات المدجنة، وتكون الجريمة مهدورة، الا ان القانون الاسلامي وضع لذلك قيوداً وحدود، خصوصاً ما ورد منها عن الامام، ورأيه فيها، فهو يرى ان هناك صورتين لتلك الحوادث فاذا كانت البهائم تحت سيطرة مالكها وادى فعلها الى موت شخص او اصابته او احدثت اضراراً في ملك الغير فيلزم بالتعويض عنها.. اما اذا افلتت منه ولم يسيطر عليها ووقع الفعل تبعاً لذلك فلا جريرة عليه من فعلها..
وبسوى ذلك فلا جريمة ولا عقاب...
وهناك اوجه تشابه لجناية العجماء بين الشريعة والقانون الوضعي..
ومن تطبيقات ذلك عند الامام ان فرساً افلت من صاحبه فضرب رجلاً فقتله، فأخذ ذوي المقتول صاحب الفرس الى الامام وهو في اليمن واقاموا البينة لديه، فابطل دم القتيل*، ووصل حكمه الى النبي فاقره، واعتبره صحيحاً..
ومن خلال ما سبق، يتضح ان هناك تداخلاً وتناغماً بين القضاء والقانون وهناك قواسم مشتركة بينهما فهما متلازمان مع بعضهما واحدهما يكمل الاخر الامر الذي يصعب فيه الفصل بينهما...
كما ان هناك اوجه تشابه واوجه اختلاف، وقد حاولت ان اضع اطاراً مقبولاً مستعيناً بتراث من دور الامام في توضيح الجوانب العملية في التطبيق واسلوب العمل والتنفيذ.
وقد ورد في الكتب ان اول انتداب في القضاء للامام علي ان كلف بمهمة القضاء في اليمن ولم يكن قد مارس القضاء، فقال للنبي، يا رسول الله اني ما ادري ما القضاء، فضرب النبي بيده صدر علي وقال، اللهم اهد قلبه، وسدد لسانه..
يقول الامام (فما ساورني الشك بعدها في القضاء بين اثنين)..

## المبحث الثاني: العدل في القضاء

علي بن ابي طالب اعلم امتي واقضاها فيما اختلفوا فيه من بعدي..
اقضى امتي واعلمها.. علي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
١. الناس عندنا في الحق اسوة..
لو وقف امام علي شخصان احدهما عربي مسلم والاخر يهودي وليس عربي، ماذا تكون نظرته لاي منهما وان كان له هوى، فهل سيتبع هواه، ام سيحكم بالعدل وبالحق؟..
يقول الامام: والله لو ان الحسن والحسين فعلا مثل الذي فعلت، ما كان لهما عندي هوادة ولا ضفراً مني بارادة، حتى اخذ الحق منهما.. (من رسالة له لاحد ولاته)
٢. مبدأ الثواب والعقاب:
ان كنت صادقاً كافيناك...
وان كنت كاذباً عاقبناك...
٣. العدل في سعة، ومن ضاق عليه الحق، فالجور عليه أضيق.
لايطمع القوي في باطله.
ولاييأس الضعيف من عدله
قال عنه ضرار في مجلس معاوية: يقول فصلاً ويحكم عدلاً.. يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه.
٤. صوت محمد النبي..
عدل علي مساوٍ لعدل النبي..
يدي ويد علي في العدل سواء
علي أقضى المسلمين
٥. سئل ابن عباس مرة اين علمك من علم علي...
فقال: كنسبة قطرة من المطر الى بحر المحيط
٦. عمر بن الخطاب:

لابارك الله في معضلة لاتحكم فيها ياأبا الحسن..
لايفتينَ أحد في المسجد وعلي حاضر...
لولا علي لهلك عمر...
٧. لاظالم ولا مظلوم..
أ- لم كنيتني امام خصمي
ب- لا تسار احداً في مجلسك
ج- لا تقضين وانت غضبان
* قاضى يهودي الامام عن حق زعمه، فقام القاضي وقال لعلي قم يا أبا الحسن وقف بجنب خصمك فبان الامتعاض على وجه الامام، وبعد انفضاض المجلس سأله القاضي، ان كان مستاءاً فرد عليه الامام، لم كنيتني امام خصمي..
فلأن الكناية تعظيم له وتمييز، اعتبرها الامام ثلماً للعدل عند القاضي.
* لا تسار احداً في مجلسك لان في هذه المسارة ما يشعر احد المتخاصمين بان للقاضي هوى في خصمه.. ومثل هذا الشعور يؤذي الاطمئنان الى المساواة...
* اذا غضبت فقم، ولا تقضين وانت غضبان.. (كأن) الامام يقول لواليه ان غضبك سيبعدك عن الصواب وسيثلم العدل لديك..
ان المبادئ الثلاثة اعلاه تكاد تخلو منها القوانين الوضعية الحديثة رغم اهميتها وخصوصاً قوانين المرافعات المدنية التي تعنى بذلك رغم الاهمية الا من بعض الاجراءات الفردية التي يقوم بها بعض القضاة، او الحدود الضيقة في القوانين..
من ذلك على سبيل الحصر، عدم جواز القضاء بين اثنين اذا كان احدهما اباً او ابناً او اخاً او صهراً للقاضي.. وما ينطبق على قانون المرافعات المدنية، ينطبق على قانون اصول المحاكمات الجزائية ايضاً..
وعليّ، هو اول من فرق بين الشهود، الامر الذي يسهل على القاضي، معرفة الحقيقة، سواء بأختلافهم او بأتفاقهم وتطابق شهاداتهم.. او تناقضها..
كما انه اول من طبق ذلك المبدأ القانوني الكبير... كذلك الامر بالنسبة الى تأكيده على ان لكل انسان الحق في الدفاع عن نفسه وماله وعرضه على ان لا يسرف في تصديه لمن اعتدى عليه لان في ذلك تجاوزاً لحق الدفاع..
على سبيل المثال، يقوم احدهم بالدفاع عن نفسه ضد من هم ان يضربه بعصى.. بضرب عنق غريمه بالسيف.. أي قتل ذلك الغريم.. وهذا معنى تجاوز حق الدفاع، وقد نص عليه قانون العقوبات العراقي في المادة (٤٥) منه..
اما حق الدفاع المجرد دون التجاوز فقد نص عليه القانون في المادة ٤٢ منه، واعتبر بموجبها ان، لا جريمة اذا وقع الفعل دفاعاً عن النفس الى اخره
اما مبدأ عدم تجاوز القصاص، فهذا المبدأ طبقه الامام بنفسه على نفسه في صورة لم تتكرر مرة اخرى في أي زمان ومكان.. ابداً ومطلقاً عندما ضربه عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وهو من الخوارج، على رأسه وهو قائم يصلي في المحراب وقبل وفاته اوصى لقاتله بكافة الحقوق، ان لا يروع ولا يعذب، ولا يجوع، ولا يستعجل بعقابه، وترك القصاص معلقاً على وفاته وضربة بضربة، ضربة بضربة لا اكثر ولا اقل يعني لو لم يمت قاتل علي بضربة القصاص لنجى بفعلته.. أي وجه للمقارنة بينكما، يا سيدي يامن تجاوزت حدود تفكير العقل البشري كله.. أي وجه للمقارنة، فعلاً...

## المبحث الثالث: ركائز القضاء العادل

### المساواة امام القضاء

لقد جاء الاسلام برسالته الخالدة ليعم السلام في ربوع الدولة انطلاقا من الجزيرة اولا، ثم عبر زحفها على اصقاع بعيدة امنت شعوبها بالاسلام ورضيت بها ديناً، ليرفرف علم محمد بن عبد

الله على الروابي والفلوات حيثما ذهبت واينما توجهت فسادت حضارته التي اتصفت بالسمو الانساني والاخلاقي ما جعل اقواما كثيرة تدخل في الاسلام او تكتفي بقبوله بديلا سياسيا حاكما دون ان تتخلى عن دياناتها القديمة، لتجد فيه نظاما حاميا لكل الشعوب التي ضمتها الدولة الاسلامية المترامية الاطراف... ورغم ان النظام الحاكم هو نظاما اسلاميا الا ان ابناء كل طائفة غير مسلمة احتفظت بقوامها وكيانها دون مساس او اختلاف في الحقوق والواجبات بينها وبين المسلمين فرسول الاسلام نفسه صرح بحزم وقوة بقوله (من اذى ذميا فقد اذاني) وهذا اصدق مثلا على العدل الالهي الذي جاءت به رسالة محمد.. وعندما يكون الألم الذي يعتري نبي الاسلام مساو للالم الذي يلحق بذمي (غير مسلم) نتيجة تصرف من بعض المسلمين فلنا ان نتصور كيف سيكون شكل الدولة التي تتمسك بدين الاسلام.. وهذا منهجها.. وحيث اني اشرت في مواضيع سابقة من هذا البحث، عند التحدث عن نهج البلاغة، الى صور مشرفة وردت فيه عن تأكيد الإمام علي على المساواة بين المسلمين وغير المسلمين في كل الحقوق وهو يؤكد على (ان لا يضاموا، ولا يظلموا ولا ينقص حق من حقوقهم..) من عهده لنصارى نجران ما فيه تاكيد على تلك المساواة ومنها حق التقاضي وحق الدفاع امام القضاء.. وقوله لا تبغ على اهل الذمة، وهم النصارى.. وكذلك الامر بالنسبة لليهود ايضا.. ويوصي بهم خيرا ويحترم انسانيتهم، وتاكيدا على ذلك أسوق مثلا ضرب بمدى احترام الامام للانسان بوصفه انسان وبغض النظر عما يدين به او يعتقده.

المثل: فقد جاء يهودي الى الخليفة ابو بكر يسأله أسئلة غريبة، فهم ابو بكر بمعاقبة اليهودي متهما اياه بالزندقة، رغم ان اليهودي بيّن للخليفة ان تلك الاسئلة لا يجيب عليها الا نبي او وصي نبي..

فاشار ابن عباس على ابي بكر ان يذهبوا به الى علي، ففعل ذلك وقاموا جميعا الى الامام..

فعرض على الامام اسئلة اليهودي فاجاب الامام موجها تفسيره لليهودي قائلا:

اما سؤالك عن الامر الذي لا يعلمه الا الله فهو قولكم (ان العزير ابن الله) وإما سؤالك ما ليس لله، فليس لله شريك وإما سؤالك عما ليس عند الله، فليس عند الله ظلم للعباد..

فقال اليهودي اشهد ان محمدا رسول الله وانك وصي رسول الله..

فوصف ابو بكر علياً بقوله (مفرج الكروب) .

وهذا يجرنا الى امرين، الاول: ضمان حقوق المتقاضين والثاني كيفية تنفيذ الحكم بعد ان يقضى فيه..

إما بالنسبة للأمر الأول فقد تناولناه مطولا في الفصل السابق ولكن الذي لابد من التعقيب عليه هو كيفية إتباع الطرق الدقيقة في الوصول الى ذلك الحكم، فالامام لم يكتف بطاقاته العظمى في القضاء فحسب، رغم انه باب مدينة العلم فقد استعمل طرقا علمية في حل الغاز مستعصية من القضايا والجريمة التي يستحيل على غيره حلها استحالة مطلقة، لعدم معرفة اهل زمانه جملة، بها والتي تعتبر الغازاً غريبة بالنسبة لهم، ومثال ذلك استخدامه للرياضيات في التوصل الى فض النزاع بين متخاصمين، مثال ذلك:

ان رجلين جلسا يتغديان وكان مع احدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة ومر بهما رجل ثالث فقالا له اجلس وتغدى معنا فجلس الرجل وبعد ان فرغ من الأكل دفع لهما ثمانية دراهم قائلا هذا ثمن غدائي فأرادا ان يقسما المال فقال صاحب الأرغفة الخمسة لصاحب الثلاثة لي خمس دراهم ولك ثلاث، فرفض الاخر قائلا لابد ان نقتسم المال بالتساوي واصر كل منهما على طلبه فعرضا امرهما على الإمام، أشار على صاحب الأرغفة الثلاثة وقبل الحكم ان يقبل بعرض غريمه ويأخذ الدراهم الثلاثة فرفض الا ان يحكم بينهما وصمم على ذلك، فقال له الإمام إذن، فلك درهم واحد فقط..

قال الرجل، كيف يكون ذلك..

فأجابه..

لك ثلاثة أرغفة ولصاحبك خمسة فالمجموع ثمانية وهي تنقسم إلى أربعة وعشرين ثلثا لك منها ٩ أثلاث ولصاحبك ١٥ ثلثا وقد أكلت أنت ثمانية أثلاث فذهب منك ثلث واحد واكل صاحبك ٧ أثلاث واكل الرجل ٨ أثلاث دفع عوضها ثمانية دراهم عن كل ثلث درهما واحدا فيكون لك درهم واحد عوضا عن ثلث واحد.. ولصاحبك ايضا سبعة دراهم عوضا عن ثلاثة اسباع وهذا هو مر الحق الذي تطلبه..

فرضي الرجل واخذ الدرهم بعد ان رفض الثلاثة... وفي واقعة اخرى تنازعت امرتان على ولد وبنت فكل منهما تدعي بنوة الولد لها والبنت لغريمتها فعرض النزاع على الامام فدفع لكل منهما قدحا طلب منهما ملء القدحين كل منهما من حليبها ثم سلمتاه القدحين.. فوزنهما كلا على انفراد فقال لأحدهما خذي ابنك وقال للاخرى خذي ابنتك ذلك لان الامام علي على ما يمتلك من علم، يعرف ان الحليب الذي يملا ثدي الام للبنت اخف من الحليب الذي يملأ ثدي ام الولد..

واذا تصفحنا تاريخ تلك الفترة لوجدنا في بطون التاريخ روائع من قضاء الامام علي وهو امر غزير لا يمكن الإلمام به جميعا.. كما ان هناك صور ونماذج لها دلالات علمية تعبر عن عبقرية فريدة ليس لها مثيل على امتداد التاريخ الانساني..

كيفية تنفيذ الحكم بعد ان يقضى فيه..

ونظرة في المظالم..

وهو الامر الثاني الذي تقع على القاضي او المسؤول الاعلى درجة منه مسؤولية حسمه، وهذا امر ميسور عندما يكون القرار حاسما بالقضايا ذات الصفة المدنية مثل دعاوى الدين ودعاوي العين ولها في الاسلام احكام شتى لكن الامر الخطير هو ما يتعلق بالجرائم التي ينشأ عن ثبوتها فعل مادي قد يؤدي الى بتر أو قطع او ايذاء او وفاة كجرائم القتل وطبقا لمبدأ القصاص تنتهي الى ازهاق ارواح..

فبالنسبة للقضايا المدنية يعتبر الحكم قابلا للتنفيذ فورا ومن لحظة صدوره بل لا يستلزم الامر أي تاخير وهذا واضح جدا من الكثير من الاحكام التي اصدرها القضاة بصفتهم القضائية، او ما يقوم بها الخلفاء والولاة بشكل مباشر.

هناك مسالة اود ان القي عليها الضوء وهي الاحكام الخاطئة.. كيف يمكن معالجتها.. فمن خلال السياق الذي اتبعته في هذا البحث.. اجد ان الامام ابطل الكثير من الاحكام التي لجأ اليها الخلفاء الذين سبقوه عندما يكون حاضراً ودون ان يعترض عليه احد منهم لانهم عرفوا ووعوا انه لا ينطق عن باطل ولا يقضي الا عن علم وعدل، بل وفي اغلب الاحيان نراهم يمجدون دوره في تصحيح الاحكام بل ان الامام راجع احكاما صدرت حتى قبل توليه الخلافة.. فابطل احكاما ظالمة وانتزع ما ترتب عليها من مظالم ليعيد الحقوق الى اصحابها..

ونجده مرة يخاطب احد ولاته بالقول:

انظر الى اهل الملك والمطل من اهل اليسار، فخذ للناس حقوقهم منهم وبع فيها العقار والديار ومن لم يكن لديه عقار ولا دار ولا مال، فلا سبيل عليه..

وعندما يقول الامام (لانقبنَّ الباطل حتى يخرج الحق من جنبه) ..

## الفصل الثالث: الحريات العامة

### المبحث الاول: حرية الرأي – حرية الانسان: !

لله درك يا سيدي، من انت، ومن تكون.. ليس لي، ان اعرف نفسي، فانا اكاد اتلاشى رعباً من هول ما قرأت عنك، وما عرفت، اتصاغر خجلاً من نفسي رويداً، وانا اكتب عنك من بعض الذي قرأته، لتختلط لدي امور نفسي، اذ لم اجد، موهبة ترسم لوحة الحياة، او سمة لكيان او حلاً لمشكلة، او املاً ليائس، او عفواً عن مسيء، او رغبة لبقاء، او نزوة لعابر، او امنية لمحبط، او اشراقة لفجر متجدد، او بلسماً لجرح، او شفاءاً لقلب جريح، او امنية تتحقق، او دفعاً لبلوى، او ابتسامة لحزين، الا وجدت كل ذلك عندك، تظلم فتعفو، تحارب فتغفر، يساء اليك فتصفح، تنصح ولم يستجب لك، تعيد النصيحة فلا تبتئس.. تتأسى ان تكون شمعة يضيء زيتها، ولو لم

تمسسه نار، نور على نور، فعفواً لمن يتجاوز المدى بالحديث عنك، لكن شفاعته عندك ان عملته طريق الهدى، وانت تغذيه كيف يكون وكيف يبقى، متأبطاً قياد نفسه، لم يترجل، ينوء بما اوصيته، فيكاد أن يجعل من حريته دليلاً، فيتأمل وجلاً، هل سيخلع ساقيه ليمكث طويلاً تحت طاحونة عبوديته، ام يتذكر صبر عظمتك، وانت تنأى بنظرك بعيداً لتراه، لتشجعه، لتحثه على ان يتلذذ طعم الالم.. لتقول له «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً..» يا نبراس الهدى، هبهم يسرقون ما تقول، فأنت اعطيت درساً لي، كي اكون حراً، كي اصغي لهدير كياني كي امسح من ذاكرتي اسمي، كي اسخر من احلامي، ان اتعلم، كيف تعيش الايام بذاكرتي، استجلي بعض كتابات الاقلام، فأعود لبيتي، رغم اني، اضعت الطريق الى باب داري، فسمعتك تقول:
"وقد اذنت لك ان تكون من امرك على ما بدا لك" ابصر بهم واسمع يا سيدي، هل تعيد القول وان «دللهم على طريق الرحمة، وحرصت على توفيقهم بالتنبيه والتذكرة ليثيب راجع ويتعض متذكر فلم يطع لك قول» وعذراً، سيدي ان تلاعبت قليلاً باستعارة ضمير، او بديل لاصل الى ما تقول «اللهم اني اعيد عليهم القول».
ماذا قلت لحبيب بن مسلم الفهري، اذ جاءك وانت امير المؤمنين، ليقول لك اعتزل امر الناس فيكون امرهم شورى بينهم، هل قلت اكثر من: «وما انت وهذا الامر؟ اسكت فانك لست هناك ولا باهل له».
وماذا فعلت وهو يهددك ويقول «والله لتريني بحيث تكره».. لم تفعل له أي شيء وانت قادر على ان تفعل كل شيء، لم ترد عليه بالعقاب الذي يستحق، بل رسمت لنا شكلاً جديداً من طرق الحرية وانت تقول له (ما انت ولو اجلبت بخيلك ورجلك، لا ابقى الله عليك، ان ابقيت علي، اذهب فصوب وصعد ما بدا لك)..
ويوم كتب لك عاملك على المدينة سهل بن حنيف الانصاري يشكو قيام نفر ضال من اهلها يتسللون الى معاوية ماذا رددت عليه:
«اما بعد فقد بلغني ان رجالاً ممن قبلك يتسللون الى معاوية، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم، فانما هم اهل دنيا مقبلون عليها ومسرعون اليها، وقد عرفوا العدل ورأوه وسمعوه ووعوه، وعلموا ان الناس عندنا في الحق اسوة، فهربوا الى الاثره، فبعداً لهم وسحقاً، انهم والله لم ينفروا من جور ولم يلحقوا بعدل»..
كل الذي ذكرت، هو صور من ايمانك سيدي بحرية الانسان حتى وان كان عدوك، وصورة اخرى من صور الحرية عندك ما فعلته تجاه الخوارج الذين خرجوا عليك فحاربوك، وانت توصي انصارك واصحابك وجندك «ولا تقاتلن الخوارج من بعدي فليس من طلب الحق فاخطاه.. كمن طلب الباطل فادركه».
فالناس عندك احرار، ما قالوا او فعلوا.. ايها الرائد في العدل والرافد للحرية، تلك هي صورة غراء جميلة تستمد من جمال فكرك، يوم وقعت ثلاث من بنات ملك الفرس اسارى بيد المسلمين، فقرر الخليفة عمر بيعهن رقيقاً او جواري في سوق النخاسة ودفعهن للدلالين، وعندما حاول الدلال كشف وجه احداهن ليراها المشترون، ضربته على وجهه فاعادهن شاكياً الى عمر، ما حصل له منهن، حضورك صدفة او اتفاقاً، اوقف امراً اصدره الخليفة، بضربهن بالعصى، فأحترامك لكرامة الانسان، وحقوق المرأة، واكرام عزيز قوم ذل، كلها صور محبرة بالوان السماء تنطق باسمك، ترددد عبر كل جنبات الدنيا وفي السماوات، وانت تقوم، بدفع المبلغ الذي وضعه الخليفة، لتزوج ابنك الحسين احداهن وتهب الاخرى الى محمد بن ابي بكر والثالثة الى عبد الله بن عمر، قائلاً للخليفة، ان بنات الملوك لا يبعن، لقد اختارهن، نشيدك في الحرية، الى من؟... من يماثلوهن، علوا في القوم، الفرسان الثلاثة، العظماء الثلاثة، كلهم، كلهم ابناء من صنعوا التاريخ، حلوه ومره، علي، عمر، ابو بكر ليقر بك النبي عيناً، وانت تعيد قراءة جملة من وصيته... (ارحموا عزيز قوم ذل)..
هذا هو منطق الحرية عند علي..
كيف لا وهو القائل، (اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه)..

اما اسلوبه في احترام المشاعر فهو صورة من صور الحرية لديه ولنا في رسالته لواليه في البحرين عمر بن ابي سلمة... وهو يعزله من منصبه..
(اني قد وليت نعمان بن عجلان، البحرين، من غير ذم لك ولا تهمة في ما تحت يدك ولعمري لقد احسنت الولاية واديت الامانة فاقبل الي غير ضنين ولا ملوم...)
بينما نجد الامام يضرب على يد الولاة المفسدين بيد من حديد، بعد ان تجاوزت افعالهم المشينة كافة الحدود...
سؤل الامام يوماً:
هل استشرت اباك عندما امنت بمحمد؟
فأجاب
وهل استشار الله ابي عندما خلقني..
وهذا تأكيد على حرية الفرد تجاه ما يعتقد..

## المبحث الثاني: حرية التجارة، وتداول الاموال

الخراج.. البيع والشراء، العمل
التجارة، هي اكثر الحرف شهرة واتساعاً في شبه الجزيرة العربية، مهد الاسلام، ومنطلق اشعاعه بل تكاد تكون هي الاكثر شيوعاً في عموم مناطق الدولة، وهي التي تشكل العمود الفقري لحياة الناس، باعتبارها، عملية تبادل للسلع بين مناطق الدولة وخارجها، فينقل التجار البضائع المتوفرة في مناطقهم، ليستبدلوها بالسلع التي تفتقر اليها تلك المناطق.. وهذا ما يسمى بالتجارة الخارجية فضلاً عن التجارة الداخلية التي تنحصر جميع عملياتها ضمن المنطقة الواحدة، كالبيع والشراء، وحركة المال بينهما...
المبادئ الاساسية في نهج البلاغة
• يؤكد الامام على ولاته احترام حرية الانسان في كافة مفاصل التعامل فيما يتصل بحياة الشعوب المتصلة باغذيتهم ولباسهم وصناعاتهم بما اسماه الامام الثابتة والمضطربة.. ويقصد بذلك صنفين من التجار.. الثابتون في مناطقهم والمتحركون من بلد الى بلد..
فهو يضمن سلامة العملية التجارية وغيرها من خلال اوامره بذلك..
((ثم استوصى بالتجارة خيراً وذوي الصناعات واوصي بهم خيراً، المقيم منهم والمضطرب بما له، فانهم مواد المنافع واسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك وتفقد امورهم.. بحضرتك وفي حواشي بلادك..)
• والامام يشدد على واليه ان يرصد الكفاءات وان يتبنى احتضانها ورعايتها وتشجيع اصحابها واطلاق مواهبها من خلال قول الامام:
(ما من حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة)
وقوله ايضاً:
(واعلموا ان الناس ابناء ما يحسنون)
• غير ان الحرية التي اباحها للتجار وامثالهم لن تكون دون قيود.. بل اقترنت بشروط لايجوز مخالفتها:
أ- عدم احتكار المنافع..
ب- مراقبة الاسعار لتكون متوازنة.
ج- انذار المخالف لعدم التلاعب في البيع والشراء.
د- معاقبة المخالف بعد التنبيه، في حالة العود.. ومن غير اسراف..
• رعاية ذوي الاديان الاخرى المتواجدين في دائرة الدولة الاسلامية.
(اموالهم كاموالنا ودمائهم كدمائنا)

• وعوداً على ما ورد في الفقرة (٣ - ج) اعلاه فقد شدد الامام في تحذيره لواليه مراقبة التصرفات المسيئة من قبل المتلاعبين الذين يستغلون حاجة الناس، ونقص السلع لفرض اسعار عالية على سلعهم بقوله:
(واعلم مع ذلك ان في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً، واحتكار للمنافع وتحكما في البياعات وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة.. فأمنع الاحتكار)
(وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين واسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه من غير اسراف)
وهذه اللوحة المزخرفة الجميلة، التي تشدد على ضرب المتشددين، في الاسعار.. تعطي مثالاً رائعاً لتنظيم هذا المفصل، من حياة الناس وتسيير شؤونهم وفق قانون علي..
• (وتفقد امر الخراج بما يصلح اهله، فان في صلاحه وصلاحهم، صلاحاً لسواهم ولا صلاح لمن سواهم الا بهم)
فهو يدعو الى توسيع دائرة استثمار الارض، والاصلاح الزراعي، على اوسع نطاق ما يتيح للزراع تطوير زراعتهم.. وهذا تنظيم قانوني لتأكيد مبدأ الحرية في نهج البلاغة لضمان تطوير الزراعة..
واعادة لقول الامام (ان الناس ابناء ما يحسنون) هو تأكيد على حرية العمل، وتقديسه، والابداع فيه، وانه يحضى من الامام بالرعاية والتنظيم وهناك اشارات كثيرة لذلك التنظيم يمكن ان يكون قانوناً للعمل او الانشطة الاخرى الاقتصادية والصناعية والزراعية.

## المبحث الثالث: حقوق المرأة – لدى علي

لعل هناك من يقول ، ان نهج البلاغة خلا من الاشارة الى تلك الحقوق وعلى العكس من ذلك لقد خصص الامام على كل الفترات التي عاشها من حياته حيزاً مهما للمرأة ساوى فيه بين الرجل والمرأة في كثير من الامور، فرغم ان للمرأة في التاريخ الاسلامي دور كبير الا انه يتعدى حدود الاسعافات الاولية للجرحى او الامدادات الغذائية او غيرها من الامور الثانوية في الحرب..
غير ان التاريخ يروي لنا ان صفية بنت عبد المطلب قادت جيشاً من النساء لمواجهة المشركين عندما حاولوا اقتحام المدينة، في الوقت الذي كان فيه النبي واصحابه منشغلين في قتال الاعداء بمواقع اخرى..
وحيث ان الذي يهمنا هو علاقة علي بالمرأة كشريك للرجل في المجتمع، وقد شهدنا في مواقع مختلفة من هذا البحث كيف ان الامام كان يناقش الخلفاء الذين سبقوه في احكام يصدرونها ضد نساء، وكيف انه يقنعهم بعدم شرعية تلك الاحكام مما يجعلهم ينقضونها.. ويرجعون عنها.. لقد برزت في حياة الامام شخصيات نسوية اثرن فيه سلباً او ايجاباً، وكباحث محايد، يجب ان اصنف الوقائع حسب تسلسلها من حيث الاثر، فابدأ اولاً، بالحديث عن فاطمة الزهراء فهي ابنة النبي وبضعة منه وحيث وقع عليها من بعض الاجراءات السياسية البالغة الخطورة مالم يقع على اية امرأة اخرى غيرها في ذلك الزمن سواء في صدر الاسلام او العصر الراشدي وجردت ابنة النبي من كافة الحقوق والحريات، كحق التملك وحرية التقاضي وحرية الرأي، وحتى بلغت الامور حداً ان حرمت من حق البكاء حزناً على ابيها نتيجة للضغوط التي وقعت على الخليفة الاول، مما دفعه الى انتزاع فدك منها، وايذائها والاساءة بالكثير من الفعل والقول، والتي ادت الى تدهور العلاقة بينها وبين الخليفة الاول ابو بكر... ووزراءه الذين كان لرأيهم عليه اثر كبير.. وكم حاول ابو بكر على امتداد حياته المتبقية ان يسترضي فاطمة ولكنها ابت، رغم أن احد المؤرخين يشير الا ان الخليفة ابو بكر قد اقنع علياً بان يقنع فاطمة بلقاءه لشرح وجهة نظره وليمتص غضبها وسخطها عليه فلم يفلح في ذلك واعادت القول انها ستشكوه الى ابيها.. وتكاد معظم المراجع التأريخية لتلك الفترة تؤكد ذلك..

والقصد ان علياً ربما يكون فعلاً حسب بعض المصادر، قد توسط بين الاثنين، لكنه في النهاية يحترم رأيها وحريتها في الدفاع عن نفسها، بعمل او امتناع فلم يفرط بوجهة النظر تلك.. ولم يجبرها على شيء لا تريده..

• ولكن كيف هي علاقة علي بفاطمة، ان علي لعلى خلق عظيم، فحسب النبي، انه لا يفصله عن محمد الا فاصل واحد، هو ان لا نبني من بعده، فهو منه بمنزلة هارون من موسى فكان في بيته، يساعد فاطمة في عملها اليومي وفي ادارة البيت يقوم بطحن الحبوب، ويتبادل مع فاطمة دوره في الطحن والجرش، ويقوم احياناً باعداد الطعام وتربية اطفالها.. يداً بيد مع تلك الصديقة الطاهرة سيدة نساء العالمين، وعندما دعاها الله الى جواره حزناً وكمداً على ابيها النبي، وما حل بها بعده بكاها علي وحزن عليها حزن الام التي يذبح وحيدها في حجرها، وهي توصيه بابناءها خيراً، واحتراماً منه لحبيبة قلبه وشريكة حياته، فقد ضمن لها تنفيذ جميع طلباتها.. بما في ذلك دفنها سراً ولا يعرف احد فضلاً عن ذلك فان الامام كان على علاقة طيبة مع امهات المؤمنين، وكن يبادلنه المودة والاحترام اما زوجاته بعد الزهراء، فالتأريخ لم يتوسع في الشرح الا ان علاقته بزوجته فاطمة التي اقترن بها بعد الزهراء ولقبت بأم البنين، لاجل ان لا يؤذي ذكر اسمها، الحسنين واخواتهما والتي كان لها دور انساني خالد في موقعة الطف...

• علاقة الامام بأمهات المؤمنين

ونخص بذلك العلاقة بين علي وام المؤمنين عائشة، فعائشة هي زوجة النبي، وبالتالي فهي أم المؤمنين بنص القران، لكن هناك اختلاف بين الطرفين، نشأ عنه خروج عائشة على الامام، ومحاربته مع طلحة والزبير ولست بصدد شرح مشروعية ام عدم مشروعية خروجها فأني، سأختصر الطريق لابدأ بتلك العلاقة من انتهاء حرب الجمل وفي نقطتين:-

الاولى: ان علي بعد تلك الواقعة اعادة ام المؤمنين الى المدينة معززة مكرمة، مصحوبة بأربعين فارسة من جيشه يرتدين زي الفرسان وعندما دخلت المدينة سألها اهلها كيف وجدت ابن ابي طالب، فأجابتهم: (كفوءاً كريماً الا في واحدة) قالوا: ما هي (ارسل معي فرساناً وكان الاولى ان يرسل نساءاً) وعند قولها ذلك، اماطت الفارسات النقاب عن وجوههن، فتهلل وجه عائشة وقالت: (لقد فعلها والله).

الثانية: اما النقطة الثانية فأن علياً سمع برجال يتحدثون عن عائشة بسوء ويلوكونها بالسنتهم فاقام عليهم الحد..

اما علاقته مع امهات المؤمنين الاخريات سواء على حياة الرسول او بعد وفاته، فهي علاقة الابن بأمه والمستشار لمن يقدم له المشورة، والمؤتمن على أمورهن جميعاً.

ولعل من المناسب ان اذكر ان ام المؤمنين ام سلمة كانت تحترم عليّ وتوده (وهي المرأة الصالحة التي كبر سنها وكمل عقلها) والتي روت الكثير من فضائل الامام وعدله وعفته وحبه للخير، كونه اخ زوجها وباب مدينة علمه، وخليفته من بعده، وهو منه كهارون من موسى الا انه لا نبي من بعده، الذي يقاتل الكافرين على تأويل القران، حيث كان النبي يقاتلهم على تنزيله..وكان يقول له، انت يا علي تبين لامتي ما اختلفوا فيه من بعدي...

وانه مع الحق والحق معه حيثما دار..

## الخاتمة

وانا اتطلع الى السماء أبحث عن شيء ضاع مني في زوايا الكون الفسيحة، أتأمل تلك الارجاء البعيدة، بعد مليارات من السنين الضوئية عسى ان اجد ضلاً، او نوراً، او شعاعاً، او القاً، يشعرني، اين سيكون علي، وما هو موقعه في السماوات، وما هي وظيفته في الخلد، وما هو دوره في الاقداس، فيجبني الخليفة الاول ابو بكر ليقول لي، اني سمعت محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لا يجوزن احد الصراط الا بجواز من علي ابن ابي طالب، واجابني الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بقوله، اني سمعت رسول الله يقول، (ان الله خلق ملائكة من نور وجه علي).. هو البلاغة كلها، وهو نهج البلاغة، هو الصديق الاكبر والفاروق الاعظم، هو باب

مدينة العلم، وحبر الامة وشقيق الملائكة.. هو سيف الله، وقرة عين التاريخ، ومهندس نصر الاسلام..
قال حقاً، ونطق صدقاً.. لا تأخذه في الحق لومة لائم... وهو القائل، (ما ترك لي الحق من صديق) جاءه الزبير وطلحة على ان يكونا شركاء معه فيما لا يريده ولا يتفق مع دستور حياته، فقال لا...
(ان هذا المال ليس لي وليس لكما)
فهو مالٌ لجميع المسلمين ولايجوز الأستئثار بما الناس فيه أسوةً وليس لعلي ان يفرط به لأي كان مهما تكن درجة قربه منه وإلا لما اسخط عقيلاً عليه وأنصرف عنه الى غيره وكان الأقرب الى الواقع وهو يجد لديه هوىً فيه نفسه الا انه بأعتماده مبدأ المساواة بين جميع المسلمين في الحقوق والواجبات لايتحرج من ان يطفئ شمعة وهو في بيت المال لأن من دعاه الى غير ذلك لايحق له الاستئثار بضوء تلك الشمعة التي تعود ملكيتها لعموم المسلمين.
ماذا قلت وماذا حاولت أن أكتب عن الكنوز المودعة في بطون نهج البلاغة لما استطعت أن أفي ماكلفت به حقه ولكن هي محاولة اعتذر عن نقصي فيها وجهلي بحقائق الأمور وعدم القدرة على التعبير فما كتبته هو غيض من فيض بحكم طبيعتي كأنسان لايدرك عظمة ماورد عن الإمام القائد والإنسان الذي رسم لنا طريقاً للمستقبل وطريقاً للحرية ولابد لي ان اقول ان الله وليّ هو مولاي ونعم النصير.

# نظرية المعرفة عند الامام علي عليه السلام

**الباحث: الاستاذ المساعد الدكتور رائد منصور الركابي**

**صالح نهير الزاملي ماجستير هندسة حاسبات كلية التربية / جامعة بغداد**

## الفصل الأول: مشكلة البحث

يمثل الرجال الصالحون لأي أمةٍ من الأمم معيناً زاخراً يأخذ منه ابنائها كل مايحتاجونه وزاداً طيباً يرتشفون منه القيم النبيلة والمنهج المعرفي القويم الذي يكون عوناً لهم في اتخاذ الطريق السليم والوصول الى الغاية المنشودة. وأمتنا الاسلامية تزخر بالكثير من النماذج الطيبة والرائعة التي شغلت مساحة واسعة في تفكير الأمة وضميرها من خلال سيرتها العطرة وآرائها القيّمة ونصائحها السديدة وآرشاداتها المؤثرة، وذلك بامتلاكها المنهج السليم والرؤية الواضحة في الحياة وهذا المنهج وهذه الرؤية مرتكزتان الى العقيدة الإلهية الصحيحة.

ويُعدُّ الامام علي (عليه السلام) من أفضل الشخصيات الاسلامية بعد الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عِلماً ومعرفةً وفقهاً ومقدرةً على الخطابة وأكثرهم درايةً بنصوص القرآن الكريم وأعلاهم مرتبةً في تفسيرهِ ومعرفةِ تأويلهِ، وكل هذه السمات التي انمازت بها شخصيته (عليه السلام) لابد أن تكون مرتكزة الى نظرةٍ معرفيةٍ ومنهجٍ واضح في التعرف الى الاشياء.

لذا جاءت هذه الدراسة المتواضعة لتسلط الضوء على آراء هذه الشخصية الفذّة في ميدان المعرفة أو في مبحث المعرفة، الذي يُعد مبحثاً مهماً وأساسياً في الفلسفة،والذي يمثل الاجابة عن تحديد مصادرالمعرفة وطبيعتها وحدودها،ونتيجة لتعدد الاراء والمذاهب في هذا الميدان أصبح الانسان العادي والمختص في اغلب الاحيان لايستطيع أن يُميز أي الاراء صائب وأيُها خاطئ في هذا الميدان المهم والحيوي وربما لايستطيع أن يتبنى وجهة نظر معينة، أو تجده يتبنى رأياً معيناً لفترةٍ ثم يتبنى رأياً مغايراً بعد ذلك.

وبناءً على ذلك جاءت هذه الدراسة لتضع الباحث والمطّلع في ميدان الفكر على التصور الفكري والنظري الذي طرحه الامام علي (عليه السلام) من خلال خُطبهِ التي حاول من خلالها توجيه ابناء المجتمع الاسلامي لإتباع الطريق الصحيح في البحث عن الحقيقة والوصول اليها، ويعتقد الباحثان بأن المنهج المعرفي الذي وضع خطوطه العامة الامام علي (عليه السلام) للمسلمين في صدر الاسلام يصلح الان أن يتَّبعه أبناء مجتمعنا ولاسيما خواصه (المثقفون منهم) في تحديد أي الإتجاهات الفكرية والمعرفية صحيح.

من خلال كل ماتقدم يمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات الأتية:-

ما مصدر المعرفة من وجهة نظر الامام علي (عليه السلام) ؟ هل مصدرها الحواس أم العقل أم القلب أو كل ماسبق ؟ ما حدود المعرفة البشرية وأقسامها ؟

## أهمية البحث

من السمات البارزة التي تميزت بها الفلسفة في القرون الاخيرة إسهاماتها الاساسية في مجال نظرية المعرفة، ونقصد بها تحديد مصادرالمعرفة ومنابعها الاساسية ومحاولتها استكشاف الركائز الاولية للكيان الفكري الجبّار الذي تملكه البشرية.

ان تحديد المصدر الأساسي للمعرفة الانسانية يعتبر نقطة الانطلاق الفلسفي وركيزة اساسية ومهمة في إقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم والحياة والانسان، فاذا لم تحدد مصادر المعرفة البشرية لايمكن القيام بأي دراسة فلسفية.

ولذلك فقد اختلف الفلاسفة منذ القِدَم وذهبوا مذاهباً وطرقاً شتى في تحديد مصدر المعرفة الانسانية وكيفية تحصلها عند الانسان.

هل الحس والتجربةِ فقط ام العقل ام كليهما معاً؟

ان اختلاف الفلاسفة في تحديدهم مصادر المعرفة يعود الى اختلاف الايدلوجيات في المجتمعات البشرية والتي أدّتْ الى اختلافهم في الاهداف والغايات التي ينبغي الوصول اليها، وهذا الاختلاف في الايدلوجيات إنبثق من تعدد الرؤى الكونية التي انطلقت منها هذه الايدلوجيات، والسؤال هنا لماذا إختلفت الرؤى الكونية فيما بينها ؟ وجوابه أن ذلك ينبع من إختلاف المناهج المعرفية التي إتّبعتها المدارس الفكرية المختلفة لاستكشاف حقائق هذا العالم.

فالواقعيون يؤمنون بوجود عالَم مستقل عن الانسان وتفكيره وأن الاشياء موجودة بحد ذاتها وأن الكون ليس خدعة، بل واقع حقيقي وجوهري، وكل الاشياء المحيطة بنا موجودة وجوداً حقيقياً مستقلاً وليست أفكاراً في عقول البشر.

أما المثاليون فلا يعترفون بوجود شيء خارج العقل وإن معرفة الشيء ووجوده شيء واحد، وليس هناك أثنان (موجود في الخارج وصورة عقلية عنه) بل كل مافي الوجود هو نفس الصورة العقلية ولا شيء سواها.

بينما يقول البراجماتيون ان المعرفة هي أداة للعمل فأية فكرة لايترتب عليها محسوس فهي وهم وليست بمعرفة سواء طابقت الواقع أم خالفته، وعليه يكون العمل جزءاً مقوماً لطبيعة المعرفة عند هؤلاء.

ونجد عند الامام علي (عليه السلام)، هذا الرجل الذي توافرت له من الثقافة الالهية – النبوية ما لم يتوافر لأحدٍ غيره من المسلمين قط، رؤية خاصة في نظرية المعرفة ومصدرها وفي حدودها وطبيعتها، تمثلت في أقواله (عليه السلام) التي جمع معظمها الشريف الرضي في كتابه الشهير (نهج البلاغة).

لذا فقد اعتمد البحث في مضامينه العلمية الفلسفية على اظهار رؤية الامام علي (عليه السلام) في هذا الميدان المهم على ما ورد في نهج البلاغة للامام (عليه السلام).

هذا النهج الذي تضمن المعاني الانسانية الخالدة والاسس والمفاهيم العلمية مما جعله موضع اهتمام الباحثين ورجال الفكر والعلم في كل عصرٍ وجيل وسوف يبقى كذلك ما دامت العقول تكتشف منطلقات جديدة لبناء الانسان بناءً سليماً صالحاً.

وتتجلى أهمية البحث بما يأتي:- أهمية الفكر العربي الاسلامي والممثل بفكر الامام علي (عليه السلام) في نظرية المعرفة الانسانية، فهو فكر منبثق من عالِمٍ خبير وينطلق من روح الاسلام ومعانيه وينسجم مع الاعراف والتقاليد والقيم التي تشكل ثقافة المجتمع الاسلامي.

## منهجية البحث

اعتمد الباحثان المنهج التاريخي التحليلي – الاستنتاجي (التركيبي) لكونه أداة اساسية لتحليل وأستنتاج افكار وآراء الشخصية نطاق البحث من خلال ما تركته من تراث فكري.

## أهداف البحث

يهدف البحث إلى: التعرف على رأي الامام علي (عليه السلام) في نظرية المعرفة الانسانية (مصدرها – أقسامها – حدودها).

## حدود البحث

رأي الامام علي (عليه السلام) وأفكاره في تحديد مصدر المعرفة الانسانية وأقسامها وحدودها ضمن كتاب نهج البلاغة للشريف الرضي.

## مصطلحات البحث

سيحدد الباحثان مصطلحي (النظرية، المعرفة) ومصطلح (نظرية المعرفة).

١. النظرية: نسق فكري ينظم مجموعة من المفاهيم والقوانين غير المترابطة وتفسركيفية تناسق الحقائق معاً وتجعلها ذات معنى[١].

٢. المعرفة: تبحث في مبادئ المعرفة الانسانية وطبيعتها ومصدرها وطرائقها وقيمتها وحدودها وفي الصلة بين الذات المدركة والموضوع المدرك وبيان الى أي مدى تكون تصوراتنا مطابقة لما يؤخذ فعلاً مستقلاً عن الذهن[٢].

٣. نظرية المعرفة: هي أحد فروع الفلسفة تبحث في أصل وبُنية ومناهج المعرفة[٣].

## الفصل الثاني: نظرية المعرفة عند الفلاسفة

### المبحث الاول: مصادر المعرفة

لقد دارت مناقشات حادة بين الفلاسفة القدامى والجُدد حول مصادر المعرفة وحدودها، أما الهدف من تلك المناقشات فهو تحديد الموازين والمقاييس التي يُعرف بها خطأ التفكير البشري من صوابه، والحقائق من الاوهام، ولايمكن القيام بأية دراسة إلا في ضوء مبدأ يعتبر المقياس الصحيح للقضايا التي تكون محلاً للإختلاف والأخذ والرد مهما كان نوعها ولونها.
فالسوفسطائيون: يرفضون أن يكون ثمة أصل لهذه المعرفة حساً كان أو عقلاً، إذ يرفضون البديهة والحس. ورأيهم أنه لامصدر للمعرفة أبداً، حيث لايمكن الوثوق بشيء يحصل منه العلم الصحيح[٤].

بينما نجد المذهب العقلي: يجعل العقل أساساً ومصدراً وحيداً للمعرفة، فأفلاطون انتهى الى ان أصل المعرفة وطريقها هو (التعقل المحض) وهو التذكر لما كانت عليه النفس ولما هو موجود فيها من عالم المُثل التي هي من طبيعته ولما نسيته من معلومات عقلية مجردة بسبب حلولها في البدن[٥].

فالمعرفة العقلية هي المعرفة الصادقة وما سواها ليس إلا ضلالاً للحقيقة بل أوهاماً[٦].

والمذهب الواقعي: الذي يعتبر أرسطو المؤسس الحقيقي له، يرى ان مصدر المعرفة يكون عن طريق الحواس فهي تعالج الوجود على ما هو عليه فعلاً[٧].

ويرى المذهب الحسي: ان الاحساس أو التجربة هي الأصل الاول والمصدر الوحيد للمعرفة، فالأبيقورية: كمدرسة حسيّة ترى ان المعرفة تعود الى الاحساس، والفكرة السابقة تتكون بتكرر الاحساس، وكل احساس فهو صادق[٨].

والرواقية: تُرجِع المعرفة الى البديهية الحسيّة أو إلى الافكار الفطرية، بمعنى انها ليست مفطورة في العقل في نظرهم[٩].

والتجريبية الحديثة: رفضت أن تكون ثمة أفكار فطرية أولية في العقل وسابقة على التجربة، فيرى جون لوك (ان أي فكرة تتولد في الذهن إنما ترتد الى مصدر واحد فقط هو التجربة أو الخبرة) والانسان يولد وعقله كالصحيفة البيضاء الخالية من أي معانٍ سابقة أو أولية، وعن

---

١. (ابو غزال، ٢٠٠٦:١٧).
٢. (صليبا:ج٢، ٤٧٨).
٣. (Runes،١٩٧٧،P.٤٩).
٤. (مغنية،د.ت، ص٨٣).
٥. (الحسيني، ٢٠٠٠: ١٠).
٦. (الشماع،١٩٦٠: ٣٢).
٧. (فرّوخ، ١٩٧٢: ١١).
٨. (الحسيني، ٢٠٠٠:١٠).
٩. (أمين، ١٩٦٧: ٢٠٤،٥٣).

طريق الاحساس فقط تبتدي الانطباعات الحسية المختلفة بالأنتقاش على صفحة ذهنه، وبهذا تتكون الافكار الشائعة، أو ما يسمى بالافكار الاولية[١].

أما المذهب النقدي: فيقوم على القول بأن مصدر المعرفة هو العقل والحس معاً، فبعض المعارف قبلية سابقة على التجربة، وبعضها لاحقة على التجربة. فقد جمع «كانت» بين المذهب التجريبي والمذهب العقلي وجعلهما في مذهب واحد يعترف بدور كل من الاحساس والعقل في إكتساب المعرفة[٢].

والفلاسفة الإشراقيين: فإنهم يُرجعون المعرفة الى المعارف العقلية الاولية وهم بهذا لاينكرون الحس، إذ التصورات الاولية المأخوذة بطريق الحواس تمثل الأساس التصوري للذهن البشري، ويقوم الذهن بانتزاعها ليّولد المفاهيم الجديدة وبمعونة العقل الفعّال، وبعد ذلك يقوم العقل بعملية الاستدلال أو التفكير من أجل تحصيل المعرفة النظرية ولكن بالإستناد الى المعلومات الاولية أو البديهية، كما عند الفارابي وابن سينا[٣].

ويرى الكندي: ان المعرفة تحصل بثلاثة طرق هي: الحواس، العقل، القلب. فالحواس موجودة في الانسان من أول خلقه وهي مرحلة وجود انساني أولي، أما العقل وهو مباين للحس والوجود الخارجي، وان العقل والحواس يعملان معاً في المعرفة، والقلب هو طريق للايمان يعمل فوق حدود العقل من الغيبيات وان كان لايتعارض مع العقل إلا أنه يتجاوزه فيما يعجز عنه هذا العقل[٤].

ويعترف ابن رشد: بالوجود الحسي والعقلي وان المحسوس أو الواقع مصدر المعرفة، وان الحس والعقل يعملان معاً في المعرفة، فالحس إنما يدرك الصور من حيث هي شخصية، وأما العقل فانه من شأنه ان ينتزع الصورة ويتصورها مفردة على كنهها، وبذلك صح ان يَعقِل ماهيّات الاشياء[٥].

## المبحث الثاني: اقسام العلم والمعرفة

إتفق الفلاسفة على تقسيم العلم والمعرفة التي يحصلها الانسان الى قسمين أساسيين هما: علم ضروري وعلم نظري.

العلم الضروري: هو علم يلزم نفس المخلوق لزوماً لايمكنه معه الخروج عنه ولا الانفكاك منه ولا يتهيأ له الشك في متعلقه ولا الإرتياب به.

وهذا العلم ليس من فعل الانسان وانما الله هو الذي يخلقه في الانسان. بخلاف العلم النظري فهو من فعل الانسان وكسبه، ويرى الغزالي ان العلم الضروري هو العلم الذي لايدري الانسان من أين حصل وكيف حصل، كعلم الانسان بأن الشخص الواحد لايكون في مكانين في آنٍ واحد[٦].

العلم النظري: إذا كان العلم الضروري هو العلم الذي لا دخل للانسان في حصوله، فان العلم النظري أو المكتسب يعني كسب الانسان وهو «علم يقع بعقب استدلال وتفكر في حال المنظور أو تذكر نظر فيه، فكل ما أحتاج من العلوم الى تقدم الفكر والروية وتأمل في حال المعلوم فهو الموصوف بالعلم النظري»[٧].

---

١ . (إسلام، ١٩٧٨: ٥٢، ١٩٩).
٢ . (نجاتي، ٢٠٠١: ٤١).
٣ . (الحسيني، ٢٠٠٠: ١١).
٤ . (فرّوخ: ١٩٧٢: ٣١٠).
٥ . (نجاتي، ١٩٩٣، ٢٤٢).
٦ . (الحسيني، ٢٠٠٠: ٧٥).
٧ . (الحسيني، ٢٠٠٠، ٧٧).

والفرق بين العلمين الضروري والنظري من جهة قدرة العالم على علمه المكتسب واستدلاله عليه ووقوع الضروري من غير استدلال منه ولا قدرة له عليه، وامكانية العلم النظري في الوصول الى المعرفة اليقينية: «فمن حكمه جواز الرجوع عنه والتشكك في متعلقه»[١].

وهو هنا على العكس من العلم الضروري الذي لايمكن الشك فيه ولا الإرتياب به.

## المبحث الثالث: حدود المعرفة

إستناداً الى رؤيتهم في تحديد مصادر المعرفة الانسانية إختلف الفلاسفة حول حدود هذه المعرفة، فمنهم من قال ان المعرفة مطلقة ولا حدود لها ومنهم من قال بأن حدود المعرفة تفرضها عليها إمكانية وحدود مصدرها وآخرون يرون ان حدود المعرفة يرجع الى مدى تطهير النفس من شوائب الحياة المادية والشهوات الدنيوية فنجد ان المثالية المفارقة عند افلاطون: ترى ان لا حدود للمعرفة العقلية لانه حينما تكون النفس في الملأ الاعلى تكون مطلّعة على الصور المُثلى جميعها أي ان المعرفة التي مصدرها العقل يقينية وثابتة ومطلقة وتصلح لكل زمان ومكان[٢].

بينما يرى ديكارت: وهو فيلسوف مثالي تصوره لوجود الاشياء في الخارج بنظرة ترجع الى الفكر لا الى الوجود الواقعي، اذ ان كل ما نستطيع ان ندركه في تصوره انما يرجع الى فكرة واضحة متميزة[٣]. فالمعرفة عنده تتحدد في هذه الفكرة.

وواقعية أرسطو: تعطي الوجود الحقيقي للموضوع الحسي.
والاشياء موجودة وجوداً مستقلاً عن العقل، أي موجودة بحد ذاتها[٤].

لذا فان المعرفة محددة بما هو موجود فعلاً، وأن ثَمَّت عالماً حقيقياً واحداً مستقلاً هو العالم الذي نعيش فيه[٥].

ويرى جون لوك (الذي يعتبر الممثل الشرعي للنظرية الحسية والتجريبية): ان المعرفة يبدأ الانسان باكتسابها منذ ان يولد، ويكون ذلك عن طريق التجربة، والتجربة عنده وان كانت هي السبيل الاوحد أو الاعظم الى المعرفة فهي مع ذلك معرضة للزلل، وان العقل نفسه يتكون عن طريق الحس، والاحساسات هي المصدر النهائي والمصدر الممتاز للمعرفة[٦] لذا فان المعرفة تتحدد بمقدار ما يمتلكه الفرد من احساسات.
والبرجماتية عند جون ديوي: فانه يضع العمل مبدأ مطلقاً للمعرفة، فمقياس الحقيقة ومعيارها العمل المنتج[٧] لذا فان المعرفة تتحدد في الواقع العملي الذي يؤدي الى خدمة الانسان في حياته العملية.
ويرى الكندي: ان انشغال الانسان بالامور الشهوانية والغضبية والتمتع بملذات الحياة الدنيوية، انما يعوق النفس عن بلوغ المعرفة الحقيقية، التي لايمكن ان يحصلها الانسان إلا بالتجرد من شهواته وملذاته الدنيوية[٨].

---

١ . (الحسيني، ٢٠٠٠، ٧٨).
٢ . (الشماع،١٩٦٠: ٣٩).
٣ . (الحسيني، ٢٠٠٠: ١٠٤).
٤ . (الجعفري، ١٩٩٣: ٤٨).
٥ . (الحيدري،٢٠٠٥: ١٢٩).
٦ . (الشماع، ١٩٦٠: ٥٧).
٧ . (ابراهيم، ١٩٦٨: ٣٢).
٨ . (نجاتي، ١٩٩٣: ٣٠).

## الفصل الثالث: نظرية المعرفة عند الامام علي (عليه السلام)

### المبحث الاول مصادر المعرفة

لم يكن الامام علي (عليه السلام) فيلسوفاً أو مشتغلاً بعلم الكلام أو باحثاً عن الحقيقة ومصادرها ليزداد بها يقيناً وهو القائل «لو كُشف لي الغطاء ما أزددت يقينا»[1] أو دارساً لعلوم السابقين، بل كان تلميذاً في مدرسة العلوم الالهية استقى العلم من مصدره وأستاذهُ سيد الكونين وخاتم المرسلين محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى صار عليه أزكى وأكمل السلام «باب مدينة العلم» فمن أراد العلم فليأته من بابه. ولذلك لم يحصر الامام (عليه السلام) هذا العلم الجَم أو يحدده أو ينفرد بجانبٍ أو فرعٍ مُعيّن من فروع العلم وهو القائل «فاسألوني قبل ان تفقدوني»[2] بل وضع (عليه السلام) للانسانية خطواتٍ ثابتة ومفاهيم واضحة وركائز في مختلف جوانب الحياة وعلومها، ففي الفلسفة والاقتصاد والتربية والاجتماع وعلم النفس والطبيعيات وغيرها كان (عليه السلام) عالماً بارعاً ومربياً فاضلاً ومُصلحاً اجتماعياً وقائداً عادلاً.

وفي اطار بحثنا عن نظرية المعرفة ومصادرها، نجد ان الامام علي (عليه السلام) لم يقف على مصدرٍ واحدٍ للمعرفة الانسانية فلم يجعلها موقوفةً على العقل أو على الحس والتجربة أو على الاشراق. بل حدد (عليه السلام) مصادر المعرفة تحديداً دقيقاً فبدأ بالعقل والتفكر ثم الحس وأوضح اهمية وأثر التجربة بعد العقل، وجعل الفطرة من مصادر المعرفة الالهية ولكنها غير مختصة بفئةٍ دون اخرى كما هو الحال بالنسبةِ للمعرفة عن طريق الوحي التي هي للخاصةِ من الناس، وقد جعل (عليه السلام) للقلب مكانةً خاصة وأعتبره مصدراً ذا أهمية عالية وبالغة الأثر وشديدة الأهمية في الربط بين العقل والحواس.

وسنوضح تالياً وبإيجاز رأي الامام علي (عليه السلام) في تحديده لمصادر المعرفة: فيقول (عليه السلام) «ثم نفخَ فيها من روحهِ فمثُلت إنساناً ذا أذهانٍ يُجيلُها وفِكرٍ يتعرف بها وجوارحَ يختدمها وأدواتٍ يُقلّبها ومعرفةٍ يَفرُق بها بين الحق والباطل والأذواق والمشامِّ والألوان والأجناس»[3]. ومن خلال هذا النص يمكننا أن نقسم مصادر المعرفة عند الامام (عليه السلام) الى:

١. العقل: جعل الامام(عليه السلام) المعرفة العقلية سابقة على باقي مصادر المعرفة وذلك لأهمية العقل وميزته الفارقة بين الانسان والكائنات الحية الاخرى، فالانسان يُحرك قواه العقلية التي يصفها الامام (عليه السلام) في قوله السابق بالاذهان يتدبر بها الانسان ويتفكر ويُدرك الاشياء من حوله، وكذلك استعماله لافكاره التي مصدرها العقل فيستطيع ان يبني في ضوئها معارفه وعلومه التي يُحصِّلها في حياته.

٢. فإذا تمكن الانسان ان يدرك الاشياء بعقله فانه سيتمكن من معرفة الاشياء معرفةً أقرب ما تكون الى الصواب ويكون قوياً في اصدار الاحكام والجدل في القضايا، لانه يستند الى المصدر الوثيق الذي يكشف عن الامور كشفاً دقيقاً وفي ذلك يقول (عليه السلام) «ولا علمَ كالتفكر»[4]، ويؤكد لنا الامام (عليه السلام) بان الانسان الغني غنيٌ بعقله وبقدراته العقلية وليس الغنيُّ غني المال فيقول (عليه السلام) «ولا غنى كالعقل»[5] وقوله (عليه السلام) «لا مالَ أعود من العقل»[6] العقل»[6] كما ان فضل العقل على الانسان في ان يوضح له طريق الصواب من الخطأ وأن يحتَكِم للعقل كمرجعية يستند اليها الانسان في توضيح واختيار طريقه وفي ذلك يقول (عليه

---

١ . (مغنية، د.ت،٢٦٢).
٢ . (النهج،١٩٨٦:ج١: ١٨٢).
٣ . (النهج، ١٩٨٦: ج١، ٢١).
٤ . (ابن ابي الحديد، ١٩٦٣: ج١٨: ٢٧٦).
٥ . (ابن ابي الحديد، ١٩٦٣: ج١٨: ١٨٥).
٦ . (النهج، ١٩٨٦: ج٤: ٢٦).

السلام) «كفاك من عقلك أوضح لك سبيل غيّك من رشدك»[1] وأما قوله (عليه السلام) «ليست الروّية كالمعاينة مع الابصار، فقد تكذبُ العيون أهلها، ولا يغشُّ العقلُ من استنصحهُ»[2] فهي دعوةٌ الى تحكيم العقل وتغليب أحكامه في ما يقررهُ الانسان وعدم الاتكال على المعرفة الحسيّة لأن فيها اخطاء كونها تستند الى الحدث المقابل دون أن تتأمل ما وراءه، وهذا يجعل معرفتنا مخطوءة وغير صحيحة لذلك من الضروري ارجاعها الى العقل لتصبح المعرفة لدينا متكاملة وصحيحة.

٣. الحس: يصِف الامام (عليه السلام) في قوله السابق اجهزة الحس في الانسان بالجوارح «وجوارحَ يختدِمها وأدواتٍ يُقلّبها» ويجعلها مأمورة كالخدم يستعملها الفرد في خدمته استعماله للادوات التي يُقلّبها ويُحركها في العمل بها كيف يشاء، ثم انه (عليه السلام) يجعل هذا المصدر من المعارف بعد المعارف العقلية بمعنى انه (عليه السلام) لم يجعلها كمصدر أولي أو أساسي من مصادر المعرفة، وسبب ذلك يرجع الى استدراك الامام (عليه السلام) ان للحواس أخطاءً من الممكن ان تجعل المعرفة غير صحيحة بل غير حقيقية أحياناً ولا يمكن الاعتماد عليها كلية فيقول (عليه السلام) في ذلك «فقد تكذب العيون أهلها» وقوله (عليه السلام) «ومن عَشِق شيئاً أعشى بصرهُ... فهو ينظُر بعينٍ غير صحيحةٍ »[3] وقوله ايضاً «ولا كلُّ ذي سمعٍ بسميع...»[4].

لكن هذا الاستدراك بتعرض المعرفة الى خطورة اخطاء مصادرها لم يكن مقتصراً على الحواس فقط بل شمل المعرفة العقلية فلم يجعل (عليه السلام) للعقل صفة الكمال المطلق في معرفة الحقائق فقد يكون العقل ناقصاً أو ضعيفاً عند ذلك تكون المعرفة مشوّشَة ولا ترى الاشياء على حقيقتها فيقول (عليه السلام) «لأغلف القلب المُقارب العقل»[5]. لذا يُقرر الامام (عليه السلام) بأن المعرفة الصحيحة هي التي يجتمع فيها العقل والحس ولا ينفرد أحدهما دون الاخر مع الاحتفاظ بأسبقية العقل كما أشرنا الى ذلك سابقاً، وفي هذا يقول (عليه السلام) «...فإن الشقيَّ من حُرِمَ ما أوتي من العقل والتجربة»[6] بمعنى ان منهجنا في المعرفة يجب ان يعتمد على طاقات العقل وقدراته واستنتاجاته ممزوجةً بالمواقف والخبرات والتجارب التي نمرّ بها في حياتنا والتي تزودنا بها حواسنا. لذا فان طريق المعرفة الى اشياء الطبيعة التي نلمسها بالمشاهدة والتجربة هو الحواس والطريق الى معرفة ماوراء الطبيعة هو العقل، وان من شأن الحواس أن تدرك الظواهر والجزئيات فقط وشأن العقل ان يستكشف ما يكمن وراء هذه الظواهر.

٤. الفطرة: هذه المعرفة تشمل كل ابناء الجنس البشري دون استثناء ولا توجد فيها افضلية بين واحدٍ وآخر فهي تولد مع الانسان وتمثل القاعدة الاساسية التي يعتمد عليها الانسان في تمييزه بين الحق والباطل ما لم تشوبها وتؤثر فيها عوامل البيئة المحيطة والتنشئة الاسرية الاجتماعية وأشار الى هذا الموضوع في قوله السابق «ومعرفةٍ يَفرُق بها بين الحق والباطل» فهذه المعرفة هبة الله الى البشرية رحمةً وعدلاً بهم لكي لايكون للانسان على الله –عز وجل- رأياً في أنه خلقه ولم يمنحه القواعد والأسس التي يستند عليها وينطلق منها في التعرّف ثم التمييز بين الحق والباطل والاذواق والمشام والالوان والاجناس، ولكن أبت العدالة الالهية إلا ان تثبت وجودها وحجتها الدامغة ولا تترك للانسان سبيلاً في الاعتراض على نقصٍ أو خلل.

---

١. (النهج، ١٩٨٦: ج١: ٩٩).
٢. (النهج،١٩٨٦:ج٤: ٦٨).
٣. (النهج،١٩٨٦:ج١: ٢١٢).
٤. (النهج، ١٩٨٦: ج١: ١٥٦).
٥. (النهج، ١٩٨٦: ج٣: ١٢٣).
٦. (النهج،١٩٨٦: ج٣: ١٣٧).

ان القاعدة الاساسية للفطرة هي توحيد الله فكل انسان يولد وهو موحِدٌ لله بالفطرة ويشير الامام لهذه القاعدة بقوله (عليه السلام) «وكلمة الاخلاص فإنها الفِطرة»[١] وما يحدث بعد ذلك من تغيير للافكار وانحراف عن المنهج الرباني الصحيح فهو بفعل الانسان بنفسه.

٥. الوحي «معرفة الخواص من الناس»: ذكر الامام علي (عليه السلام) الوحي كمصدر من مصادر المعرفة ولكنه ليس لعموم الناس بل لخاصتهم وهم الانبياء والرُسل الذين إختصهم الله – عز وجل- بمخزون علمه ولم يَبُح لغيرهم بأن يطلّعوا عليه وذلك مما لا يتعلق بالاحكام الشرعية للاديان السماوية والى ذلك يشير (عليه السلام) في خطبةٍ يصف فيها الرسول الاكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فيقول «اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك على محمدٍ عبدُك ورسولك... واعياً لوحيك حافظاً لعهدك... فهو أمينك المأمون وخازنُ علمك المخزون»[٢]. وأما طريق المعرفة بالوحي فهم الملائكة حيث يصفهم (عليه السلام) بقوله «جعلهم فيما هنالك أهلُ الامانةِ على وحيهِ وحَمَّلهم الى المرسلين ودائعَ أمرهِ ونهيهِ »[٣].

كما ان هناك معارفَ لخواص الناس وهم الراسخون في العلم وأهل البصائر ولكن ليس عن طريق الوحي فيقول (عليه السلام) «وأعلم ان الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن أقتحام السُّددِ المضروبةِ دون الغيوبِ »[٤] و قوله: (عليه السلام) ايضاً «قد انجابت السرائرُ لأهل البصائر»[٥].

٦. القلب: كما ذكرنا سابقاً اختلاف الفلاسفة والمفكرون في تحديدهم لمصدر المعرفة، فبين قائل بالعقل أو قائل بالحواس قد انقسموا فريقين رغم كثرة مذاهبهم وعدم اتفاقهم على كثير من التفاصيل. وذهب بعظهم الى القول بالمعرفة او الكشف عن طريق القلب ولكنهم جعلوها مخصوصةً بين الناس، ذلك ان هذه المعرفة أو كما تسمى الكشف لدى بعضهم هي نورٌ يقذفه الله في القلب، وعلى هذا الاساس فان هذه المعارف إختصت في مجال محدد هو الالهيات، والى هذا الرأي ذهب الغزالي قديماً وكثيرون من نوابغ الفكر الحديث، منهم الفيلسوف الشهير «كانت» والكاتب الانكليزي «هكسلي» والالماني «وانز» والفرنسي «رومان» وغيرهم[٦].

ولننظر رأي الامام علي (عليه السلام) حول هذا المصدر من مصادر المعرفة:
في البداية نقول ان الامام (عليه السلام) لم يجعل المعرفة القلبية مقصورةً على جانب معين أو محدد من المعارف كما ذهب اليه بعض الفلاسفة والمفكرين كما أشرنا آنفاً، بل انه (عليه السلام) ربط المعرفة العقلية بالقلب وجعلهما بدرجةٍ عالية من الترابط والتكامل فيقول (عليه السلام) «ان العقل في القلب»[٧] وهذا ما أكده الدكتور (ادرو آرمور) حين طرح عام ١٩٩١ فكرة وجود «عقل صغير في القلب» يتكون من شبكة من الخلايا العصبية والناقلات الكيمائية والبروتينات والخلايا الداعمة التي تعمل باستقلالية عن خلايا المخ وتتولى عملية التعلم والتذكر والاحساس ثم ترسل المعلومات الى مراكز المخ المختصة بالادراك واتخاذ القرارات والمحاكمات القلبية.[٨]

لكن القلب لم يكن لينهي دوره عند العقل بل امتد ليتكامل مع الحواس وخصوصاً مع البصر الذي يعتبر من اكثر الحواس دقةً واستعمالاً للتعرف وتمييز الاشياء، فيصفه (عليه السلام) بقوله

---

١. (النهج، ١٩٨٦: ج١: ٢١٥).
٢. (النهج، ١٩٨٦: ج١: ١٢٠-١٢١).
٣. (النهج، ١٩٨٦:ج١٦٨:١-١٦٩).
٤. (النهج، ١٩٨٦:ج١٦٢:١).
٥. (النهج، ١٩٨٦:ج٢٠٧:١).
٦. (مغنية، د.ت: ٢٦٥).
٧. (نسيج:٢٠٠٨، ح ٤٦٦٢).
٨. (www. .a.net:p.٥٥٤٠٨).

«القلبُ مصحف البصر»[1] فهو اذن يقوم بعملية خزن ومعالجة المعلومات المستقبلة من البصر، وفي عام ١٩٩٩ أثبت معهد رياضيات القلب الامريكي ان القلب له نظامه العصبي الخاص به وهو نظام معقد يسمونه The brain in the heart اذ توجد خلايا عصبية داخل القلب، وهي خلايا معقدة جداً لم يعرف العلماء حتى الان طريقة عملها، ولكن هذه الخلايا مسؤولة عن تخزين المعلومات وتحميلها لخلايا الدم وبثها لكافة انحاء الجسم، فهو أشبه بذاكرة الكمبيوتر التي لايعمل بدونها، كما ان القلب يبث في كل دفقة دم عدداً من الرسائل والمعلومات لجميع انحاء الجسم، وله نظام كهربائي معقد وطاقة خاصة به ومجال كهرومغناطيسي أقوى بمئة مرة من الدماغ.[2] ويضيف (عليه السلام) مهمةً اخرى يقوم بها القلب يصفها بقوله «وناظِر قلب اللبيب به به يُبصرُ أمدهُ ويعرفُ غورَهُ ونجدَهُ»[3] ان هذه المهمة جعلت القلب ليس مصدراً من مصادر المعرفة بل مركزاً مسيطراً على كل مصادر المعرفة، فيتعامل مع العقل في تنظيم المعارف ويساعده في ادراك المفاهيم البعيدة المدى والعميقة الأثر والتي لايمكن تلمسها على أرض الواقع وتعامله مع البصر فيحفظ ويعالج وينظم الرؤية البصرية ويُعيد للبصر ما حفظهُ فيُزيل عنه غشاوةَ وشك الاخطاء ليجعل البصر بالاشياء جلياً واضحاً.

وسنذكر بعض الابحاث التي اجريت اواخر القرن العشرين لتأكيد ما قاله الامام علي (عليه السلام) قبل اكثر من ١٤٠٠ سنة، فمن الابحاث الغريبة التي أُجريت في معهد (رياضيات القلب) الامريكي Heart Math عام ١٩٩٩ أنهم وجدوا ان المجال الكهربائي للقلب قوي جداً ويؤثر على من حولنا من الناس، أي ان الانسان يمكن ان يتصل مع غيره من خلال قلبه فقط دون ان يتكلم، كما وجدوا ان دقات القلب تؤثر على الموجات التي يبثها الدماغ، فكلما زاد عدد دقات القلب زادت الترددات التي يبثها الدماغ، وفي بحث أجراه الباحثان Mike Atkinson، Rollin Mc Craty وعُرضَ في اللقاء السنوي للمجتمع البافلوفي عام ١٩٩٩، جاء في نتيجة هذا البحث ان هنالك علاقة بين القلب وعملية الادراك، حيث وجدوا ان عملية الادراك تتناسب مع اداء القلب، فكلما كان اداء القلب أقل كلما كان الادراك أقل[4]، وفي عام ٢٠٠٢ نشر الدكتور[5]، العالم في المناعة النفسعصبية ومؤلف كتاب «شيفرة القلب» نتائج بحثه الذي استغرق ١٠ سنوات وشمل ٧٤ شخصاً زرعت فيهم اعضاء، منهم ٢٣ زراعة قلب. وأحد هذه النتائج ذكر انه (في تجربة أجريت لمعرفة التأثير المتبادل ما بين القلب والمخ فقد وجد عند تلامس شخصين او اقتراب احدهما من الاخر ان الموجات الكهربائية التي تصدر من مخ احدهما تتغير بالتزامن مع موجات قلب اخر) ويذكر ايضاً ان القلب يحس ويشعر ويتذكر ويرسل ذبذبات تمكنه من التفاهم مع القلوب الاخرى، ويساعد على تنظيم مناعة الجسم ويحتوي على معلومات يرسلها الى كل انحاء الجسم مع كل نبضة من نبضاته[6].

ونرجع الى الامام علي (عليه السلام) فقد اسند مهمةً جديدة اخرى للقلب لها أثر عظيم ودور خطير في حياة الانسان، ألا وهي الايمان (التصديق بوجود خالق لهذا الكون و توحيده، تنزيهه عن التعدد والصفات...الخ) وغير ذلك من الالهيات التي اشتغل بها الفلاسفة قروناً وحاولوا جاهدين ان يصلوا الى مراحل اليقين (الايمان) عن طريق العقل أو الحواس أو الجمع بينهما ولكنهم لم يلتفتوا الى ان اليقين والايمان في الالهيات مركزه القلب، بل ان المعرفة الحقيقية تجدها فيه، فيقول في ذلك الامام علي (عليه السلام) «الايمان معرفةٌ بالقلب...»[7] وهو بذلك قد

---

١. (النهج،١٩٨٦: ج٤:٩٦).
٢. (ملتقى البيان لتفسير القران: ٢٠٠٨، ١٤).
٣. (النهج، ١٩٨٦: ج٢: ٤٣).
٤. (موقع التقنية: ٢٠٠٩، الموجات الكهرومغناطيسية والانسان).
٥. (بول بيرسال Paul Pearsall).
٦). .a.net٥٥www. .(
٧. (النهج،١٩٨٦: ج٤: ٥٠).

قطع الطريق على المشتغلين بالبحث والتفكير والتأمل للوصول الى المعرفة والايمان بغير القلب.
ولكن وللأسف الشديد ان كنوز العلم هذه لم تجد لها آذاناً صاغية ولا عقولاً واعية ولا عيوناً مبصرة لتكشف ما فيها، وفيها علمٌ جم. وحتى عام ٢٠٠٨ حيث نشرت جريدة (ديلي ميل) قصة تؤكد بشكل كبير ان القلب له دور حاسم في الايمان والكفر والمشاعر والادراك ايضاً. وخلاصة القصة: ان شاباً متزوجاً انتحر بمسدس في رأسه بسبب ضغوطات نفسية ومعاناة ناجمة عن إلحادهِ المُفرط وكُفره الشديد (حسب زوجته) ولكن قلبه الذي بقي يعمل نُقل الى شخص آخر يعاني من فشل القلب (وهذا الشخص كان من أهل الخير والصلاح) وبعد فترة عندما رأى الشخص (الذي نقل اليه القلب) أرملة الشاب المنتحر أحسّ وكأنه يعرفها منذ زمن ويحمل لها مشاعر من الحب والمودة لم يستطع أن يخفيها ولكن الأمر الأكثر إثارةً للانتباه هو ان هذا الشخص بعد نجاح العملية قد تحول بعد فترة من حال الصلاح الى المجاهرة بالكفر والالحاد ولم يعد يحتمل الحياة فأنتحر بالطريقة ذاتها التي انتحر بها الشاب صاحب القلب الاصلي، وذلك انه اطلق رصاصة على رأسه فمات على الفور[١].

لقد وقف العلماء ومعهم كل التقنيات وتكنلوجيا الثورة المعلوماتية عاجزين عن تفسير ومعرفة ماهيّة وأساليب وطرق عمل القلب ودوره كمصدر وكموّجه ومُنظم لمصادر المعرفة ومسيطر على قراراتها، نجد ان الامام علي (عليه السلام) يقول فيه مقولات ويفصل تأثيره ودوره ويضع أساس معرفةٍ جديدة لم يتمكن العلماء حتى يومنا هذا ان يتوصلوا الى هذه الحقائق أو يفسروها بشكل دقيق ومؤكد. ونختم هذه الفقرة من مصادر المعرفة القلبية بمهمةٍ اخرى جديدة للقلب فيصفهُ الامام (عليه السلام) بأنه مُحرك ودافع مؤثر على سلوك الانسان وتصرفاته وذلك بحكم احتواءه وامتلاكه على المعارف والحِكَمْ المرتبطة بصفات الانسان وخصائصه فيقول (عليه السلام) «لقد عُلّقَ بنياط هذا الانسان بضعةٌ هي اعجب ما فيه، وهو القلب، وذلك انَّ له موادٌّ من الحكمةِ وأضدادٌ من خلافها. فان سنخَ له الرجاء أذلّهُ الطمع وان هاجَ به الطمعُ أهلكهُ الحرص... فكلُّ تقصيرٍ به مُضرٌ وكلُ افراطٍ له مفسدٌ»[٢].

## المبحث الثاني: أقسام العلم والمعرفة

قسّمَ الامام علي (عليه السلام) العلم الانساني الى نوعين معتمداً في هذا التقسيم على مصدر العلم إذ يقول (عليه السلام) «العلم علمان، مطبوعٌ ومسموع، ولا ينفع المسموع اذا لم يكن المطبوع»[٣]. فالعلم حسب قول الامام (عليه السلام) قسمان هما:

١. علم مطبوع.
٢. علم مسموع.

العلم المطبوع على وفق مصادر المعرفة يكون على نوعين:
أ. المعرفة الفطرية: وتمثل كما ذكرنا سابقاً القواعد الاساسية والركائز الثابتة التي يستدل بها الانسان على طريق الحق والباطل وعلى الاذواق وغيرها. فهي قاعدة البيانات الاساسية والكاملة لبرنامج معارف الانسان وحياته.
ب. والنوع الاخر من هذا القسم من العلوم والمعارف يُقصد به توفر الاستعداد للعلم والتعلم عند الانسان، وهذا الاستعداد يتمثل بالعقل الكامن (العقل بالقوة)، فهو اذن قدرة الانسان على اكتساب المعلومات اعتماداً على مقدار استعداده الفسيولوجي الوراثي.
أما العلم المسموع. فهو كل ما أستدل عليه الانسان وتمكن من استقباله وتحليله وفهمه عن طريق الحواس والعقل.

---

١ . (ملتقى البيان لتفسير القران، ٢٠٠٨:١٢).
٢ . (ابن ابي الحديد، ١٩٦٣:ج١٨: ٢٧١).
٣ . (النهج، ١٩٨٦: ج٤:٧٩).

لكن الامام (عليه السلام) في آخر قوله يضع شرطاً لتكامل العلم والمعرفة والتصاقها مع بعضها وان هذا التقسيم ليس للفصل والتحديد بل للوقوف والتعرف على مصادر العلم والمعرفة ومقدار التيّقن بها. فالمطبوع أصيل وله أثره الكبير في حياة الانسان ولا يرقى اليه الشك ومع هذا قرنهُ الامام (عليه السلام) بالمسموع من العلم وهو ما استقبلته الحواس وعرضهُ العقل للتحليل والتصنيف والقبول أو الرفض أو الاضافة ولكنه لوحده لايكفي لان يصل بالانسان الى مراحل اليقين ما لم يرفدهُ المطبوع ويتطابق معه لتصبح عند ذلك الاشياء والحقائق واضحة الرؤيا والمفهوم ومتكاملة المعاني والمعارف.

## المبحث الثالث: حدود المعرفة

بالاستناد الى مصادر المعرفة فقد حدد الامام علي (عليه السلام) لكل مصدرٍ منها حدوداً واقعيةً علميةً وعمليةً، بمعنى يمكن التاكد منها واقعاً، باستثناء المعرفة الفطرية والوحي فانها من مصدرٍ ومعينٍ لا حدود له، ويرجع هذا التحديد للمعرفة الى كون المخلوقات جميعها لها قدرة وقابلية محدودة في جميع المجالات.

فيجعل (عليه السلام) للعقل قدرة محدودة على ادراك واستيعاب المفاهيم وهذا ما أكدته الدراسات والبحوث الفسلجية، لذلك ينهي الامام (عليه السلام) عن الخوض في أمور يصعب على العقل استيعابها والاحاطة بها لمحدودية امكاناته عن الخوض في مسائل لا طاقة له فيها فتؤدي به الى هلاكه ولذلك يقول (عليه السلام) «ولا تُقدر عظمة الله سبحانه على قدرِ عقلك فتكون من الهالكين»[1] وحفاظاً على الرأي السديد والفكرة الصائبة الصحيحة التي هي ناتج اشتغال العقل بشكل سليم واستعماله وفقاً لقدرته المحدودة يقول الامام (عليه السلام) «فلا تستعملوا الرأي فيما لا يُدركُ قعرهُ البصرُ ولا تتغلغلُ اليه الفِكَرُ»[2].

وتنعكس محدودية العقل في ادراكه واستيعابه سلباً على محدودية فهم القلب، وهذا يسمى في العلم الحديث بالتغذية الراجعة السلبية Negative Feedback، وكما ذكرنا سابقاً في قدرة القلب على توجيه وتنظيم المعارف العقلية السليمة، يوضح الامام علي (عليه السلام) هنا قاعدة علمية ينعكس فيها تأثير العقل على القلب، فان اي نقص او ضعف في العقل ينتج عنه معلومات ضعيفة وناقصة ومشوشة تسبب تأثيراً سلبياً على قدرة القلب على فهم وتفسير هذه المعلومات مما يجعله ضعيفاً وقاصراً في توجيهه وتنظيمه وأحكامه حول هذه المعارف فيقول (عليه السلام) «لأغلف القلب المقاربُ العَقل»[3].

ولكن ماذا لو كان القلب غير قادر على تجميع قدراته في توجيه وتنظيم المعارف العقلية، هل ينعكس ذلك على قدرة العقل على الفهم والتفسير المنطقي للمعلومات ؟

في الحقيقة هذا الربط الشائك والمعقد بين القلب وسائر الاعضاء وخصوصاً العقل لم يذكره أحد بهذا التفصيل الدقيق سوى أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) فيجعل محدودية القدرات العقلية مؤثرة ومتأثرة بقدرة القلب على التوجيه والتنظيم والعكس بالعكس فنجده (عليه السلام) هنا يقول «وتائهُ القلب متفرِّقُ اللُبِّ»[4] فمن كان قلبه مشتتاً حائراً لم يستطع ان يجمع شتات عقله ولا ان يوحّد افكاره ومعلوماته فهو في حيرةٍ من أمره، كمن يقف في مفترق طريق ولا أحد يُعينهُ أو يُرشدهُ على معرفة الطريق الذي يوصله الى هدفه وغايته.

---

١ . (النهج، ١٩٨٦: ج١: ١٦٢).
٢ . (النهج، ١٩٨٦: ج١: ١٥٥).
٣ . (النهج، ١٩٨٦: ج٣: ١٢٣).
٤ . (النهج، ١٩٨٦: ج٢: ٢٢٨).

أما حدود المعرفة الحسية فيصفها الامام (عليه السلام) بقوله «ولا كلّ ذي سمعٍ بسميع ولا كلّ ناظرٍ ببصير»[1] والقولُ واضح المعنى جليُّ المفهوم، حيث يختصر الامام (عليه السلام) ببضع كلمات وخيرُ الكلام ما قلّ ودلّ، يصف قدرة الحواس المحدودة على استقبال المعلومات والمنبهات ثم تفسيرها والحكم عليها.

وليس بالغريب ان يضع الامام (عليه السلام) حداً جديداً للمعرفة الانسانية لم يسبقه اليه من سبقه ولم يَفطِنْ عليه من لحقه وجاء بعده، حداً لا دخل فيه للتكوين البايلوجي للانسان. حداً هو بحد ذاته أحد مقومات العلم وبقاءه واستمراره ألا وهو العمل، اما كيف ذلك فيتوضح الامر من قول الامام (عليه السلام) «العلمُ مقرونٌ بالعمل، فمن علمَ عَمِلَ والعلمُ يهتفُ بالعمل، فإن أصابه وإلا ارتحل عنه»[2] فمتى علمتَ وجبَ عليك العمل بما علمت، فالعلم مخصوص لانه يتحدد بالشخص الذي تمكن من الوصول الى المعرفة والعلمُ بها ولكن أثره عام وفي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية منها والاقتصادية والتربوية وغيرها، ولا يظهر هذا الاثر إلا بالعمل به ولكن عندما يُفارق العلمُ العمل يصبح العلمُ جامداً محدوداً حتى في أثره وواقفاً على صاحبه متى ارتحل عن الدنيا ارتحل معه ولا أثر لهُ بعده.

## الفصل الرابع: خلاصة البحث

### استنتاجات البحث

من خلال ما تقدم في مجريات البحث توصل الباحثان الى جملة من الاستنتاجات منها:-

١. ان هناك رؤية واضحة وتصور شامل للامام علي (عليه السلام) بخصوص كيفية تحصل المعلومات لدى النفس الانسانية وهذه الرؤية مستمدة من الفهم الواعي للقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٢. ان مصادر المعرفة متعددة بحسب رؤية الامام (عليه السلام) منها العقل والحواس والفطرة والقلب والوحي.

٣. ان معارف الانسان محدودة سواءً كانت منها العقلية أم الحسية... أم غيرها، وذلك لان طاقات الانسان محدودة والمعرفة جزء من هذه الطاقات.

٤. تَنبّهَ الامام علي (عليه السلام) الى الدور المهم والاساس للقلب باعتباره مصدراً مهماً من مصادر المعرفة وموجهاً للمصادر الاخرى كالعقل والحواس.

٥. كذلك ربط الامام (عليه السلام) المعرفة التي مصدرها الحواس بالعقل، اذ لا قيمة لها اذا لم يعطي العقل فيها رأياً (أي يمحصها ويدققها).

٦. قسّمَ الامام علي (عليه السلام) العلم الى قسمين: مطبوع ومسموع، وجعل العلم المطبوع أساساً للمسموع.

٧. سبق الامام (عليه السلام) العلماء والفلاسفة والمفكرون في تحديده الدقيق لتأثير القلب وتأثره بقدرات ومحدودية المصادر الاخرى للمعرفة كذلك تأثيره على السلوك الانساني والمشاعر والقرارات والاحكام التي يصدرها، وهذا ما توصلت اليه البحوث الميدانية المعاصرة المتخصصة حول المهام والعمليات التي يؤديها القلب.

### توصيات البحث

من خلال ما تقدم من استنتاجات للبحث يمكن للباحثان ان يوصيا بالآتي:-

١. الاهتمام بآراء الامام علي (عليه السلام) في ميدان المعرفة والوقوف عندها وقراءتها قراءة واعية، واعتمادها كمنهج في هذا الميدان.

---

١ . (النهج، ١٩٨٦: ج١: ١٥٦).
٢ . (النهج، ١٩٨٦: ج٤: ٨٥).

٢. ضرورة اطلاع المعنيين بالشأن التربوي والتعليمي على آراء الامام علي (عليه السلام) في هذا المجال لانها تُعينهم في اداء عملهم بصورة صحيحة.
٣. بناء المناهج التربوية والتعليمية في ضوء التصور المعرفي الذي توصل اليه البحث بخصوص اكتساب العلوم والمعارف عند الانسان.

## مقترحات البحث

استكمالاً للبحث الحالي يقترح الباحثان مجموعة من المقترحات منها:-
١. اجراء دراسة مقارنة بين آراء الامام علي (عليه السلام) في هذا الميدان وآراء الفلاسفة القدماء (الاغريق).
٢. اجراء دراسة مقارنة بين آراء الامام علي (عليه السلام) في هذا الميدان وآراء الفلاسفة في العصر الحديث (الغربيين).
٣. اجراء دراسة مقارنة بين آراء الامام علي (عليه السلام) في هذا الميدان وآراء المتكلمين المسلمين لتبيان تأثرهم بآراء الامام (عليه السلام).

## قائمة المصادر المراجع


١. ابراهيم، زكريا (١٩٦٨)، دراسات في الفلسفة المعاصرة، ط١، مكتبة مصر، القاهرة.
٢. ابن ابي الحديد (١٩٦٣)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ج١٨،دار احياء الكتب العربية، سوريا.
٣. اسلام،عزمي (١٩٦٨)، جون لوك، دار الثقافة، القاهرة.
٤. امين، احمد،زكي نجيب محمود (١٩٦٧)، قصة الفلسفة الحديثة، ط٥، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.
٥. انظر:
http://www.٥٥a.net/firas/arabic/index.php?page=show-det&id=٤٠٨.
٦. الجعفري، ماهر اسماعيل واخرون (١٩٩٣)، فلسفة التربية، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد.
٧. الحسيني، خالد فرج حسن (٢٠٠٠)،نظرية المعرفة عند المتكلمين والفلاسفة، رسالة ماجستير في تخصص الفلسفة وعلم الكلام –جامعة صدام (سابقا) للعلوم الاسلامية.
٨. الحيدري، كمال (٢٠٠٥)، مدخل الى مناهج المعرفة عند الاسلاميين، ط١، مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
٩. الشريف الرضي (١٩٨٦)، نهج البلاغة من كلام سيدنا امير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع)، شرح الشيخ محمد عبدة، ج١-٤، منشورات مكتبة النهضة، بغداد.
١٠. الشماع،صالح (١٩٦٠)، مشكلات الفلسفة من حيث نظرية المعرفة والمنطق، ط١، شركة الطبع والنشر الاهلية، بغداد.
١١. فرّوخ، عمر (١٩٧٢)، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون، ط١، دار العلم للملايين، بيروت.
١٢. مغنية، محمد جواد (د.ت)، معالم الفلسفة الاسلامية، ط٢، دار القلم، بيروت.
١٣. ملتقى البيان لتفسير القران (١٠ / ٤ / ٢٠٠٨)،هل للقلب علاقة بالعقل والتفكير.
١٤. منتديات نسيج(٤ /٥ / ٢٠٠٨)، المنتديات الاسلامية، القلوب وما ادراك ما القلوب، بالاشتراك مع موقع الشبكة الاسلامية.
(mht.الادراك في القلب ام العقل/القلوب وما ادراك ما القلوب الارشيف –منتديات نسيج mhtml:file://F:/)
١٥. موقع التقنية، اكبر تجمع للمهندسين العرب(٢١/ ٤ / ٢٠٠٩)، قسم تقنية الاتصالات – الموجات الكهرومغناطيسية..الانسان،فاطمة العمري. www.TKNE.net

١٦. نجاتي، محمد عثمان (١٩٩٣)،الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين، ط١، دار الشروق، القاهرة.
نجاتي، محمد عثمان (٢٠٠١)، مدخل الى علم النفس الاسلامي، ط١، دار الشروق، القاهرة.